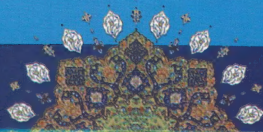




آل نبخت

عبّاس اقبال آشتیانی

نقله الى العربية
على هاشم الاسدي





آل نوبخت

عباس إقبال آشتياني



نقله الى العربية

علي هاشم الأسدي

إقبال آشتیانی، عباس، ۱۲۷۵ - ۱۳۳۴.
آل نوبخت / عباس إقبال آشتیانی: نقله الى العربية علي هاشم الأسدي. —
مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ۱۴۲۵.
۲۸۸ ص.
ISBN 964-444-679-8

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.
عنوان اصلی: خاندان نوبختی.
عربی.

کتابنامه به صورت زیر نویس.
۱. نوبختیان (خاندان) ۲. شیعه -- سرگذشتنامه. الف. اسدي، علی، ۱۳۳۶.
- ، مترجم. ب. بنیاد پژوهشهای اسلامی. ج. عنوان.

۹۲۹/۲۰۹۵۵
۸۳ - ۲۷۸۱ م

۷۰۴۳ الف ۳ / آ ۱۹۱۴ CS
کتابخانه ملی ایران



آل نوبخت

عباس إقبال آشتیانی
نقله الى العربية: علي هاشم الأسدي
المراجعة: علي البصري
الطبعة الأولى ۱۴۲۵ هـ / ۱۳۸۳ ش
۱۵۰۰ نسخة

الثمن: ۱۸۰۰۰ ریال

الطباعة: مؤسسة الطبع و النشر التابعة للآستانة الرضویة المقدسة

حقوق الطبع محفوظة للناسر

مراكز التوزيع

مجمع البحوث الإسلامية، الهاتف والفاکس (مشهد) ۲۲۳۰۸۰۳، ص. ب ۳۶۶ - ۹۱۷۳۵
شركة به نشر، (مشهد) الهاتف ۷ - ۸۵۱۱۳۶، الفاکس ۸۵۱۵۵۶۰

Web Site: www.islamic-rf.org

E-mail: info@islamic-rf.org

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد
وعلى أهل بيته المطهرين وصحبه الصالحين.

الحضارة الإسلامية صنعة الأمة الإسلامية جمعاء، فقد ساهم في تشييد
صرحها العرب والفرس والترك والکرد وغيرهم من الشعوب المسلمة - ولكل
قسطه فيها قل أم كثر - معتمدين كتاب الله سبحانه و سنة نبيه ﷺ و أئمة الدين
والسلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء إذ تمثل المصادر الأصلية للحضارة
الإسلامية، وعامدين إلى إعمار الحياة ورفد البشرية بما يصلحها ويُسعدها. وهذه
الحضارة الثرية التي عبّر عنها جواهر لال نهرو أنها أم الحضارات في العالم، آية على
عظمة الإسلام ومزاياه الرفيعة. ولا مراء في أنها مثابة لحضارات الأمم، والنبع الأول
الذي اغترف منه المنتمون إلى غيرها فارتقوا بفضلها.

وتمتاز هذه الحضارة بأنها حضارة قيمية تقطر أدباً ونبلاً وتقف زاهية شامخة
بطهر مفرداتها من كل الشوائب الجاهلية، وعلو مظاهرها التي حكاها لنا التاريخ. فهي
- حقاً - في مقابل الحضارة الجاهلية التي تعدّد سبلها، فحري بكل طالب علم أن
يوقّحها حقّها من خلال تبنيها عملياً، وتزكيتها من مدانس القومية والعرقية والقطرية
وما مائلها، والوقوف بوجه من يريد امتنانها أو الإضرار بها أو الطعن فيها وتحجيمها
وتحديدها واستبدال غيرها بها. فلا بدّ من رعايتها واتخاذها المثل الأعلى في الحياة
وفاء للعقيدة التي أنجبتها والنظام الذي أرسى دعائمها، وعرفاناً لجميلها.

ومظاهرها جمّة بشمائلها وعطاءاتها إذ إنّها مجموعة كريمة من الأفكار والمفاهيم والقيم الإنسانية، أو التصرفات السليمة والممارسات الحكيمة في التعامل مع الحياة.

وكانت البيوتات العلميّة لَبَنَةً من لبنات هذه الحضارة العظيمة على مرّ التاريخ بفضل ما قدّمته من عطاءات علميّة. ومن هذه البيوتات آل نوبخت الذين كان لهم قسطهم المشهود في إغناء الحضارة الإسلاميّة من خلال إلمامهم بعلم النجوم و علم الكلام و تعريب الكتب الفارسيّة المهمّة. وساعدتهم الظروف السياسيّة والاجتماعيّة على ذلك. فقد كان جدّهم الأعلى (نُوبُخْتُ) (أي جديد الحظّ أو سعيد الحظّ) في بلاط المنصور العبّاسيّ منجماً، وكذلك نجله أبو سهل الذي تولّى تعريب عدد من الكتب الفارسيّة. والأجواء الاجتماعيّة السائدة آنذاك متأثرة بالجوّ السياسيّ المتمثّل بسيادة العبّاسيّين و سطوتهم لذلك تمهّدت لهم، ومدحهم شعراء البلاط العبّاسيّ. وكان رجالهم الأوّل ذوي ميول عبّاسيّة. ثمّ تعبد أحفادهم بمذهب أهل البيت (عليه السلام) و أشهرهم أبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختيّ الذي كان من أكابر علماء الشيعة و متكلميها في عصر الغيبة الصغرى و له فضله الذائع. ومنهم أبو إسحاق إبراهيم مؤلّف كتاب (اليافوت) في أصول علم الكلام، و هو الكتاب الذي شرحه العلامة الحلّيّ باسم (أنوار الملكوت في شرح اليافوت).

أمّا الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح النائب أو السفير الثالث للإمام المهديّ (عليه السلام) في الغيبة الصغرى، فقد ذهب مؤلّف هذا الكتاب - على تعصّبه العِرقيّ - إلى أنّه كان منتسباً إلى آل نوبخت من جهة الأمّ، ومثله أبو محمّد الحسن بن موسى صاحب الكتاب المشهور (فرق الشيعة). ويتبيّن ذلك من الفصل السابع من الكتاب الذي خصّصه للأخير إذ رأى فيه «أنّ أبا محمّد الحسن بن موسى مؤلّف كتاب (فرق الشيعة) وغيرها من الكتب هو كالشيخ أبي القاسم الحسين بن روح كان ينتسب إلى آل نوبخت من جهة الأمّ فحسب. ولم يذكر أحد شيئاً عن انتسابه إليهم من جهة

الأب حتّى لو قُرض أنّ أباه كان من أفراد الأسرة». وهذه النقطة من النقاط المسترعية النظر في الكتاب، وإذا دلّت على شيء فإنّما تدلّ على تحزّي المؤلف وأمانته. كما تدلّ على أنّ بعض الألقاب لا يدلّ على الانحدار القوميّ، وأنّ بعضها الآخر فيه تسامح، وأنّ قسماً منها ذاتيّ الإطلاق، أي أنّ أصحابها اتخذوها لأنفسهم من منطلق ذاتيّ لا غيره، وقسماً قد لا يصحّ على شهرته وذيوعه، فلا يُعوّل عليه معياراً لمعرفة الهوية. ويُستشفّ من هذه النقطة أيضاً إنّنا ينبغي أن نثبتّ في الحكم على الأشياء، ونتروئى عند الحوار. ويتبيّن كذلك أن اللقب مقياس غير سديد في فصل الأمور، كما أنّه ليس ذا بالٍ في لغة العلم والعقل. ويستبين من النقطة المذكورة صحّة ما قيل: «ربّ مشهور ليس له حضور».

علماً أنّ اللقب ليس معلماً على الكفاءة. كما أنّ من المظاهر الحضاريّة في الإسلام اعتناؤه بنبية الانسان وعمله لا بلقبه ونسبه. فالاهتمام بالألقاب مظهر غير حضاريّ فيه. والحقّ أنّنا بحاجة إلى الأبواب لا إلى الألقاب والأنساب وأحسن من قال: «الألباب الأبواب لا الأنساب والألقاب». بيد أنّ اللقب أو النسب القبليّ أو القوميّ إذا كان لمعرفة النسب فحسب، فلا قدح فيه؛ أمّا إذا كان للتفاخر والشعور بالاستعلاء العرقيّ فهو مردود ممقوت. وأنّ عظمة البيوتات العلميّة ليست في عطائها العلميّ مجرداً، بل في عطائها الذي لا يشوبه المنّ والاستعلاء، ولا تكذّره نزوات حبّ الظهور والجاه والإطراء. بل في عطائها المشروط بالألّا تذهب بها سمعتها شططاً!

وحرّيّ بالذكر أنّ كثيراً من العرب الذين هاجروا إلى إيران تلقّبوا بالمدائن الفارسيّة التي سكنوها وهم من أصول عربيّة فلم يروا في ذلك بأساً عليهم، كما أنّ تلك المدائن احتضنتهم واعتزّت بهم. فلا دليل لأحد على اعتبار اللقب ولا برهان له على القياس به. إنّما المؤسف حقّاً أن تتنازع وتتناحر حول هويّة العلماء وانتمائهم القوميّ وهم مسلمون، فإسلامهم يدفع ذلك التنازع والتناحر المزعومين. وأنّه من

مساوئنا نحن المسلمين الاهتمام بشيءٍ لم يُرده ديننا منّا. والمحقق أنّ تحضُّرنا يكمن في تحكيم ديننا واتخاذ المقياس الأعلى في كلّ مجال من مجالات حياتنا. بل إنّ تحضُّرنا في التمسك بحضارة ديننا. ولنا أن نفخر بآل نوبخت وأمثالهم من العلماء أنّهم كانوا مسلمين. وهذا ما أرادَه منّا ربُّنا سبحانه في كتابه الكريم ونبينا صلّى الله عليه وآله وسلم في سنّته الهادية الرشيدة. ولنتذكّر دائماً أنّ قرآننا الحكيم لا يعترف بالأنساب ويدرّكنا أنّها لا تُجدي ولا تُغني يوم يُنفخ في الصور! فما لنا نتساءل عمّا لا يُسأل منّا؟ وما بالنا نهتمّ بغثاءٍ ليس ذي غناء؟ ﴿فإذا نُفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ (المؤمنون: ١٠١).

أمّا هذا الكتاب فإنّ عنوانه يدلّ عليه. فهو كتاب رجاليّ تاريخيّ تناول رجال الأسرة النوبختيّة ومن انتسب إليها ممّن تلقّب بهذا اللقب. كما ساق مؤلّفه الكلام عن علم الكلام ورجاله الأوّل، وذكر بعض الفرق الإسلاميّة كالمعتزلة، وتحدّث عن الإمامة والإماميّة ومتكلميّهم الأوّلين. وأطال الحديث عن بعض رجال الأسرة النوبختيّة وأوجز عن بعضهم الآخر. كما أورد المشهورين منهم وغير المشهورين. ويحمّد للمؤلّف جهده في البحث والتحقيق ويُلام على ما بدر منه في بعض الطريق. وفي الكتاب آراء صائبة وأخرى قد تجانب الصواب. ولات وقت نقدٍ فيُساغ نقده. ومؤلّفه محقّق ومؤرّخ إيرانيّ ولد سنة ١٣١٤هـ وتوفّي في روما سنة ١٣٧٥هـ عندما كان مندوباً لإيران هناك. وكان أستاذاً جامعياً وعضواً في مجمع اللغة الفارسيّة بطهران. وأسّس مجلّة «يادگار» (التذكار) سنة ١٣٦٥هـ، وله كتب مصنّفة ومصحّحة و مترجمة منها: تاريخ المغول، و«وزراء السلاجقة»، وهذا الكتاب.

وفُرق من تعريب الكتاب في مجمع البحوث الإسلاميّة التابع للآستانة الرضويّة المقدّسة في مشهد، وهو مركز علميّ بحثيّ يُعنى بتصنيف الكتب وتصحيحها وترجمتها، ثمّ طبعها ونشرها، ودعا إلى تعريب الكتاب عنوانه الذي يدلّ على بيتٍ علميّ له نصيبه في إثراء الحضارة الإسلاميّة. أمّا محتواه فكانت غير عليم به والحكم

للقارئ الكريم. وكان الفراغ منه قبل بضع سنين، لكنّ مراجعته طالت لسببٍ قال المراجع إنّه كثرة الأشغال. وكانت هناك رغبة عن كتابة مقدّمة على التعريب لعلّ لا حاجة إلى ذكرها. ثمّ بدا لمن رغب عن ذلك أن يكتب شيئاً يرتبط بعنوان الكتاب نوعاً ما، وينبّه على أمور يحسن الالتفات إليها. وكان الاكتفاء بما عُرض في هذه المقدّمة مراعاةً لعنوان الكتاب فحسب، وإلاّ فقد تكون نقاط أخرى بشأن الكتاب لا تستحضر في هذه العجالة.

وختام القول - وهو الحقّ - إنّ أعمال البشر حليفتها النقص إلاّ ما عصم الله سبحانه منها. ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين﴾ «البقرة: ٦٤». وللشافعيّ بيتان يُركن إليهما. وحرّيّ بكلّ ذي علم وفضل وعقل أن يجعلهما نصب عينيه قال:

كلّما أدبني الدهر أراني ضعفَ عقلي
وإذا ما ازددتُ علماً زادني علماً بجهلي

والحمد لله ربّ العالمين. و سلام على أولي العلم من عباده الصالحين.

المترجم

ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ

المقدمة

لامراء في أن تاريخ الأديان والمذاهب، وأحوال الملل والنحل، وشرح الآراء والمقالات التي تبنتها الفرق الدينية من أعذب المباحث التاريخية. وهذه كانت عرضة للتغيير والتبديل على مرّ القرون المتواترة، كغيرها من شؤون الحياة الأدبية والاجتماعية. ومنها ما ارتقى في سُلّم الكمال وفقاً لمتطلبات تاريخية، ومنها ما ذوى بسبب بعض العوادي الكاسحة.

ويقال - تساهلاً - إنّ العقائد الدينية للإنسان ولبدة الخوف والرجاء، وجاء اختيار الإنسان لتلك العقائد، سواء كان مقلداً فيها أم مكرهاً عليها، للحؤول دون طغيان الخوف أو لتوطيد حسّ الرجاء في الحياة.

وإذا كان هذا الكلام صائباً تماماً أو أنه بدا ناقصاً وممترئ فيه لأسباب ما، فالثابت هو أنه كانت للإنسان منذ عصر ما قبل التاريخ حاجة كبيرة أخرى أيضاً إلى جانب حاجاته المادية الضرورية، ولا تقلّ استجابته لها عن الاستجابة لحاجاته الأخرى كإعداد الطعام والسكن واللباس ووسائل الدفاع عن نفسه. بعبارة أخرى، كما كانت نخبة الإنسان في خطر بسبب كوارث بيئته الطبيعية السكنية، وتهديدات الكائنات الحية، التي عليه أن يبذل قصارى جهوده لمقارعتها، وإيجاد الطريق أمام تهديداتها. فإنّ حساسيته وفكره العاجز وتلمسه للحلول، كل ذلك كان قد مُني بالاضطراب والوهم أمام قوى الطبيعة الملعنة التي أحذقت به من كل جانب، مضافاً

إلى تصوّره للموت و جهله بعالم الغيب ، وهو كما يدافع عن جسمه وفقاً للوسائل والتدابير اللازمة ، فإنّ عليه أن ينفذ روحه - طوعاً أم كرها - من حالة القلق والاضطراب بتدابير يتّخذها لنفسه ، ويستبدل الهدوء وفراغ البال باضطراب الفكر الناتج من التغيّرات المتوالية و آثار الطبيعة المجهولة والخوف من الموت والتفكير بما يخبئه المستقبل ، وليس أمامه إلّا أن يسخّر ما يبعث على خوفه و تغيّر أحواله النفسيّة و يجعل ذلك طوع أمره وإرادته ، أو يتنازل مدعناً أمام القوى المتحكّمة و يعدّ نفسه خادماً مطيعاً لها . أي : إمّا أن يمزّق حجاب أسرار العالم المجهول من خلال توظيف الفكر واختدام الذكاء والذوق الفطريّ ، في ضوء ما يحمله من حسّ التنقيب والتدقيق والتحقيق الذي يتّصف به أولو النظر البعيد ، فيسخّر الطبيعة في خدمته ، و يخفّف بلبلة باله ما أمكنه عبر تشخيص الأسباب الحقيقيّة لآثاره ، وإمّا أن يضرب عن التحقيق والطلب صفحاً ، و يغرق في بحر الوهم ، و يتلمّس لكلّ مجهول خارجي علّة من عنده يُقنع بها نفسه ، و يبني له سدّاً - ممّا تملبه عليه قواه الوهميّة - يحول بينه وبين اضطراب فكره ليجلس في مأمنه سعيداً رخيّ البال . وفي مفرق هذين الطريقتين يعرف حجم اللياقة الفكرية و درجة الذكاء والذوق عند شتّى الأشخاص أو الجماعات ، و يبرز الفرق بينهم في درجات رقيهم المادّي والمعنويّ . وفي هذا المقام يسير رواد طريق البحث قُدماً ، وهم الباحثون في جواهر المعارف والحقائق . و يدعون المتنسّكين المقلّدين أسرى في زوايا زهوهم . ولا يصدّهم شيء عن البحث ، و يبذلون قصارى جهودهم للوقوف على أسرار الخلق أكثر من الغابرين ، و من ثمّ يخفّفون عن ظهورهم و ظهور غيرهم عبء المعاناة .

إنّ كلّ شخص أو قوم ممّن اتّصف بالدهاء والكفاءة قد اجتاز - طوعاً أم كرهاً - هذه المرحلة الثانية التي ينبغي أن تُسمّى المرحلة الدينيّة . وطوّوا هذا المقام قبل أن يزعموا أنّهم حلّوا ألغاز الطبيعة ، و وجدوا الحقيقة ، و خطّوا في المرحلة العقلانيّة والمنطقيّة ، حتّى أنّ الذين أرادوا - من بين هذه الجماعة - أن يقطعوا علاقاتهم بأفكار

الماضي، ولا ينشغلوا إلا بما يمليه العقل ومبادئ المنطق الثابتة أقرّوا بعجزهم حيال الطبيعة اللامتناهية وآثارها المجهولة التي لا تحصى، ورأوا أنّ المعلومات العلميّة ليس لها شأن ولا تصمد أمام بحر المجهولات اللامتناهي، وأذعنوا - في غاية الإنصاف - أنّه على الرغم من وجوب البحث عن الحقيقة، فمازلنا نحتاج إلى وقت طويل كي تستضىء عيوننا برؤية جمال الحقّ كما ينبغي، ونتخلّص من معاناة الضمير واضطراب البال، ونظفر بالسعادة الأبدية من خلال الوصول إلى حجرات القدس.

وفي ضوء هذه المقدّمة، ما دامت هذه السعادة لا تتيّسر بواسطة العلم والعقل، وكانت قابليّات الناس متباينة في إدراك الحقائق، فإنّ المرحلة الدينيّة في طيّ طريق الحياة وتحمل شوائدها ومصائبها من أسلم المراحل للاستمتاع برخاء البال والسعادة، بخاصّة للأشخاص أو الجماعات التي لا تتطلّب قواها الذهنيّة والنفسيّة في الوقت الحاضر طريقة فكر وحسّ آخريّن، وترى أنّ سعادتها لا تتحقّق إلّا في هذا المجال.

وكان الأنبياء والمصلحون الدينيّون يخبرون الناس الذين يبلغون في أوساطهم، ويعرفون قابليّاتهم أفضل من غيرهم، لذلك توجّهوا إليهم بقلوب طافحة بالإيمان وعزائم حافلة بالحماسة، وتعاملوا معهم بالأسلوب الذي ألفوه، فركزوا في نفوسهم الفضائل والتّفكير بمصلحة الآخرين وحبّ الخير لهم، وقطعوا دابر الرذائل التي تسبّب بؤسهم وشقاءهم، وذلك بالحكمة والتدبير.

وكانت تنهض في مقابل هذه الشريحة الخيرة دائماً فئة إمّا تزعم أنّها صاحبة القيادة وأنّها تريد أن تهدي الناس إلى سبيل الحقائق والمعارف، أو أنّها ترفع عقيرتها بمناوأة الأديان من خلال الاستظهار بحفنة من المعلومات الناقصة أو المغرّضة، ولما كان هؤلاء لا يتمتّعون بالإيمان الذي يستلزمه طيّ هذا الطريق، فإنّهم لم يفلحوا، بل دمّروا سعادة السواد الأعظم من الناس، وهم كالسلاطين

النَّسَالين قد خدعوا فريقاً من الناس المتَّسمين ببراءة الضمير و صفاء الباطن والإيمان القلبيّ الصادق، الذين عقدوا الأمل على عقائد آمنوا بها، خدعهم تحت عنوان: رفقاء الدرب، فسلبوا أزوادهم وأمتعتهماً أولاً، ثم تركوهم في حضيض البؤس والمسكنة والقنوط.

إنَّ تاريخ الأديان والمذاهب، من منظارٍ ما، هو شرح لصفاء ضمير جماعة من الناس، وإيمانها القلبيّ، وعرض للصوفيّة جماعة أخرى ومكرها واحتيالها، ولَمَّا كان الاصطدام بين هاتين الشريحتين من الناس ومناظراتهما ومحاججاتهما باعثاً على ظهور شتّى الآراء والعقائد والأهواء والنحل من أوطئها إلى أعلاها درجة، فإنَّ هذا القسم من التاريخ كالبستان الذي تجد فيه أنواعاً متفاوتة من الأعشاب والنباتات، بدءاً بالبرسيم الطبيعيّ وانتهاءً بأجمل الأزهار وأشداها، علماً أنَّنا نستنبط من خلال الاطلاع عليه أنَّ فسيل كثيرٍ من الأفكار والآراء الدينيّة والسياسيّة والذوقيّة لأناس عصرنا قد عُرس في هذا البستان من قبل الأسلاف وكانت تلك الفسائل تنمو وتنضج حيناً، وتذبل حيناً آخر على تواتر القرون التي مرّت على البستان المذكور، متحمّلة الأجواء غير المساعدة.

يبدو أنَّ المسلمين كانوا أوّل أمة بين الأمم القديمة اهتمّوا بتدوين الكتب في تاريخ الأديان والمذاهب والفرق الدينيّة، إذ إنَّ اليونانيّين لمّا كانوا قد فصلوا في دراساتهم قضايا الحكمة عن الدين فصلاً تامّاً، وكان مذهبهم خالياً من الجانب الأخلاقيّ والحكميّ، فإنَّ الكتب التي صنّفوها في عقائد أسلافهم اتّخذت في الغالب طابع البحث في تاريخ الحكمة والحكماء. أمّا كتب النصارى فقلّما اتّسمت ببعديّ عامّ. وهي في حكم نقض آراء أهل البدعة أو مخالفهم غالباً.

وكان متكلمو المعتزلة أوّل من بدأ من المسلمين في تصنيف هذا الضرب من الكتب تحت عنوان «المقالات»، أو «الآراء والديانات»، أو «الملل والنحل». ولعلّهم صنّفوها لمعرفةهم بفلسفة اليونان وسيرة حكمائهم وآرائهم، فقلّدوهم في

الكتب التي كانت لهم في شرح مقالات الحكماء والمذاهب المتنوعة .
وحذت سائر الفرق الإسلامية حذو المعتزلة في القيام بذلك العمل فصنّف
علماء الشيعة ، والخوارج ، والسنة ، والأشاعرة ، والكرامية ، والصوفية كتباً عديدة
في باب المقالات والملل والنحل ، هادفين من وراء ذلك إلى دحض الآراء التي
تبتناها سائر الفرق ، وإثبات كلامهم «الحق»؛ إذ يخالون أنّ فرقتهم هي الفرقة الناجية
فحسب . وكانوا يذكرون آراء الحكماء والأئم غير الإسلامية في كتبهم لهذا الهدف .
ومن البين أنّ التعصّب الدينيّ هو الذي يُرخي العنان للقلم في هذا الضرب من تقرير
الموضوعات ، فيقول المصنّفون في كتب المقالات على مخالفيهم ويقذفونهم
بشتى التّهم . وقلماً يُلحظ هذا التوجّه في كتب المعتزلة الذين كانوا من أولي
الاستدلال العقليّ غالباً . بيد أنّه يلمس أكثر عند السنة ، ومتكلمي الظاهرية ،
ومتأخري الأشاعرة والإمامية الذين سلكوا هذا السبيل من منطلق التعصّب . وهذا
ما أدّى إلى خفاء كثير من الحقائق التاريخية بسبب الأغراض الشخصية . بخاصّة أنّ
المتعصّبين مذهبياً كانوا يخفون الحقائق ويُدلسون ويزوِّرون خدمة لمذهبهم
ويحسبون ذلك خدمة للإيمان ، ولم يتورّعوا عن ارتكاب أيّ ضرب من ضروب
الجنابة التاريخية أو الأدبية . وعندما كانوا ينقلون كلام المخالفين ، لم يستهدفوا إلاّ
التشنيع عليهم أو قلب الصورة الحقيقية لمقالاتهم وتأويلها . من هذا المنطلق قلّما
تسعفنا هذه الكتب بمعرفة الهدف الأساس لرؤساء الفرق الإسلامية المختلفة
وحوافزهم الباطنية وتمييز المؤمنين الخُلص من المحتالين ، والاطّلاع على
المقالات الحقيقية لكلّ منها^١ .



وهذا الكتاب الذي أقدمه إلى القراء الكرام ، بعد فترة من البحث والتحقيق ،

١- وردت بعد هذا الكلام فقرات للمؤلف لم يُنصَح بترجمتها لما فيها من رائحةٍ حَمِيَّةٍ لا تُحمد.

يتناول ترجمةً لأسرة من الأسر الفارسيّة الأصيلّة التي سَعَت بصدقٍ في سبيل التوفيق بين الآراء الفارسيّة الخاصّة ومذهب التشيع وبذلت قصارى جهودها في تنزيه ساحة هذا المذهب من التهم التي ألصقتها به سائر الفرق. واستطاعت أن تجعل الشيعة أصحاب شوكة واقتدار واسم واعتبار من خلال اختيار مبادئ الاعتزال، وردّ الاعتقاد بالتشبيه والتجسيم والرؤية في باب التوحيد، وإدخال الإمامة في المباحث الكلاميّة، والدفاع عن موضوع الغيبة، والحوؤل دون أصحاب البدعة في هذا الدين، وتقوية المجتمع الشيعي في مقابل قدرة السلاطين والعنصر التركي المتعصّب وأصحاب الحديث والسنة.



وعندما كنتُ أوصل دراستي في دار الفنون بباريس قبل سبع سنين، كان تاريخ الأديان والمذاهب أحد الموضوعات التي اخترتها للحصول على شهادة الليسانس في الأدب. ولما كان على الطالب في هذه المرحلة أن يكتب رسالة في موضوع معيّن للحصول على الشهادة المذكورة، اخترتُ «ترجمة آل نوبخت» بإشارة العلامة الجليل فضيلة الميرزا محمد خان القزويني. وكتبْتُ رسالة موجزة في هذا المجال باللغة الفرنسيّة وحزْتُ على الشّهادة المذكورة. ولما وقفتُ على أهميّة الموضوع تدريجاً خلال إعدادي للرسالة، لم أدخر وسعاً في إتمامها. وصرفتُ مدّة من عمري على هذا العمل حتّى تهيأت هذه الرسالة المزجاة.

وعندما سافرتُ إلى فرنسا في العام الماضي حثني صديقي العلامة الأستاذ ما سينيون - أحد مشاهير المستشرقين الفرنسيين المدرّس في «كولج دو فرانس»، ومدير مجلّة «دراسات حول الإسلام» - على أن أكتب هذه الرسالة بالفرنسيّة ليطبعها في مجلّته. فقمْتُ بقسم من هذا العمل في باريس، وعندما عدتُ إلى إيران طبعْتُ نصّها الفارسيّ بتشجيع بعض الأصدقاء الكرام، وأنجزتُ ترجمتها الفرنسيّة أيضاً وأعددتها للطبع.

من الطبيعي أن هذه الرسالة ناقصة وموضوعها مهم يستحق دراسة واهتماماً أكثر. ولكن يؤسفني أنني لا أستطيع استقصاءه بهذه السرعة لضيق الوقت، وعدم حصولي على جميع المخطوطات المتعلقة بهذا المبحث. أرجو من أولي الفضل والأدب أن ينظروا إلى هذا الكتاب بعين الإنصاف وبغضوا الطرف عن نقائصه، ويصلحوا ما فيه من أخطاء، ويبدلوا جهودهم في إكماله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. وآمل أن يبلغوا به إلى مرحلة الكمال، علماً أنني ألفتة خدمةً لتاريخ إيران والمجتمع الشيعي ولا أبتغي منه إلا إيضاح أحد المباحث التاريخية بلا تعصب، وقد تناولته على قلة علمي ومعرفتي.

في ختام هذه المقدمة أرى الواجب الأخلاقي يحتم عليّ أن أتقدم بالشكر الجزيل من أعماق قلبي للأصدقاء الكرام الذين أعانوني على تأليف هذا الكتاب مادياً ومعنوياً، وبدلوا مساعيهم الحميدة في تحفيزي وحثي وتشجيعي على إنجازهِ. وأخصّ منهم بالذكر فضيلة الأستاذ المعظم الميرزا محمد خان القزويني الذي أفادني بتوجيهاته في سفرتي إلى فرنسا، وأتم إحسانه بوضع مكتبته تحت تصرفي. وكلّ ما عندي وعند أمثالي في هذا الميدان فهو من بركات هدايته وعلمه وفضائله.

ولا أنسى العالم الكبير سماحة آغا ميرزا فضل الله شيخ الإسلام الزنجاني وأخاه العالم الفاضل الميرزا أبا عبدالله إذ لم يدخرا وسعاً في تشجيعي ومساعدتي بكلّ إخلاص، بخاصة شيخ الإسلام فمّنته عليّ ثابتة لأنّ سماحته - مضافاً إلى أمره باستنساخ نسخة من كتاب أنوار الملكوت على نفقته الخاصة خدمة لهذا العمل - قد أتحفني بملاحظات ثمينة في رسائل بعثها إليّ، وذكرتها في مواضعها باسمه. وأشعر هنا أنني رهين تطفه وتفضله.

وعليّ أن أشكر في هذه المقدمة فضيلة الأستاذ الجليل ماسينيون؛ فقد كان تشجيعه إياي من المحفّزات الرئيسة لإتمام الكتاب.

إنّ الذين يهتمّون بالكتب والمكتبات في طهران يعلمون أنّ أنفس كنز من هذا الضرب في مدينتنا قد جُمع بهمة الحاج حسين ملك وجهوده الصادقة، إذ لم يدخر وسعاً في هذا السبيل، وقد أنفق ماله وعمره وعانى كثيراً حتّى أعدّ خزانة تضمّ الكتب العربيّة والفارسيّة، لانظير لها في العالم من جهات عديدة. وبعمله هذا حافظ على سمعة إيران التي لولا خزانته لاحتاج أبناؤها أولو الذوق والفكر إلى الدراسة في إحدى العواصم الأجنبيّة. وقد استفدتُ كثيراً من مكتبته الثمينه، واستمتعتُ بذلك الكنز النفيس. يضاف إلى ذلك أنّه قد دعمني في طبع هذا الكتاب، إذ تفضّل عليّ بمقدار من نفقات الطبع. وأختم هذه المقدّمة بشكري الجزيل له ودعائي الله تعالى أن يمنّ عليه بالتوفيق الدائم في مجال الخدمة التي اختارها.

طهران - ١٣٥٢ هـ .

عباس إقبال (أشتياني)

آل نوبخت

الأسرة الفارسية المَحْتَد - آل نوبخت - الذين نروم تجديد ذكراهم وإحياء مآثرهم في هذا الكتاب الموجز هي إحدى الأسر الفارسية الأصلية التي أسلمت، وانتظمت في خدمة الحكام العبّاسيين والأمراء المسلمين وخَلَدَتْ لها ذكراً طيّباً في تاريخ الحضارة الإسلامية، عبر بث العلوم والفلسفة والآداب، والاضطلاع ببعض الأعمال الديوانية.

وتدلنا إشارات المؤرخين والشعراء والأدباء على أنّ أفراد هذه الأسرة الكبيرة كانوا في عاصمة الحكم العبّاسي بغداد - منذ منتصف القرن الثاني حتّى أوائل القرن الخامس الهجري - مراجع للأعمال الحكومية غالباً أو كانوا ممّن يُشار إليهم بالبنان في فرع من فروع العلم والأدب. وكان فيهم ثلّة من العلماء العظام للإمامية الاثني عشرية. ومنهم من عانى في جمع أخبار وأشعار ثلاثة من شعراء العرب الكبار هم أبو نواس الحسن بن هانئ (١٤١-١٩٩هـ)، وأبو عبادة الوليد بن عُبيد البُحْثَرِيّ (٢٠٦-٢٨٣هـ)، وعليّ بن العبّاس بن الروميّ (١١٢-٢٨٣هـ)، فخلّدوا ذكر هؤلاء الشعراء الثلاثة فكراً وذوقاً.

وكان نوبخت الجَدُّ الأعلى لهذه الأسرة، وابنه أبو سهل، وعدد من أولاد أبي سهل هذا من المترجمين الذين نقلوا بعض الكتب من اللغة الفارسية البهلوية إلى العربية، ومن المنجّمين في العهد الساسانيّ، وخدموا المسلمين بنشر هذا العلم في أوساطهم عبر تعريب بعض الكتب من لغة أجدادهم. وعَلِّمُوا المسلمين العرب كثيراً من آداب الفرس ومعلوماتهم في باب الزيج (الطالع أو رؤية الطالع) وأحكام النجوم وغيرها.

واهتموا عدد من أحفاد أبي سهل بن نوبخت إلى المذهب الجعفريّ وأصبحوا من المدافعين عنه بجدّ، ولم يَدْخَرُوا وسعاً في توطيد أُسسهِ وقواعده ودحض آراء مناهِئِهِ، ونشروا أصول عقائد الإمامية بين الناس من خلال تصنيف رسائل وكتب كثيرة، فينبغي عدّ هذه

الثلة من آل نوبخت - كما سيأتي شرحه - في طليعة متكلمي الإمامية، و شيوخهم الكبار في علم الكلام، ذلك أنهم هم الذين تصدّوا للردّ على طعون المعتزلة والعامة و سائر الفرق الإسلامية على الإمامية بأدلة كلامية متنوّعة سابقين بذلك طبقة المتكلمين الكبار من الشيعة الاثني عشرية، و دونوا المبادئ العلمية التي لا بدّ للمتكلمين الآخرين من أبناء هذه الفرقة أن يواكبوها، و ثبّتها على قاعدة متينة .

وكان أبو سهل إسماعيل بن عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت (٢٣٧-٣١١هـ) أحد وجهاء الشيعة الإمامية و علمائها الكبار، و من المتكلمين البارزين في هذه الطائفة، وله تصانيف مهمّة في تأييد المذهب الإمامي، و يعدّ من أشهر آل نوبخت، بسبب منزلته العلمية و مهامّه الدنيوية. و كان ابن اخته أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي (المتوفى بين سنة ٣٠٠ و ٣١٠هـ) مؤلف كتاب فرق الشيعة و كتاب الآراء و الديانات أوّل من صنّف في الملل و النحل. و لهما الرجلين فضل كبير على الطائفة الإمامية لا تبايعهما المعتزلة في بعض المسائل الأصولية، و تقريرهما مسألة الإمامة و تدوينها بأدلة عقلية وفقاً لعقائد الشيعة الإمامية .

وكان الشيخ أبو إسحاق إبراهيم النوبختي من المتكلمين في أواسط القرن الرابع. و هو - فيما أعلم - أقدم عالم إمامي صنّف كتاباً في علم الكلام يوافق عقائد هذه الطائفة. و هذا الكتاب المعروف بالياقوت في تناول أيدينا. و قد ذاع صيته بين متكلمي الإمامية، و أصبح من أشهر الكتب الكلامية للإمامية، بسبب شروحه التي استهلها عزّالدين أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد (٥٨٦-٦٥٦هـ) شارح نهج البلاغة، و تلاه العلامة الحسن بن يوسف الحلّي (٦٤٨-٧٢٦هـ) و عنوان شرحه: أنوار الملكوت في شرح الياقوت، و أعقبه ابن اخته السيّد عميد الدين عبد المطلب الحسيني الحلّي (٦٨١-٧٥٤هـ) في شرح كتاب أنوار الملكوت.

وكان عدد من آل نوبخت كتاباً عند الحكّام العباسيين و أمرائهم. و من هؤلاء: أبو يعقوب إسحاق بن أبي سهل إسماعيل (المتوفى سنة ٣٢٢هـ)، و نجله أبو الفضل يعقوب، و أبو طالب النوبختي، و أبو الحسين عليّ بن عباس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت (٢٤٤-٣٢٤هـ) و ولده أبو عبد الله حسين (المتوفى سنة ٣٢٦هـ). و عرف منهم رجال كانوا من مشاهير علماء الأخبار عند الشيعة كأبي الحسن موسى بن كبرياء، و أبي محمّد حسن بن أبي عبد الله حسين (٣٢٠-٤٠٢هـ). و كان أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي (المتوفى سنة ٣٢٦هـ) النائب الثالث للإمام المهدي عليه السلام و أحد سفرائه المحمودين، على ما تعتقد به الشيعة الإمامية. و يمكننا على نحو عام أن نصنّف رجالات الأسرة النوبختية في ستّ طبقات، هي :

- ١ - طبقة المترجمين من اللغة الفارسية البهلوية الى العربية، والمنجمين، مثل نوبخت، وولده أبي سهل، وعدد من ذراري أبي سهل كعبد الله، وأبي العباس فضل.
- ٢ - متكلمو الإمامية، كأبي إسحاق إبراهيم، وأبي سهل إسماعيل بن علي، وأبي محمد الحسن بن موسى.
- ٣ - أصحاب الأئمة الاثني عشر وخواصهم، نحو يعقوب بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، وإسحاق بن إسماعيل بن أبي سهل، وأبي القاسم الحسين بن روح.
- ٤ - الأدباء ورواة الشعر، مثل إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت، وبعض إخوته، وأبي طالب، ومحمد بن روح، وأبي الحسين علي، وأبي عبد الله حسين.
- ٥ - الكتاب كالعلمين الأخيرين المار ذكرهما في الأدباء ورواة الشعر، وأبي جعفر محمد بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، وأبي يعقوب إسحاق، وأبي الفضل يعقوب، وعلي بن أحمد بن علي.
- ٦ - علماء الأخبار الإمامية، كأبي الحسن موسى بن كبرياء، وأبي محمد حسن بن حسين، وغيرهما.

وسرى في الفصول القادمة مفضلاً أن أفراد كل طبقة من هذه الطبقات الست كانوا محط الأنظار ويلهج بذكرهم الخاص والعام، وعُدَّت أقوالهم وكتاباتهم حجة لمن جاء بعدهم من العلماء. فقليل في منجمهم إنهم أعلم الناس بالنجوم^١، وقيل في المتكلمين الذين هم على عقيدة الإمامية إن أقوالهم يُستند إليها^٢، وذكر في العلم بالمقالات والآراء والديانات أن كتاب أبي محمد النوبختي من الكتب الموثوقة في هذا الفن^٣، وصاحبه قدوة تامة في معرفة الملل والنحل^٤. وجاء في أخبار الشيعة الإمامية وتقرير مذهبه أن آل نوبخت كانوا من أركان هذا الدين إذ عُدُّوا في مصاف الشيخ المفيد، وابن بابويه، وأبيه^٥. وكانوا من أهم المراجع وأوثقها في جمع أخبار وأشعار أبي نؤاس، والبحري، وابن الرومي، ونبغوا في الترجمة حتى أصبحوا في عداد المترجمين الكبار^٦.

١- ديوان ابن الرومي ١٢٢-١٢٣. ٢- بحار الأنوار ١٤: ٣٥٢-٣٥٥.

٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩٥. مروج الذهب ٧: ١٥٧-١٥٨، تليس إبليس لابن الجوزي في مواضع متعددة. ٤- معجم الأدباء ٢: ٢٧٩.

٥- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٥٩٧.

٦- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ٣٠٩.

هذا كلّهُ حداني على إعداد ترجمة تضمّ أخبار هذه الأسرة الجليلة ؛ فكنت أجمع المعلومات تدريجاً من خلال مطالعة كتب التاريخ والأدب حتّى إذا تمّ لي ما أريد ، نظمت هذا الكتاب في فصول مع بعض الملاحظات . وها هو بين يدي القراء الكرام لعلّهم يقطفون من ثماره ويكون تذكاراً لهواة المعلومات التاريخية والمغرمين بعظمة السلالة الفارسيّة ومجدها .

الفصل الأول

نوبخت جد الأسرة

أول مَنْ يُذكر من آل نوبخت ويشار إليه في كتب التاريخ هو نوبخت المجوسي الذي كان عاش عصر المنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ)، وإليه ينسب أعضاء هذه الأسرة الكبيرة، وكلهم أولاده. لذا سمّاهم المؤرخون والكتّاب المسلمون: آل نوبخت، أو بني نوبخت، أو النوبختيين.

وجاء في منظوم الشعراء ومنثور الأدباء الذين عاصروه أو كانوا قريبين من زمانه أنّ اسمه نوبخت، وصُبط بالياء أيضاً فقليل: نيبخت. ويبدو أنّ كليهما صحيح. وهذه الكلمة من المفردات الفارسيّة المركّبة، يعني الجزء الأول منها (نو): الطارِج والجديد، والثاني (بخت): الحظ. وتستعمل الكلمة بجزءيها في الفارسيّة المعاصرة بهذا المعنى أيضاً.

ولعلّ في الفارسيّة القديمة تلفظاً بين تلفّظ الياء المسبوقه بمتحرّك والواو المسبوقه بمتحرّك في العربيّة، ولما كان أداء ذلك متعذّراً حسب الهجاء العربيّ، فقد كانوا يقرأونه بالياء المسبوقه بمتحرّك تارة، وبالواو المسبوقه بمتحرّك تارة أخرى. ولا جرم أنّ كلا الصوتين لا يؤدّي التلفّظ المذكور تماماً، بيد أنّه لما كان أشبه بذلك الصوت من غيره، فقد أخرج بهاتين الصورتين. وفعل المسلمون العرب ذلك

في عدد من ضروب التلقظ الفارسيّة التي ينعلم نظيرها في العربيّة. وهذا موضوع لا يرتبط ببحثنا.

ونحن اليوم لا نعلم على وجه الدقّة كيف كانت تقرأ كلمة (نو) التي تؤلّف الجزء الأوّل من أسماء وأعلام فارسيّة مركّبة في العصر الساسانيّ، ذلك أنّ الأسماء والأعلام المذكورة جميعها وصلت إلينا بإملاء عربيّ، ولا يُعتمد على تلفظنا المعاصر من أجل فهم التلقظ القديم غير أنّنا نعرف أنّ المسلمين العرب كانوا يقرأون الكلمات ذات المقطع الأوّل المماثل لما مرّ بنا بالشكلين المذكورين آنفاً نحو (نوبخت) و (نيبخت)، و (نوروز) و (نيروز) وغيرهما.

وكان آل نوبخت ينسبون أنفسهم الى (گيو) بن (گودرز) بطل (الشاهنامه) المعروف. وأشار الشاعر المشهور البحريّ الى ذلك في قصيدتين من قصائده التي مدح بها عدداً من أفراد هذه الأسرة. منها قوله في مدح أبي الفضل يعقوب بن أبي يعقوب إسحاق النوبختيّ:

وإذا أبو الفضل استعار سجيّة	للمكرمات فمن أبي يعقوب
لا يحتذي خُلُقَ القصيّ ولا يرى	متشبهاً في سوددٍ بغريب
ثمضي صريمته وتوقد رأيه	عزّماّت جوذرز وسورة بيب ^١
شرف تتابع كابرأ عن كابر	كالرمح أنبواً على أنبوب ^٢
وأرى النجاة لا يكون تمامها	لنجيب قوم ليس بابن نجيب ^٣

وقال هذا الشاعر في قصيدة أخرى نظمها في مدح أبي الممدوح المذكور، أي: أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل بن عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت

١- جوذرز معرب. وهو أحد أشكال (گودرز) و (بيب) شكل آخر (گيو). وكان قلب الواو و (الغاف) الفارسيّة باء مألوفاً جداً على ألسنة الآريين.

٢- جرى هذا البيت في آل نوبخت مجرى الأمثال.

٣- ديوان البحريّ ١٧٦-١٧٧.

(المقتول سنة ٣٢٢هـ):

ما للمكارم لا تريد سوى أبي
والى أبي سهل بن نوبخت انتهى
نسباً كما اطردت كعوب مثقف
يفضي إلى ييب بن جودز الذي
أعقاب أملك لهم عاداتها
الوارثون من السرير سرائه
والضاريون بسهمه معروفة
يعقوب إسحاق بن إسماعيل؟
ما كان من غرر لها وحجول
لذن يزيدك بسطة في الطول
شهر الشجاعة بعد قرط خمول
من كل نيل مثل مد التيل
عن كل رب تحية مأمول
في التاج ذي الشرفات والإكيل^١

وكان نوبخت من معاصري المنصور العباسي . ولما كان المنصور أول حاكم عباسي اهتم بالتنجيم وأحكام النجوم ، ودعا المنجمين إليه ، وعمل بتوجيهاتهم ، فقد استقطب أيضاً نوبخت الذي كان على الدين المجوسي ، وحثه على اعتناق الإسلام

ولا يعلم أحد على وجه التحديد متى تعرّف نوبخت على المنصور ومتى انضوى إلى خدمته . و ذكر أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد^٢ (٣٩٢-٤٦٣هـ) ، والسيد رضي الدين علي بن طاووس (٥٨٩-٦٦٤هـ) في فرج المهموم^٣ أنّ نوبخت كان مسجوناً في الأهواز قبل أن يحكم المنصور ، أي : قبل سنة ١٣٦ هـ .

وحديث إسماعيل بن علي النوبختي تلميذه الحسين بن القاسم الكوكبي فقال له : كان جدنا نوبخت على دين المجوسية ، وكان في علم النجوم غاية وكان محبوساً بسجن الأهواز ، فقال : رأيت أبا جعفر المنصور وقد أدخل السجن ، فرأيت

١- ديوان البحري ١٧٧-١٧٩ . ٢- تاريخ بغداد ١٠ : ٥٤-٥٥ .

٣- مخطوطة في مكتبة الآستانة الرضوية المقدسة ، مشهد .

من هيبتة، وجلالته، وسيماه، وحسن وجهه، وبنائه ما لم أره لأحد قط. فصرت من موضعي إليه فقلت: يا سيدي، ليس وجهك من وجوه أهل هذه البلاد. فقال: أجل يا مجوسي. قلت: فمن أي بلاد أنت؟ فقال: من أهل المدينة. فقلت: أي مدينة؟ فقال: مدينة الرسول صلى الله عليه وآله. فقلت: وحق الشمس والقمر إنك لمن ولد صاحب المدينة! قال: ولكني من عرب المدينة. قال: فلم أزل أتقرب إليه وأخدمه حتى سأله عن كنيته. فقال: كنيتي أبو جعفر. فقلت: أبشر فوحو المجوسية لتملكن جميع ما في هذه البلدة، حتى تملك فارس وخراسان والجهال. فقال لي: وما يدريك يا مجوسي؟ قلت: هو كما أقول، فاذكري هذه البشري. فقال: إن قضى شيء فسوف يكون. قال: قلت: قد قضاه الله من السماء فطب نفساً، وطلبت دواة فوجدتها، فكتب لي... فلما ولي الخلافة صرت إليه فأخرجت الكتاب. فقال: أنا له ذاكر، ولك متوقع، فالحمد لله الذي صدق وعده، وحقق الظن، ورد الأمر إلى أهله. فأسلم نوبخت وكان منجماً لأبي جعفر ومولى^١.

وعلى الرغم من أن القرائن تدل على أن نوبخت قد التزم المذهب السنّي لا محالة، وهو المذهب الرسمي لحكام بغداد، بيد أن أولاده اشتهروا بالنشيع، أو أنهم عرفوا - في الأقل - بولاية آل علي على حدّ تعبير ابن النديم^٢. وسوف نرى أن عدداً منهم أصبح من كبار علماء الإمامية فارتقى ذروة المجد.

وكان نوبخت وابنه أبو سهل من خاصّة المنجمين عند المنصور. وعندما اعترم المنصور إنشاء بغداد (شرع في بنائها سنة ١٤٤هـ) وضع أساسها في الساعة التي اختارها نوبخت، حسب الأحكام النجومية^٣.

٢- الفهرست ١٧٧.

١- تاريخ بغداد ١٠: ٥٥.

٣- تاريخ بغداد ١: ٦٧؛ تاريخ يعقوبي ٢٣٨. VII. de Goeje, B. G. A. الآثار الباقية ٢٧٠: آثار البلاد ٢٠٩: الكامل ٥: ٤٣٦ (طبعة ليدن)، وكتب تاريخية وجغرافية أخرى،

Salmon, Introd. a la topog. de Bagdad p. 1/76.

وتحدّث الطبري عن وقائع سنة ١٤٥هـ، فقال في سياق حديثه المفصّل حول قتل إبراهيم بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب أخيه محمّد النفس الزكيّة: دخل نبيخت المنجّم على أبي جعفر المنصور قبل أن يبلغه مقتل إبراهيم، فقال له: الظفر لك وسيقتل إبراهيم. فلم يقبل ذلك منه. فقال له: احبسني عندك، فإن لم يكن الأمر كما قلت لك فاقتلني. فبينما هو كذلك إذ جاءه الخبر بهزيمة إبراهيم، فتمثّل بيت معقر بن أوس بن حمار البارقى:

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى كما قرّ عيناً بالأياب المسافر
فأقطع أبو جعفر نبيخت ألقي جريب بنهر جَوّبر^١.

ورد البيت المذكور الذي تمثّل به المنصور بعد اطلاعه على قتل إبراهيم بن عبدالله في مقطوعة نقلها أبو الفرج الإصفهاني في كتاب الأغاني^٢. وهذا البيت جرى مجرى الأمثال عند العرب، إذ يُستشهد به في المواطن اللازمة، وكانت عائشة قد أنشدته بعد استشهاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وتمثّل به المنصور بعد قتل أبي مسلم الخراساني^٣.

كان نهر جَوّبر من المناطق أو الطُسُوج - كما اصطُلع عليه الجغرافيون القدامى - القريبة من بغداد في الجانب الغربي من نهر دجلة^٤. ويبدو أنّ نوبخت وأولاده ابتنوا لهم دوراً وأنشأوا أبنية في الألفي جريب التي أقطعها المنصور نوبخت، إذ أثر أنّ لآل نوبخت - كما يستشفّ من القرائن - أملاكاً ودوراً في بعض ضواحي بغداد وأكناف دجلة، منها: حيّ (نهر طابق) وهو أحد الأحياء الغربيّة ببغداد^٥، ومنها:

١- تاريخ الطبري ٣: ٣١٧-٣١٨ (طبعة ليدن)، والكامل لابن الأثير، وقائع سنة ١٤٥هـ، وكتاب العيون ٢٤٨ في أجزاء من التاريخ العربيّ Fragmenta hist, arabicorum طبعة دغويه de Goeje ودبرنج

٢- الأغاني ١٠: ٤٦.

de Jong.

٣- حياة الحيوان ١: ٤٣٠، ٦٨، وكتاب الأذكياء لابن الجوزي ٥٣. وفيات الأعيان ١: ٣٠٧.

٤- الأغاني ٣: ١٦١.

٥- ابن خرداذبه ٧.

النوبختية^١. وكانوا يمتلكون منازل أيضاً قرب النعمانية (مدينة تقع بين بغداد وواسط على الساحل الغربي من دجلة)^٢.

وليس في أيدينا معلومات أخرى عن سيرة نوبخت غير ما ذكرناه آنفاً وما نقله الحاج خليفة في كشف الظنون، إذ أورد اسمه في عداد المؤلفين في الأحكام النجومية، ونسب إليه كتاباً في أحكام النجوم^٣.

وإذا صحّ ذلك، فمن المحتمل بعامة أن نوبخت عرب الكتاب المذكور من الفارسية البهلوية، إذ إنّ بعض المؤرخين جعله في جملة الأفراد الأوّل من أعضاء هذه الأسرة المنسوبة إليه الذين ترجموا الكتب من الفارسية البهلوية إلى العربية، ونقل ابنه أبو سهل عدداً من الكتب البهلوية إلى العربية. وفي ضوء ما قاله ابن النديم، فإنّه كان يعول في علم النجوم على كتب الفرس في هذا الفن^٤.

وكان نوبخت شيخاً كبيراً أيام المنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ). وقد أعاقته شيخوخته عن أداء مهامّه حقّ الأداء فحوّل المنصور ولده أبا سهل وظيفة أبيه. ويبدو أن نوبخت لم يعقب ولداً آخر غيره؛ لأنّ نسب آل نوبخت ينتهي إليه، ولم يذكر في الكتب والأشعار ولد لنوبخت سواه.

١- تجارب الأمم ٥: ٢٧١ و ٦: ١٩٧. وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي ٢٥٢.

٢- تاريخ يعقوبي ٣٢١. ٣- كشف الظنون ٥: ٣٥.

٤- الفهرست ٢٧٤.

الفصل الثاني

أبو سهل بن نوبخت

قلنا سابقاً إنّ نوبخت عندما شاخ وضعف ، وعجز عن خدمة المنصور جلس ابنه أبو سهل مجلسه في صحبة الحاكم العباسي بإشارة الحاكم نفسه .
وينقل أبو سهل أنّه لمّا مُثِّل بين يدي المنصور، تسمّى له (بخر شاذماه)^١،^٢،
و (طيماذما زرياذ)^٣ و (خسروا بهمشاذ)^٤. فقال له: كلّ ما ذكرت فهو اسمك؟ قال:
نعم . فتبسّم وقال: إمّا أن أقصر بك من كلّ ما ذكرت على (طيماذ)، وإمّا أن تجعل
لك كنية تقوم مقام الاسم، وهي أبو سهل . قال أبو سهل: قد رضيت بالكنية^٥،
فبقيت كنيته وبطل اسمه^٦.

وظلّ أبو سهل في خدمة المنصور منذ بناء بغداد (سنة ١٤٤هـ) على ما نقل

١- لاجرم أنّ هذه الكلمات مصحّفة ولذا يعسر فهمها. الجزء الأوّل من الكلمة الأولى (خورشيد) (شمس)
وكانت تكتب (خورشيد) بلا وار. و الألف بعد الخاء عربيّة كان يستعملها المؤلفون العرب أحياناً للتعبير
عن صوت الياء الفارسيّة المجهولة. ٢- خ. ل: خرخشاذ.

٣- خ. ل: مازارباد. ٤- خ. ل: خسروانهشاه.

٥- لعلّ اختيار هذه الكنية يعود إلى صعوبة تلفّظ الاسم الطويل، وهو ما تنبّه إليه المنصور.

٦- ابن أبي أصيبعة ١: ١٥٢، والقفطي ٤٠٩، ومختصر الدول ٢٢٤.

ياقوت . وهو الذي اختار الطالع عند إنشائها بأمر المنصور ، وخبره بما تدلّ النجوم عليه من طول بقائها وكثرة عمارتها وفقر الناس إلى ما فيها . وأعلمه أيضاً بخلة من خلالها ، هي : أنه لا يموت بها سلطان حتّى أنفه أبداً^١ .

ولبت أبو سهل عند المنصور من سنة ١٤٤ إلى سنة ١٥٨ هـ ، وهي السنة التي توفّي فيها المنصور . ولم يبارحه ، وكان من ندمائه ، ولازمه حتّى في آخر حجة حجّها ، وهي الحجة التي هلك فيها (٢٤ ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ) .

ونقل أبو سهل نفسه لولده إسماعيل أنه صاحب المنصور في آخر حجة حجّها ، ومعه ابن اللّجلاج طبيب المنصور الخاصّ . وعندما كان المنصور يخلد إلى النوم ، كان أبو سهل ينادم ابن اللّجلاج . وفسأل ابن اللّجلاج - وقد عمل فيه النبيذ - أبا سهل عمّا بقي من عمر المنصور ، فعزّ ذلك عليه وامتنع عن تناول النبيذ ، وعزم على الكفّ عن منادمة ابن اللّجلاج ، وهجره ثلاثة أيام . ثم اصطلحا بعد ذلك واستبدلا الصلح والصفاء بالتوتر والكدر . فلمّا جلسا يحتسيان النبيذ على عادتهما قال ابن اللّجلاج معاتباً أبا سهل : « سألتك عن علمك ببعض الأمور فَبَخِلْتَ به وهجرتني ، ولست أبخل عليك بعلمي فاسمعه » . ثمّ قال : « إنّ المنصور رجل مَحْرُور تزداد يُبوسةً بدنه كلّما أسنّ ، وقد حلق رأسه بالحيرة وجعل مكان الشعر الذي حلقه غالية ، وهو في هذا الحجاز يداوم الغالية ، وما يقبل قولِي في تركها ، ولا أحسبه يبلغ إلى قَيْد حتّى يحدث في دماغه من اليبس ما لا يكون عندي ولا عند أحد من المتطبّبين حيلة في ترطيبه ، فليس يبلغ قَيْد إنّ بَلغها إلّا مريضاً ، ولا يبلغ مكّة إنّ بَلغها وبه حياة » .

يقول أبو سهل : فوالله ما بلغ المنصور قيد إلّا وهو عليل وما وافى مكة إلّا وهو

١ - معجم البلدان ١ : ٦٨٥-٦٨٤ . ولم يصرّح الخطيب في تاريخ بغداد باسم هذا المنجم ، ونقل النبوءة المذكورة عن أحد المنجمين دون تصريح باسمه ، تاريخ بغداد ١ : ٦٧ .

ميت ، فدفن ببئر ميمون^١.

وعاش أبوسهل بن نوبخت بعد وفاة المنصور مدة ، وأدرك عصر هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ). وكان في بيت الحكمة أو خزانة الحكمة ، مركز اجتماع الفرس والشعوبية^٢.

قضى أبوسهل خمساً وعشرين سنة من عمره تقريباً في خدمة الحكام العباسيين الأول. ويبدو أنه توفي في أوائل حكومة هارون إذ لم يرد له ذكر منذ ذلك الحين ، كما لانجد له أثراً في شعر أبي نواس الذي كان يعيش بين ظهرائي آل نوبخت ، وكان معاشرراً لأولاده .

كان أبوسهل من المنجمين الفرس ، وأحد المترجمين من اللغة الفارسية البهلوية إلى العربية . ومؤله في النجوم على معلومات المنجمين الفرس وكتبهم في العهد الساساني . وذكر له ابن النديم الكتب السبعة الآتية :

١ - كتاب اليهبطان^٣ في الموالييد .

٢ - كتاب الفأل النجمي .

٣ - كتاب الموالييد (مفرد . وهو غير كتاب اليهبطان) .

٤ - كتاب تحويل سني الموالييد .

٥ - كتاب المدخل .

٦ - كتاب التشبيه والتمثيل .

٧ - كتاب المنتحل من أقاويل المنجمين في الأخبار والمسائل والموالييد وغيرها^٤.

١ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ١٥٢ . ٢ - الفهرست ٢٧٤ . طبقات الأمم ٦٠ .

٣ - ثمة اختلاف في قراءته : البهطمان والهمطان . وورد في المخطوطة العائدة للميرزا أبي عبد الله الزنجاني [كان عالماً فاضلاً معاصراً للمؤلف كما ذكر المؤلف ذلك] : اليهبطان كما تقدّم في النص .

٤ - الفهرست ٢٧٤ ، والقفطي ٢٥٥ .

و يبدو أنَّ أشهر هذه الكتب هو الكتاب الأول، أي: الیهبطان في الموالید. وقد نقل ابن النديم فصلاً كبيراً منه في كتاب الفهرست^١.

وضبط عنوان هذا الكتاب في النسخة المطبوعة من الفهرست: النهمطان، بيد أننا أثرنا ما ذكرناه آنفاً. وفي أقرب الاحتمالات أنَّ (یهبطان) إحدى الكلمات البهلویة المأخوذة من اللغة الآرامية، وقد ترجمت بالعربیة: (موالید)، والألف والنون في آخرها علامة الجمع بالفارسیة.

و ذكر ابن النديم أنَّ اسم (أبو سهل) هو الفضل، كما حكاہ القفطي أيضاً. و يبدو أنَّ هذا سهو، للأسباب الآتية: ١- إنَّ اسم (أبو سهل) قد أبطل من قبل المنصور العبَّاسي لطلوه فاخترت له هذه الكنية كما مرَّ بنا سابقاً. ٢- سنلاحظ أنَّ لأبي سهل ولداً يُدعى الفضل. ولعلَّ ابن النديم قد شُبَّه عليه إذ تصوَّر أنَّ أبا العبَّاس الفضل بن أبي سهل بن نوبخت هو أبو سهل بن نوبخت نفسه. ٣- لم يذكر المؤلفون في العصور المتأخِّرة اسم (أبو سهل) لضیاعه، وكان يشقَّ عليهم العثور على اسمه، حتَّى أنَّ المعاصرين والقريبين من عهده كانوا يجهلون اسمه^٢.

و ذكر أبو العبَّاس النجاشي صاحب الكتاب الرجالي المعروف اسم (أبو سهل) على أنَّه طيمارث، متردداً في ذلك^٣. وهذه الكلمة تصحيف لجزء من ذلك الاسم الطويل الذي أورده القفطي، وابن العبري، وابن أبي أصيبعة.

٢- عیون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ١٥٢.

١- الفهرست ٢٣٨-٢٣٩.

٣- رجال النجاشي ٢٩٠.

الفصل الثالث

أبناء أبي سهل بن نوبخت

كان لأبي سهل بن نوبخت أبناء كثيرون ، ذكرت أسماء عشرة منهم في كتب الأخبار والأشعار .

وهؤلاء جميعهم كانوا معاصرين للشاعر المعروف أبي نواس - كما سنأتي عليه - وكانوا على اتصال به . وهذا الشاعر الظريف الشهير طالما كان يتردد إلى بيوتهم متنعمًا بموائدهم ، وكان يمدحهم أو يهجوهم بما تمليه عليه قريحته الشعرية ، فكان الباعث على بقاء أسماء بعضهم ، وخلود ذكرهم في أخباره وأشعاره ، وفيما يأتي أسماء أبناء أبي سهل وأخبارهم :

١- إسماعيل

وهو أشهرهم ، وطارَت أخباره مع أبي نواس بنحو يفوق التصوّر . وهجاه هذا الشاعر السليط اللسان هجاءً ركيكاً . ويلاحظ في ديوانه أربع قصائد يهجو بها إسماعيل^١ . وأشهرها القصيدتان الآتيتان اللتان يصفه فيهما بالبخل واللؤم ، فيقول

١- ديوان أبي نواس ١٧١-١٧٢ طبعة القاهرة . و الجزء الأول من شرح ديوانه (مخطوطة في باريس).

في إحداهما :

ي إذا ما شَقَّ يُرِفا	خبز إسماعيل كالوش
مة فيه كيف يخفى	عجباً من أثر الصن
أَلُطْفُ الأُمَّ كَفَا	إِنْ رَفَاءَكَ هَذَا
ف من الجِرْدَقِ نِصْفَا	فإذا قابل بالنص
لا يُري مطعن أشفى	أَلُطْفُ الصنعة حتّى
ور ما غادرَ حرفا	مثل ما جاء من التذ
عملٌ أبدع ظرفا	وله في الماء أيضاً
ثر كي يزدادَ ضعفا	مَزْجُهُ العذب بماء الب
مثل ما يشرب صِرْفَا ^١	فهو لا يسقيك منه

و يقول في الأخرى :

فقد حلّ في دار الأمان من الأكلِ	على خبز إسماعيل واقية البخلِ
ولم يُرَ أوى في حزونٍ ولا سهلِ	وما خبزه إلّا كأوى يُرى ابنه
تُصوّر في بُسْطِ الملوك وفي المثلِ	وما خبزه إلّا كعنفاء مُغرِبِ
سوى صورةٍ ما إن تُمرّ ولا تُحلي	يُحدّث عنه الناس من غير رؤيةٍ
ومن كان يحمي عزّه منبت البقلِ	وما خبزه إلّا كُليب بن وائلِ
ولا الصوتُ مرفوعٌ بجذٍّ ولا هزلِ	وإذ هو لا يستبّ خصمانِ عنده
أصابَ كُليباً لم يكن ذاك من دُلّ	فإنّ خبزَ إسماعيل حلّ به الذي
بحيلةٍ ذي مكرٍ ولا فكرٍ ذي عقلٍ ^٢	ولكنّ قضاءً ليس يُسطاع ردّه

١- أخبار أبي نواس ١: ١٢٥-١٢٧، وشرح ديوانه لحمزة الإصفهاني، نسخة المكتبة الوطنية بباريس ١:

الورقة 252 b .

٢- أخبار أبي نواس ١: ١٢٧-١٢٨، وشرح ديوانه ج ١، وكتاب الحيوان للجاحظ ٣: ٤٠.

هاتان القصيدتان مشهورتان جداً بين الأدباء العرب لاسيما الثانية منهما. وهم ينقلونهما وينشدونهما على سبيل الاستشهاد، كما نجد أن أبا زيد المروزي عندما ذهب مع أبي حيان علي بن محمد التوحيدي إلى منزل ذي الكفایتين علي بن محمد بن العميد، واعتذر لهما حاجبه لانشغاله بأكل الخبز، تمثّل بالقصيدة الثانية^١. وتوهم مركليوث^٢ الذي طبع معجم الأدباء أنها لأبي زيد المروزي، وأنها أنشئت في الصحاح إسماعيل بن عباد، وذكر ذلك في ذيل الصفحة التي ورد فيها اسم إسماعيل، في حين هي لأبي نواس في ذم إسماعيل بن أبي سهل، وإثما تمثّل بها أبو زيد المروزي كما نصّ على ذلك ياقوت.

تعرّض أبو نواس إلى لوم الأدباء الذين جاؤا بعده بسبب هجائه إسماعيل وصفه إيّاه بالبخل، مع أنّه أكرمهم وضيّفه. ونجد الجاحظ لم يتوان عن ذم سلوكه ونكرانه للجميل^٣. علماً أنّ إسماعيل هذا فاق إخوته في خدمته لأبي نواس، وضبطه أخباره وأشعاره، وروايتها للناس. ونقل حمزة الإصفهاني وغيره أخبار أبي نواس عنه بعدة وسائل^٤. وأبو نواس نفسه عندما مدح إسماعيل، فإنّه أثنى على مجده و حلمه^٥.

وظلّ إسماعيل بن أبي سهل حيّاً ردحاً من الزمن بعد وفاة أبي نواس (القول الأصحّ سنة ١٩٩هـ)، وقال في حقّ هذا الشاعر: «ما رأيت قطّ أوسع علماً من أبي نواس، ولا أحفظ منه... ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلّا قمطراً فيه جزاز مشتمل على غريب ونحو لا غير».

عاش إسماعيل حتّى سنة ٢٣٢هـ في الأقلّ، وهي سنة وفاة الواثق العبّاسي.

٢- Margoliouth.

١- معجم الأدباء ٥: ٣٨٢.

٣- البخلاء ٧٧.

٤- شرح ديوان أبي نواس في مواضع متعدّدة، وأخبار أبي نواس ج ٢ (مخطوط)، وفيات الأعيان

٥- ديوان أبي نواس ١٠٦ (طبعة مصر سنة ١٣٢٣).

١: ١٩٩ طبعة de slane.

وكان من ندماء المأمون، ومن الأدباء الذين عاشوا في بلاطه^١. وروى عنه أحد تلاميذه، وهو أبو الحسن يوسف بن إبراهيم الكاتب الذي كان بدمشق سنة ٢٥٥هـ، وهو من خدم أبي إسحاق إبراهيم بن المهدي (١٦٣-٢٢٤هـ).

ونص الطبري على أن الواثق العباسي عندما احتضر سنة ٢٣٢هـ، استشير فيه جماعة من الأطباء والمنجمين، منهم الحسن بن سهل أخو ذي الرئاستين الفضل بن سهل السرخسي، وإسماعيل بن (أبي سهل) بن نوبخت^٢.

وخلط أبو الفرج بن العبري بين الحسن بن سهل السرخسي أخيه الفضل بن سهل، وبين إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت المذكورين في رواية الطبري وقال إن الحسن بن سهل بن نوبخت كان من المنجمين الذين حضروا عند الواثق حين احتضاره، في حين كان المقصود من الحسن المنجم كما ذكر الطبري - وورد في الكامل: الحسن بن سهل المنجم^٣ - هو أخو الفضل ذي الرئاستين الذي مات بعد الواثق بأربع سنين، أي في سنة ٢٣٦هـ وهو الذي كان يأتي الواثق أيام علته غالباً ويسأل عنه، ويتحدث معه حول أقسام الأغذية وضروب الأمراض^٤.

وحصل هذا السهو نفسه تقريباً لكثير^٥ الذي نشر قسماً من تاريخ بغداد لمؤلفه أحمد بن أبي طاهر طيفور عندما أراد أن ينظم دليلاً هجائياً للكتاب المذكور؛ علماً أن مؤلف الكتاب يقصد من الحسن بن سهل هو الحسن أخو ذي الرئاستين، إذ ذكره مرة بوصفه منجماً. وعدّه الناشر أيضاً في مسرد الكتاب من آل نوبخت، ومُني آخرون بهذا الخلط^٦.

١- تاريخ بغداد لابن طيفور ٢٩٩-٣٠٠. ٢- تاريخ الطبري ٤: ١٣٦٤.

٣- الكامل، وقائع سنة ٢٣٢هـ.

٤- الأوائل لأبي هلال العسكري، نسخة المكتبة الوطنية بباريس، الورقة a 184.

5 - Keller .

٦- L.Massignon, Passion d'al-Hallādī p.144، ومقدمة كتاب فرق الشيعة، صفحة ط.

٢- أبو أيوب سليمان

كان من ندماء أبي نواس ومضيفيه . روى قسماً من أخباره وأشعاره . ونقل حمزة الإصفهاني أكثرها في «شرح ديوان أبي نواس» ، كما أوردها ابن منظور المصري في الكتاب المتعلق بأخبار هذا الشاعر ، ويستبين من مقطوعة لأبي نواس أن سليمان كان يحكم الزاب أيضاً^١ ، وكان في عداد الشعراء المقلين . ونقل ابن النديم أن ديوانه يبلغ خمسين ورقة^٢ .

٣- داود

نقل قسماً من أخبار أبي نواس ، وكان من معاصريه^٣ .

٤- إسحاق

وهو جد المتكلم المعروف أبي سهل إسماعيل بن عليّ ، وأخيه أبي جعفر محمد لأبيهما ، وجد أبي محمد حسن بن موسى لأُمّه . وسنحدث عنهم قريباً .

٥ و ٦ و ٧- أبو الحسين عليّ ، وهارون ، ومحمد

كان عليّ من معاصري أبي نواس أيضاً ، وكان هذا الشاعر يمدحه^٤ . وعندما أنشد فيه مازحاً :

أبو الحُسين كُنِيته بحقِّ فإن صحفْتُ قلتُ أبو الحسينِ

لم يتحمّل ذلك منه ، إذ ليس له من الحلم ما كان لإخوته عبد الله ، وسليمان ،

١- ديوان أبي نواس المطبوع : ١٨٢ . ٢- الفهرست ١٦٦ .

٣- شرح ديوان أبي نواس ، مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس ، ج ٢ ، الورقة ٢٩٥ b .

٤- شرح ديوان أبي نواس ، ج ٢ ، الورقة ٥١٠ b ، وأخبار أبي نواس ، ج ٢ (مخطوط) .

و عباس، فانقلب عليه و لاحتقه ليعاقبه، ففرّ إلى بيت أخيه هارون بن أبي سهل، بيّد أنّ عليّاً أدركه فأخذه و طرحه على الأرض و ركله بشدة، و تدخل هارون فخلّصه من يد أخيه، و قال البعض إنّ أبا نواس مات بعد مدّة من جرّاء ذاك الركل^١.

و روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار نقلاً عن كتاب فرج المهموم للسيد رضي الدين عليّ بن طاووس أنّ هارون بن أبي سهل و أخاه محمّداً كتبا رقعة الى الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨هـ) على أنّهما من أولاد نوبخت، و أنّ أباهما و جدّهما أمّضيا أعمارهما في تحصيل النجوم، فهل يجوز الاشتغال بهذا الفن أم لا؟ فأجاب عليه السلام أنّه حلال^٢.

هذه الرواية تجانب الصواب تاريخياً، ذلك أنّ الإمام الصادق عليه السلام توفّي سنة ١٤٨هـ، أي: قبل هلاك المنصور بعشر سنين، و كان أبو سهل بن نوبخت والد هارون و محمّد - كما ذكرنا سابقاً حيّاً آنذاك، بل كان حيّاً حتّى سنة ١٧٠هـ - في الأقل - وهي السنة الأولى من حكومة الرشيد، فكيف يمكن حينئذٍ أن يذكر ولداً أبي سهل (من معاصري الأمين و أبي نواس) أباهما على أنّه ميّت قبل وفاته بثلاثين سنة تقريباً؟! فمن المحتمل - إذن - أنّهما كتبا هذه الرقعة إلى إمام آخر من أئمة أهل البيت عليه السلام و استفتياه في حليّة الاشتغال بعلم النجوم أو حرمة.

٨ - أبو العباس الفضل

كان من ندماء أبي نواس، و من المنجّمين المعاصرين لهارون الرشيد و المأمون^٣، له مصنّفات في النجوم أيضاً. و هو الذي أعلم المأمون بخطأ المنجّمين

١- أخبار أبي نواس، ج ٢ (مخطوط). ٢- بحار الأنوار ١٤: ١٣٢.

٣- طبقات الأئمّة ٦٠ و بحار الأنوار ١٤: ١٤٣ نقلاً عن فرج المهموم للسيد ابن طاووس و عيون أخبار الرضا ٣١٩-٣٢٠.

في اختيار الساعة التي تُفَوَّض فيها ولاية العهد إلى الإمام الرضا عليه السلام فامتعض منه المأمون ونهره، على قول مشهور. وكان السيد ابن طاووس قد طالع بعض كتبه النجومية، وشهد ببراعته في هذا الفن^١.

وكان أبو نواس يمدحه تارةً ويهجوه تارةً أخرى. وأشار في إحدى قصائده الهجائية إلى أنَّ للفضل بن أبي سهل بنتين توأمين^٢.

٩- عبد الله

هجاه أبو نواس في إحدى قصائده، فرد عليه أخوه سليمان بقصيدة أخرى. وهاتان القصيدتان في ديوان أبي نواس، وشرحه لحمزة الإصفهاني، وكتاب أخبار أبي نواس^٣. ونسب القفطي قصة إخبار المأمون بخط المنجمين - ومنهم الفضل ذو الرئاستين - إلى عبد الله، وذكر سهواً أنَّ أباه سهل. ونقل الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار حكاية عنه^٤.

١٠- سهل وابنه حسن

كان سهل من ندماء أبي نواس^٥. وابنه حسن من المنجمين المشهورين وله كتاب في النجوم عنوانه الأنواء^٦. وظنَّ عدد من المؤلفين أنَّه الحسن بن سهل السرخسي أخو ذي الرئاستين. ومن هؤلاء: ابن العبري الذي عدَّه مكان أخيه ذي الرئاستين، وذكر أنَّه أحد المنجمين الذين حضروا عند الواثق العباسي

١- فرج المهموم (مخطوط).

٢- شرح ديوان أبي نواس ج ١، ورقة 298 b، وأخبار أبي نواس ج ٢ (مخطوط).

٣- الديوان المطبوع ٣٤، وشرحه لحمزة ج ١، ورقة 45 b وأخبار أبي نواس ١: ١٩٩-٢٠٠.

٤- تاريخ الحكماء ٢٢٢.

٥- أخبار أبي نواس ١١١.

٦- الفهرست ٢٧٥.

ساعة احتضاره^١.

ولم يبقَ أثر من كتاب الأنواء المذكور الذي صنّفه الحسن بن سهل بن أبي سهل بن نوبخت. بيد أنّ أبا سعيد بن منصور بن عليّ بن بُندار الدماغيّ الذي كان يعيش في أوائل القرن السادس الهجريّ له كتاب في أحكام النجوم نقل فيه أقوال حسن. وتحتفظ مكتبة مدرسة سپهسالار (سابقاً) في طهران بنسخة من الكتاب المشار إليه المصنّف في سنة ٥٠٧هـ^٢.

أبونواس وآل نوبخت

أبونواس الحسن بن هانيّ الشاعر العذب اللسان الفارسيّ الأصل الذي قلّما كان شاعر مثله - في قرون ما بعد الإسلام - في لطافة قوله وجمال ألفاظه وظرافته وذوقه، كما يستشفّ ذلك من ديوانه وشرحه النفيس لحمزة الإصفهانيّ. وكان على اتّصال وثيق بآل نوبخت، ويُمضي أكثر أيامه في منازلهم، ويحتسي معهم الخمر متمتعاً بنعمة وكرم أولئك النبلاء المحبّين للفضائل. وأشار أبونواس نفسه إلى ذلك مراراً، وسمّى آل نوبخت ندماءه على الشراب^٣، بيد أنّه لم يتورّع عن الإساءة إليهم وذمّهم بما كان عليه من خليقة الهجاء وذلاقة اللسان. فهجا أبناء أبي سهل - لاسيّما إسماعيل - بسفساف من الشعر، وبلغ به الأمر أنّه قدح بأعراضهم. وكان بينهم من أوتي قريحة شعريّة كسليمان بن أبي سهل، فلم يسكت بل كان يردّ على هذا الشاعر الخليع هجاءه ويذمّه ويعتفه، وهذا التعنيف كان يغضب أبانواس بدلاً من أن يذكره بسوابق نعم آل نوبخت وفضلهم عليه، فيثب إلى هجاء بني أبي سهل بشعر أكثر حدّة وقذاعة، كما نجد ذلك عندما هجا زرين زوجة أبي سهل

٢- گاهنامه ١٩٣٢ م، ص ١٦١.

١- مختصر الدول ٢٤٥.

٣- شرح ديوان أبي نواس، ج ١، الورقة 253 b.

جدة النوبختيين، فقال في آخر مقطوعة بذئمة جداً، وهو يردّ عليهم:

سَيَقِي بقاء الدهرِ ما قلتُ فيكمُ و أما الذي قد قُلتُموه فَرِيحُ^١

وإنَّ من عجائب الدهر حقاً أن تبقى هذه الأبيات القبيحة المبتذلة التي مرَّ عليها ما يزيد على ألف ومائتي سنة كما تنبأ أبو نواس بذلك، ولم يبق من الكتب الثمينة التي صنَّفها آل نوبخت إلا كتاب أو كتابان. والأعجب من ذلك أنَّ البيت المذكور جرى مجرى الأمثال، وتداولته الألسن في عصر حمزة الإصفهاني^٢.

إنَّ الخصومة التي ظهرت في نهاية المطاف بين أبي نواس وأبناء أبي سهل ودفعت الشاعر إلى قذعهم، جعلت البعض يتهم آل نوبخت بأنهم قد دسَّوا له السمَّ، فذهبت جماعة إلى أنَّ آل نوبخت سمَّوه لمقطوعة نظمها زبور الكاتب أحد معاصريه في هجاء الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وأتباعه، ونسبها إليه ورواها عنه. ورأت جماعة أخرى أنَّ إسماعيل بن أبي سهل قام بذلك لهجاء أبي نواس إياه والذته، ووصفه بالرفض والبخل. وقال آخرون إنَّ موته كان بسبب ضربة تلقَّاه من عليّ بن أبي سهل في دار أخيه هارون^٣. ومهما يكن من شيء فإنَّ دور آل نوبخت في موت أبي نواس يكتنفه الغموض تماماً. ولمَّا لم يهتمَّ كبار الكتاب والمؤرِّخين بذكر ذلك، فلنا أن نعدّه في سياق الطعون التي وجَّهها أعداء آل نوبخت إليهم.

وعندما توفي أبو نواس استبق أبناء أبي سهل إلى تجهيزه، وكان كلَّ منهم يودُّ أن ينال شرف ذلك، حتَّى آل الأمر إلى إجماعهم على المساهمة فيه برمتهم^٤، كما أنشدوا شعراً في رثائه أيضاً^٥.

٢- شرح ديوان أبي نواس ج ٢، الورقة h 405.

٤- نفسه، ج ٢ (مخطوط).

١- أخبار أبي نواس ١: ٢٠٠.

٣- أخبار أبي نواس ج ٢ (مخطوط).

٥- شرح ديوان أبي نواس ج ٣، الورقة h 208.

ولمّا كان أبو نواس معاشراً لأولاد أبي سهل بن نوبخت مستأنساً بهم، وكان يضيفهم غالباً، فإنّهم كانوا أقدر من غيرهم على جمع أخباره وأشعاره، بخاصّة أنّهم كانوا قاطبةً أولي علم وأدب. فكانوا يشترون تلك الأخبار والأشعار مهما بلغت قيمتها، ويجمعونها.

وإذا كان أبو نواس لم يُراعِ الدقّة الكافية في ضبط أشعاره، فتبعثر قسم منها وضاع^١، فإنّ آل نوبخت دونوها مع أخباره ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وتناقلوها في أسرّتهم مشافهة، وزوّدوا بها من جاء بعدهم في القرون التالية ممّن كان يُعنى بتدوين أخبار أبي نواس وأشعاره. ومن هؤلاء: الأديب والمؤرّخ المشهور أبو عبد الله حمزة بن الحسن الإصفهانيّ (المتوفى بين سنة ٣٥٠ و ٣٦٠ هـ) الذي شرح ديوانه شرحاً نفيساً جدّاً، وجمع أقواله، وأخذ معظم أخباره وأشعاره من آل نوبخت مباشرة، إذ سافر من أجل ذلك إلى بغداد ثلاث مرّات. وفي سفرته الثالثة، أي سنة ٣٢٦ هـ، طلب نسخة ديوانه التي كان آل نوبخت قد جمعوها، فطالعتها واستنسخها^٢. ثمّ إنّه أرشدوه إلى من جمع أخباره وشعره، مضافاً إلى النسخة التي أتخفوه بها. ومن هؤلاء الذين أخذ منهم قسماً من أخباره وأشعاره: المهلهل بن يَموت بن المؤرّع أحد الشعراء البارعين، وحفيد أخت الجاحظ... وكان مهتماً بجمع شعر أبي نواس، ويبدو أنّه كان يرمي من وراء ذلك إلى تأليف كتاب في السرقات الشعرية لهذا الشاعر وفي تحايله. وتحفظ مكتبة اسكوريال في إسبانيا بنسخة من كتاب المهلهل المذكور^٣.

وتلاحظ في عدد من الكتب أسماء النوبختيين الذين نقلوا أخبار أبي نواس وأشعاره عن أجدادهم، أي أولاد أبي سهل بن نوبخت، وموّنوا بها أمثال حمزة

١- شرح ديوان أبي نواس ج ١، الورقة b 4. ٢- نفسه، ج ٢، الورقة b 199.

الإصفهاني، وأبي بكر الصوليّ جامعي ديوانه أو الرواة الآخرين. وفيما يأتي هذه الأسماء:

- ١ - أبو طالب النوبختي^١.
 - ٢ - محمد بن روح^٢.
 - ٣ - أبو محمد الحسن بن موسى^٣ (وفاته بين سنة ٣٠٠ و ٣١٠ هـ).
 - ٤ - يعقوب بن إسحاق بن إسماعيل بن أبي سهل^٤.
 - ٥ - أبو سهل إسماعيل بن علي^٥ (٢٣٧-٣١١ هـ).
 - ٦ - أبو محمد حسن بن حسين^٦ (٣٢٠-٤٠٢ هـ).
 - ٧ - علي بن إسحاق بن إسماعيل^٧.
- وسنذكر في الفصول الآتية ترجمتهم.

١- شرح ديوان أبي نواس ج ٢، الورقة 271 h .
٢- نفسه ج ٣، الورقة 281، وكتاب الموشّع للمرزباني ٢٧٤.
٣- الموشّع ٢٧٤.
٤- نفسه.
٥- أخبار أبي نواس ج ٢ (مخطوط).
٦- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧: ٤٤٣.
٧- نفسه ١: ١٥٦.

الفصل الرابع

ظهور علم الكلام والمتكلمين الأول

أشرنا في مقدّمة كتابنا إلى أنّ عدداً من النوبختيّين كانوا في مصافّ المتكلمين الكبار بين الإماميّة. وتزامن عصرهم مع اندفاع الفرق الإسلاميّة المختلفة للانطلاق بآرائها ومقالاتها ومناظرة مناوئها. ونفقت يومئذٍ سوق المباحثة والمجادلة والمناظرة تماماً بسبب ترجمة كتب الإغريق في الفلسفة والمنطق، والكتب الدينيّة لغير المسلمين ومقالاتهم، بخاصّة الزنادقة، وأتباع ماني، وأصحاب مرقيون^١،

١- كان مرقيون (Marcion) أحد علماء النصارى في القرن الثاني الميلاديّ، وقد كُفّر من قبل النصارى بوصفه مرتدّاً، وتُبد من ساحتهم. فابتدع له مذهباً جديداً أساسه مقتبس من الدين المسيحيّ لكنّه يغيّره بإنكار سماويّة القسم الأعظم من العهد القديم وقسم من العهد الجديد، واعتقاده بالثنويّة، أي مبدئيّ النور والظلمة. وقال هذا الرجل: لما كان هذان المبدآن متضادّين لا يمكن اجتماعهما، فلا بدّ من مبدأ ثالث أوطأ درجة من النور وأعلى من الظلمة يكون بينهما فيمتزج بهما فينشأ العالم من هذا الامتزاج. وينقسم العالم في عقيدة مرقيون إلى ثلاث طبقات، كلّ واحدة فوق الأخرى؛ فالطبقة العليا مقرّ الله الرحمن، والسفلى نطاق المادّة، والوسطى التي هي فوق الأرض مركز قدرة الله الخالق، أي موجد العدالة والشرعية، الذي أوجد الإنسان من المادّة على صورته. ويعرف أتباع مرقيون بالمرقونيّة، وهم ينتشرون في إيطاليا، ومصر، والشام، وإيران. وظلّوا في تلك البلدان بعده بمدة. للتعرف على موجز من عقائد هذه الفرقة، انظر: الفهرست ٣٣٩؛ الملل والنحل ١٩٥-١٩٦؛ التنبيه والاشراف

وابن ديسان^١، وابن سُمْنِيَّة^٢، والبراهمة، واليهود، والنصارى، والمجوس. ولم

→ ١٠١، ١٢٧، ١٣٥؛ الفصل لابن حزم ١: ٣٦؛ بحار الأنوار ٢: ١٠٨-١٠٩؛ مقالات الإسلاميين ٣٣٢ و ٣٣٨؛ Burkitt, Religion of the Manichees 80-84.

١- كان ابن ديسان (١٥٤-٢٢٢هـ) Bardesane أحد حكماء الشام. وهو بارثي المحتد. نزح أبواه من بلاد فارس إلى مدينة الرّها (أورفا الحالية) Edesse، فولد فيها ونُسب إلى نهر ديسان في الرّها المذكورة. تنصّر سنة ١٧٩هـ، فكان من أكبر المدافعين عن النصرانية أمام المناوئين وأهل البدعة بخاصة أتباع مرقيون. ثم اخترع آراء وعقائد لم يرضها النصارى فأعلنوا ارتداده. وكان شاعراً وفلكياً ومؤرخاً. وكان يرى رأي الثنوية ويقول: النور فاعل الخير اختياراً والظلام فاعل الشرّ اضطراراً. ويصدر الحسن والخير والنفع والرائحة الطيبة عن النور عموماً، ويصدر القبح والشرّ والضرّ والعفونة الكلية عن الظلام. والنور حيّ وعليم وقادر وحساس ودّاك، ومنه الحركة والحياة. والظلام ميت وجاهل وعاجز وجامد ولا يقبل التطبيق والتمييز. وتوزع الديسانية على الصين، وخراسان، ومناطق القسم الأسفل من الفرات، أي البطائح. وكان منهم جماعة في عراق العرب في القرن الثالث الهجري. وكان أبو شاذر الديساني من مشاهيرهم. وقد نسب نفسه إلى الإمامية. وكان معاصراً للمتكلم الإمامي الكبير أبي محمد هشام بن الحكم (المتوفى سنة ١٩٩هـ).

واقبس ماني كثيراً من عقائد مرقيون، وابن ديسان. ولذلك بعد هذان الشخصان عادة من المتقدمين على ماني، ويذكر هؤلاء الثلاثة غالباً في نسق واحد. وكان المترجم والكاتب المانوي المعروف عبد الله بن المقفع متهماً بتعريب كتب هؤلاء الثلاثة ونشرها بين المسلمين. (مروج الذهب ٨: ٩٢٣). للتعرف على سيرة ابن ديسان وعقائده انظر: الفهرست ٣٣٨-٣٣٩، والملل والنحل ١٩٤-١٩٥، والفصل لابن حزم ١: ٣٦، وتليس إبليس ٤٧-٤٨، والتنبيه والأشرف ١٣٠ و ١٣٥، والانتصار ٣٩-٤٣. وبحار الأنوار ٢: ١٥٦. ومقالات الإسلاميين ٣٠٨، ٣٣٢ و ٣٢٧ و ٣٣٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠.

W. Wright, syriac Literature 28-30. Burkih, opcit. 70-79.

٢- السُمْنِيَّة مشتقة من السُمن. وهو إما اسم مؤسس هذه الفرقة، أو اسم صنمهم على ما يذهب إليه بعض اللغويين الإسلاميين. ظهرت هذه الفرقة بادئ الأمر في الهند. ولعل المذهب السمني مستنبط من الأديان الهندية أساساً. ويعتقد السمنيّة بقدّم العالم وتناسخ الأرواح، وينكرون النظر والاستدلال. وكانوا يقولون: لا طريق إلى معرفة الأشياء إلاّ الحواس الخمس. وكانوا يكثرّون في الصين، والهند، وخراسان. وناظر أحد مشاهيرهم المدعو جرير بن حازم الأزدي المتكلم المعتزلي المعروف عمرو بن عبّيد (٨٠-١٤٤هـ) في البصرة في القرن الثاني الهجري (الأغاني ٣: ٢٤). للتعرف على عقائد هذه الفرقة، انظر: الفهرست ٣٤٥، ومفاتيح العلوم للخوارزمي ٢٥ طبعة مصر. والفرق بين الفرق ٣٤٦، وشرح المقاصد ١: ٣٣.

تأل الفرق الدينيّة جهداً في تأليف الكتب والرسائل للدفاع عن دينها والردّ على عقائد المخالفين . وبلغ اهتمام الناس بهذا الموضوع أنّ كلاً منهم كان يظهر وجوده على هذا المسرح بمقدار جهده ونفوذه وفهمه وتفكره ، بدءاً بالحكام وأركان الحكومة ، وانتهاءً بالكسبة والحرفيين من الذين كانوا أولي فهم وإدراك لمثل هذه الموضوعات . وما من أحد إلّا ورغب في الموضوع المشار إليه .

وكان على المسلمين أن يردّوا على المعترضين بجواب مقنع دامغ من جهة ، ويوضّحوا المبادئ الدينيّة توضيحاً تاماً من خلال التقرير المنطقيّ البين وتصنيف الكتب المتقنة من جهة أخرى ، وذلك من أجل الدفاع عن مبادئ الدين الإسلاميّ صدىً لتعرّض المناوئين أو حوولاً دون التغلغل الفكريّ لبعض حديثي العهد بالإسلام ، الذين لم ينسوا عقائد آبائهم الأوّلين مع قبولهم الشريعة المحمّديّة وتظاهروا بالإسلام ، وكانوا يتلمّسون طريقاً للتوفيق بين عقائدهم الباطنيّة والمبادئ الإسلاميّة . والمسلمون إنّما يفعلون ذلك لئلاّ يضلّ الناس من جهة ، ولكي يوصد الباب على المغرضين من أهل البدعة والمتظاهرين بالإسلام من جهة أخرى . وكان هذا الدفاع عملاً ترى عامّة الفرق الإسلاميّة أنّ القيام به واجب دينيّ وتكليف شرعيّ . وعلى الرغم من خلافاتها العامّة في بعض الأصول والفروع إلّا أنّها كانت تسهم في هذا الميدان باسم الدفاع عن الإسلام ودحض أهل الخلاف والبدعة . وكان آل نوبخت - كما سنرى - من أعلام الإماميّة في هذا الميدان ينافحون عن المبادئ الإسلاميّة التي تنسجم مع عقائد الإماميّة بأقلامهم وألسنتهم وأعمالهم . ولما كان متكلمو كلّ فرقة من الفرق الإسلاميّة يومذاك قد دونوا عقائدهم منقّحة ، وتركوا لأتباعهم عملاً منجزاً ، وذلك بعد المناظرات الكثيرة ، والبحث والجدل مع الخصوم ، والتركيز في العمل ، وإكمال المصطلحات ، ووضع الحدود والرسوم لكلّ موضوع من الموضوعات الخلافيّة ، فإنّ مكانة المتكلمين من آل نوبخت تستبين جيّداً في تقرير وتدوين المبادئ المذهبيّة للشيعة . وعلى الرغم

من أننا نأسف إذ لم يصل إلينا من الكتب الكلامية لهذه الجماعة إلا كتاب أو كتابان - في حدود اطلاعي - يئد أنها كانت متداولة بين علماء الإمامية الذين جاؤا بعدهم ، وكانت مصدراً للطائفة الإمامية من أجل كسب العلم والمعرفة .

ونقرأ أنّ عدداً من كبار متكلمي الشيعة وعلماء الإمامية كشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) ، والسيد الأجل علم الهدى الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين (٣٥٥-٤٣٦هـ) ، والشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦-٤١٣هـ) ، وأبي الجيش مظفر بن محمد البلخي (المتوفى ٣٦٧هـ) ، وأبي الحسين علي بن وصيف الناشئ الأصغر (٢٧٠-٣٦٥هـ) ، وأبي الحسن محمد بن بشر السوسنجردی، قد أخذوا العلم من أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي (٢٣٧-٣١١هـ) بصورة مباشرة أو غير مباشرة ؛ فقد كان الشيخ الطوسي تلميذ الشريف المرتضى ، والشريف تلميذ الشيخ المفيد ، والشيخ المفيد تلميذ أبي الجيش ، وأبو الجيش تلميذ أبي سهل إسماعيل^١ . وشرح العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي (٦٤٨-٧٢٦هـ) - وهو أحد علماء الإمامية الكبار - وعبد الحميد بن أبي الحديد (٥٨٦-٦٥٥هـ) - وهو من معتزلة بغداد وأدبائهم ومتكلميهم العظام ، وكان قريباً من الشيعة في كثير من العقائد - الكتاب الكلامي المشهور «الباقوت» للشيخ أبي إسحاق النوبختي ، ونشر فيه آراء المؤلف مفصلاً . ونقل الشيخ الصدوق في كتاب كمال الدين فصلاً من كتاب التنبيه لأبي سهل إسماعيل . ويستشهد ابن أبي الحديد ، والعلامة الحلبي ، والمجلسي في كتبهم بالأقوال الكلامية لآل نوبخت .

إنّ ترجمة المتكلمين النوبختيين وتعداد مصنفاتهم والإشارة إلى المسائل الخلافية بينهم وبين مخالفين الإمامية ، كلّ ذلك جعلنا نلتقي بكثير من الموضوعات

والمصطلحات الكلامية . فلا بدّ لنا إذن من أن نتحدّث في هذا الفصل قليلاً عن تاريخ ظهور علم الكلام بين المسلمين ، وأحوال مشاهير المتكلمين الأول من الشيعة توضيحاً لهذا الموضوع . وهدفنا من هذا التمهيد تثبيت ملاحظات تاريخية فحسب ، إذ إنّ البحث في المسائل الكلامية ليس من شأن هذا الكتاب ، كما أنّي لا أراني أهلاً للخوض في هذا الموضوع الخطير . من هذا المنطلق أرجو القراء الواعين أن يغضّوا الطرف إذا ما وجدوا خطأً أو خطأً ، ولا يؤاخذوني بإساءة الظنّ بي ؛ فإنّي أقرّ بقلّة بضاعتي وقصور باعي .

لم يظهر في عصر رسول الله ﷺ أيّ خلاف يؤدّي إلى الجدل والنزاع وانقسام المسلمين إلى فرق مختلفة ، بسبب نفوذ النبي ﷺ وقدرته المطلقة ، وتحمّس المسلمين وشوقهم إلى نشر الشريعة والأحكام الدينية ، ووجود العنصر العربيّ وحده في المجتمع الإسلاميّ . وكان رسول الله يعالج عامّة المشاكل ، وأمره الساميّ متّبع ، وطاعته واجبة على كلّ مسلم ، وليس لأحد أن يعصيه ويتمردّ عليه . بيّد أنّه ما إن رحل إلى ربّه حتّى نشب الخلاف بين الصحابة حول الإمامة ، أي تعيين الخليفة بعده ، وهو بعد لم يجهّز . وعلى الرغم من أنّ كبار الصحابة حاولوا أن يحولوا دون هذا الأمر ، فلم يتيسّر لهم ذلك ، وقد زادت أهميّة على تواتر الأيام ، حتّى غدا من أكبر مواطن الخلاف بين المسلمين .

يضاف إلى الخلاف المحتوم في الإمامة - وهو ما سنتحدّث عنه قريباً - بروز خلافات أخرى أيضاً في فروع الدين والشؤون الدنيوية . وقد تيسّر رفعها عاجلاً بفضل اقتدار الصحابة ، وكان علاج هذا الضرب من الخلافات يومئذ يتحقّق بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية . فإذا ما نقل الصحابيّ حديثاً نبوياً ، أو روى ما سمعه من النبيّ أو رآه منه في موضوع خلافيّ معيّن ، فليس لأحد أن يماري ، لأنّ عامّة المسلمين كانوا يفكّرون بنسب واحد ، ولم يفتح أمامهم طريق الشبهة والتفكير في المسائل الدينية لمحدوديتهم بالعنصر العربيّ ، ومعرفتهم التامة

بدقائق اللغة العربيّة ورموزها وبالأسلوب القرآني، وعدم اطلاعهم على طريقة التفكير عند غير العرب، وعدم اختلاطهم بالمتحضّرين من سائر الأقطار. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نهى الصحابة بشدّة عن تأويل الآيات المتشابهة والتفسير بالرّأي، بخاصّة أنّ المسلمين كانوا مشغولين في الجهاد والفتوحات وإدخال الناس في الإسلام. ولم يستتب الهدوء في المجتمع الإسلاميّ يومئذٍ فيكون المجال مفسوحاً لمثل هذا اللون من النقاش والتفكير. لذلك كان معظم الخلافات يطرأ في حقل فروع الدين والعبادات والمعاملات، ويتيسّر علاجه بالرجوع إلى الصحابة والاستشهاد بالآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة.

وظهر الشعور بالحاجة إلى تعريف الإيمان والإسلام تعريفاً تامّاً في عصر أبي بكر، بعد ارتداد عدد كبير من سكّان الجزيرة العربيّة وظهور المتنبّئين وذلك لتمييز المسلمين الحقيقيّين من المرتدّين والذين تمرّدوا على الأحكام الإسلاميّة، فتستبين المبادئ التي إذا اتّبعها الإنسان كان مؤمناً ومسلماً حقيقيّاً، وإذا خالفها واجترح السيئات كان في عداد المرتدّين والكفّار. واكتسبت هذه المسألة أهميّة فائقة فأوجدت التفرقة والانقسام بين المسلمين بعد سلسلة من الأعمال المشينة التي مارسها عثمان، وبعد قتال طلحة والزبير وعائشة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وظهور الخوارج، وحكومة معاوية غير الشرعيّة، وتحزّكاته المشاكسة. وانقسم المسلمون بعد مقتل عثمان ومبايعة أكثر الناس عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى ثلاث فرق هي:

١ - فرقة ثبتت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ممثلة بأوامره.

٢ - فرقة اختارت الحياد واعتزلت. وعدد أفرادها ضئيل جداً.

وهؤلاء لم ينصروا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه، ولم يخذلوا مناويّه. واعتزلوا «الفتنة» على حدّ تعبيرهم فسّموا المعتزلة. وينبغي ألاّ نحسب هذه الفرقة الضئيلة المحايدة فرقة كبيرة كسائر الفرق التي ظهرت فيما بعد. ومن أفراد هذه

الفرقة: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وأسامة بن زيد بن الحارث الكلبي، والأحنف بن قيس، وغيرهم.

٣- فرقة تَمَرَّدت على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مطالبة بدم عثمان، وتعرف هذه الفرقة بالعثمانية. وترأسها طلحة والزبير وعائشة بنت أبي بكر زوجة رسول الله. وقد قضى عليهم الإمام عليه السلام في واقعة الجمل سنة ٣٦هـ، فقتل طلحة والزبير، وفرّ الباقون من أعوانهم، والتحقت جماعة منهم بمعوية، وناووا أمير المؤمنين عليه السلام مع أهل الشام، ونصبوا معاوية إماماً لهم، فنشبت حرب صَفَيْن سنة ٣٧هـ، وانتهت بالتحكيم كما نعلم. وبعد إعلان نتيجة التحكيم مرفت جماعة من أصحاب الإمام كانوا على بيعته فخطأوا قبول التحكيم، ونقضوا بيعه الإمام وخرجوا عليه. ومع أن خلقاً كثيراً قُتل منهم في وقعة النهروان (سنة ٣٩هـ) لكنهم لم يتركوا عقائدهم. وزاد عددهم على مرور الأيام حتّى أصبحوا فرقة كبيرة في مقابل أهل السنة والجماعة والشيعة، ومن ثمّ أثاروا المتاعب للمسلمين، وتفرّعت منهم فرق عديدة.

وعندما استشهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (سنة ٤٠هـ) كانت هناك فرقة صغيرة هم الشيعة الذين كانوا يؤمنون بإمامة الإمام وخلافته بعد النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وكانوا يَزَوْن أن حقّ الخلافة لآل عليّ عليه السلام. يضاف إلى ذلك أن سائر المسلمين وأتباع طلحة والزبير وعائشة قد اتحدوا مع أصحاب معاوية الذين كانوا يؤلفون السواد الأعظم من المسلمين، فعُرفوا بالمرجئة. وضمت هذه الفرقة أصحاب البلاط والمقتاتين على قُتات مائدة معاوية، وأنصار الغالب. أعني من التّف حول معاوية. وكانت عقيدتهم أن أهل القبلة جميعهم مؤمنون ما أفرّوا بالشهادتين ظاهراً، وأن ارتكاب الخطيئة لا يضرّ الإيمان كما أن الكفر لا يزول بالطاعة. ولا يحقّ لأحد أن يحكم على أهل الكبائر بأنهم في النار أو في الجنة، وإنما ينبغي تأجيل حكمه إلى يوم القيامة، وإرجاء عذابه إلى ذلك اليوم.

إن عقيدة المرجئة في الإمام الذي يخلف الرسول هي أنّه إذا اختير شخص

للإمامة بالإجماع، فإنّ كلامه نافذ، وأمره مفترض الطاعة، ولا تشترط عصمته من الخطأ. وكانت هذه العقيدة في مصلحة معاوية والحكّام الأمويّين بعده تماماً. ولهذا السبب يقال للمرجئة فرقة الأمويّين الحكوميّة. ولمّا كان الشيعة والخوارج متمتعين شديد الامتعاض من الأمويّين لممارساتهم المشينة وإقحامهم النصارى في الأعمال، فإنّ المرجئة دعمت بني أميّة، وكان لها شأنها أيّام تسلّطهم، وما إن أُلوى بهم الدهر حتّى فقدت مكانتها. وكان أبو حنيفة النعمان بن ثابت من أعضاء هذه الفرقة في العراق، وهو الذي ابتدع المذهب الحنفيّ أحد المذاهب السنيّة الأربعة.

المعتزلة

نشط التفكير في أصول المذهب، وإثارة الشبهات، وتأويل الآيات القرآنيّة تدريجاً في أواسط العصر الأمويّ من قبل جماعة من المسلمين غير العرب، أو من قبل الأشخاص الذين عاشروا الأمم الأجنبيّة الكافرة وأخذوا منهم بعض الآراء والعقائد. وكان موضوع القضاء والقدر والجبر والتفويض هو الموضوع المهمّ جدّاً الذي توجّهت إليه الأنظار. وظهرت أوّل شبهة في هذا الميدان أيّام حكومة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ)، وكان معبد بن عبد الله الجهنّيّ هو الذي أثارها، إذ عارض المجبّرة أو الجبريّة وأتى بكلام يخالف فيه عقيدة أهل الجبر.

وكان المجبّرة يقولون إنّ العبد غير قادر على أيّ فعل بل هو مجبور ومقهور على ذلك، والله هو الذي يُحدث الفعل عند ظهوره من العبد، ونسبة أفعال الخير والشرّ إلى الناس نسبة مجازيّة. وكما نقول مجازاً: يجري النهر وتدور الرّحى، فكذلك ننسب الفعل إلى الإنسان عن طريق المجاز. وكانوا يؤوّلون بعض الآيات القرآنيّة لإثبات دعواهم.

وأنكر معبد الجهنّيّ الذي أخذ عقيدته من رجل فارسيّ يدعى سنبويه نسبة

أفعال الخير والشر إلى القضاء والقدر. وقال: إِنَّ الإنسان قادر تماماً قبل أن يَصْدُرَ منه الفعل، وهو مختار مستطيع في أفعاله، وقد فَوَّضَ الله إليه فعله، وهذا هو الذي يُدعى بالتفويض.

وعُرف أتباع معبد الجهنّي بالقَدَرِيَّة، بَيدَ أَنَّ المعتزلة الذين أقروا برأي معبد فيما بعد تبرّأوا من هذا اللقب وكانوا يقولون: لَمَّا كُنَّا ننكر القدر ونخطئ نسبته إلى الله تعالى، فينبغي أن يُدعى مخالفونا بهذا الاسم، وهم الجبريّة الذين يعتقدون بالقضاء والقدر، ولكنّ الجبريّة أبوا ذلك. وكلتا الفرقتين المتخالفتين كانت تبرّأ بشدّة من الاشتهار بهذه الصفة، لأنّ رسول الله ﷺ لعن القَدَرِيَّة وقال: **القَدَرِيَّةُ مَجْهُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ** ١.

قيل: إِنَّ معبد الجهنّي قتل في البصرة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٠هـ. وقيل: بل قتله عبد الملك بن مروان في دمشق.

وجاهر بهذه العقيدة أيضاً رجال آخرون غير معبد الجهنّي، منهم غيلان الدمشقي، ويونس الأسواري، والجعد بن درهم. وأوّل هؤلاء بعض الآيات القرآنيّة لتأييد رأيهم بزعمهم. ولكن هذه المقالة الجديدة لم تكن لتقبل بسرعة دون اعتراض أصحاب الحديث والسنة. من هذا المنطلق تبرّأ منهم عدد من الصحابة الذين كانوا أحياء يومئذٍ، وأوصوا أخلافهم أن لا يسلموا على القدريّة، ولا يصلّوا على موتاهم، ولا يعودوا مرضاهم ٢.

وقُتِلَ غيلان الدمشقيّ على يد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)، كما قُتِلَ الجعد بن درهم على يد خالد بن عبد الله القسريّ والي العراق وخراسان (المقتول سنة ١٢٦هـ)، لكنّ عقائدهما لم تندثر. وكان عدد أتباعهما يزداد على كروار الأيّام بخاصّة عند ما تبنّى أبو حذيفة واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ) تلميذ الحسن بن يسار

البصريّ (٢١-١١٠هـ) - وهو من الموالى الفرس - آراء معبد و غيلان ، فأوجد حركة كبيرة في العالم الإسلامي يومئذ .

وعندما كان الحسن البصريّ مشغولاً بالتعليم والوعظ في البصرة ، وكان الناس يستفيدون كثيراً من فصاحته وعلمه ومواعظه في ذمّ الدنيا ، وضرورة الاعتبار بها ، وقد توجّه إليه جماعة كثيرة من المسلمين لزهد وتقواه ، ثارت فرقة من الخوارج يعرفون بالأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق على الأمويين بزعمه قُطْرِيّ بن النُّجاء . ولَقِبَ قُطْرِيّ نفسه : أمير المؤمنين ، فانشغل بجمع الخوارج الأزارقة وحرّضهم على بني أميّة . واستولى على الأهواز ، وحدثت اشتباكات بينه وبين ولاية الأمويين حوالي البصرة ونهر الكارون . ثم أُجْلِيَ عنها من قبل المهلب بن أبي صفرة في أوائل حكومة الحجاج بن يوسف الثقفيّ على العراقيين .

ونشب خلاف شديد بين المسلمين أئام فتنة الأزارقة حول حكم المذنبين . ولكلّ فرقة منهم رأي في هذا الموضوع :

١ - كان الأزارقة يقولون إنّ من ارتكب ذنباً من المسلمين وغيرهم مشرك يجب قتله وقتل أطفاله ونسائه ، سواء كان ذنبه صغيراً أم كبيراً .

٢ - كانت فرقة أخرى من الخوارج تدعى الصفريّة ، ترى رأي الأزارقة في مرتكبي الذنوب ، إلّا أنّها لم تجوّز قتل الأطفال .

٣ - كان التّجدات ، وهم فرقة من الخوارج ، يقولون : إذا ارتكب أحد ذنباً حرّمته ثابتة ، وأجمع عاتمة المسلمين على ذلك ، فهو مشرك . ولكنّه إذا ارتكب ذنباً لم يجمع المسلمون على حرّمته ، كأن يقال مثلاً إنّّه لم يعلم بحرّمته ، فلا بدّ من الامتناع عن الحكم عليه ما لم يحصل الدليل والحجّة القاطعة ، ويفوّض أمره إلى الفقهاء .

٤ - كان المرجئة وأكثر علماء التابعين يرون أنّ مرتكب الكبيرة مؤمن مادام يقرّ بالأنبياء والكتب السماويّة وحقانيّة الأحكام الإلهيّة . ولكنّه يعدّ فاسقاً لارتكابه الكبيرة ، والفسق لا يغيّر الإيمان والإسلام .

٥ - كان الحسن البصريّ وأتباعه يذهبون إلى أنّ مرتكب الكبيرة منافق، والمنافق أسوأ من الكافر الذي يظهر كفره أضعاف المرات .

أمّا واصل بن عطاء فإنّه رفض هذه الآراء التي حكم أصحابها بكفر المذنبين وشركهم أو بإيمانهم وإسلامهم، وجاء برأي وسط بين الاثنين، فقال: إنّ مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن، بل هو في منزلة بين المنزلتين؛ لأنّ الإيمان عبارة عن مجموعة من الخصال الصالحة إذا اجتمعت في رجل فهو مؤمن . وإذا لم تجتمع فهو فاسق ولا يمكن أن يسمّى مؤمناً . ولكن لما كانت فيه خصال صالحة أخرى، وهو لا ينكر الشهادتين، فلا يصحّ إنكار هذه الصفات، وإطلاق اسم الكافر عليه . وإنّ مرتكب الكبيرة في الحقيقة خارج عن صفّ الكفّار والمؤمنين معتزل إليّاهم، ولا يحسب على أحد منهم، بيد أنّ مرتكب الكبيرة إذا خرج من الدنيا بلا توبة فهو في الآخرة من أهل جهنّم، ذلك أنّ الناس يومئذٍ فريقان: إمّا في السعير وإمّا في الجنة، مع فارق أنّ عذابه سيخفّف، ومستقرّه خير من مستقرّ الكفّار .

وعُرفت عقيدة واصل بن عطاء، منذ ذلك التاريخ، بالمنزلة بين المنزلتين وبالاعتزال كما عُرف أتباعه بأهل الاعتزال أو المعتزلة . ولما أظهر هذه العقيدة، طرده الحسن البصريّ من درسه . وأفلح واصل في استمالة تلميذ آخر من تلاميذ الحسن إليه، هو عمرو بن عبّيد بن باب (٨٠-١٤٤هـ) الذي كان من الموالي الفرس أيضاً، فتعاون الاثنان على تأسيس فرقة المعتزلة الكبيرة .

وقد طرح واصل بن عطاء وعمرو بن عبّيد آراء خاصّة في التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد ماعدا عقيدتهما في التفويض، والاعتزال، وإنكار القدر . وأقرّت عقائدهما في هذه المسائل من قبل عامّة المعتزلة . وعلى الرغم من بروز بعض الخلافات بين أفراد هذه الفرقة في الفروع ممّا أدّى إلى انقسامها إلى فرق معقّدة، بيد أنّ أصول العقائد التي وضعها واصل وعمرو، وعرفت بالأصول الخمسة، ظلّت

محفوظة . ولا يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة^١ .
وهذه الأصول هي :

١- التوحيد: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ ليس بجسم ولا عَرَض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر، بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر. وإنَّ شيئاً من الحوائس لا يدركه في الدنيا، ولا في الآخرة. وإنَّه لا يحصره المكان، ولا تحويه الأقطار بل هو الَّذي لم يزل ولا له زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حدّ. وإنَّه الخالق للأشياء المبدع لها لا من شيء، وإنَّه القديم، وإنَّ ما سواه حادث» .

٢- العدل: «إِنَّ اللهَ لا يحبّ الفساد، ولا يخلق أفعال العباد، بل يفعلون ما أمروا به ونُهِوا عنه بالقدرة الَّتِي جعلها الله لهم وركَّبها فيهم. وإنَّه لم يأمر إلا بما أراد ولم يَنْهَ إلا عَمَّا كَرِه. وإنَّه وَلِيَّ كُلِّ حسنة أمر بها، بريء من كُلِّ سيئة نهى عنها، لم يكلفهم ما لا يطيقونه، ولا أراد منهم ما لا يقدرُونَ عليه. وإنَّ أحداً لا يقدر على قبض ولا بسط إلاّ بقدرة الله الَّتِي أعطاهم إياها، وهو المالك لها دونهم، يفنيها إذا شاء، ويبقيها إذا شاء. ولو شاء لجبر الخلق على طاعته، ومنعهم اضطرارياً عن معصيته وكان على ذلك قادراً، غير أنَّه لا يفعل إذا كان في ذلك رفع للمحنة وإزالة البلوى». وعرف المعتزلة بأهل التوحيد والعدل، لإصرارهم على تعريفهما وتقريرهما ومناظرتهما المجسَّمة والمشبهة والمجبَّرة وغيرهم في هذا الموضوع.

٣- الوعد والوعيد: «إِنَّ اللهَ لا يَغْفِر لمرتكب الكبائر إلاّ بالتوبة. وإنَّه لأصادق في وعده ووعيده، لا مبدّل لكلماته» .

٤- المنزلة بين المنزلتين: مرّ شرحه .

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «أمّا القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو أنَّ ما ذُكر على سائر المؤمنين واجب، على حسب

استطاعتهم في ذلك ، بالسيف فما دونه ، وإن كان كالجهاد . ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق^١ .

وجاء بعد واصل بن عطاء ، وعمر بن عبيد تلاميذهما وأتباعهما ، كأبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف (١٣١-٢٣٥هـ) ، وأبي سهل بشر بن المعتمر (المتوفى سنة ٢١٠هـ) ، وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام (المتوفى بين ٢٢١ و ٢٣١هـ) ، وثمامة بن الأشرس (عاصر هارون والمأمون) ، وهشام بن عمرو القوطي (كان معاصراً للمأمون) ، وأبي الحسين عبدالرحيم بن محمد الخياط (النصف الثاني من القرن الثالث) ، وأبي موسى عيسى بن صبيح المردار (من معاصري بشر بن المعتمر) ، وأبي محمد جعفر بن مبشر (المتوفى سنة ٢٣٤هـ) ، وأبي الفضل جعفر بن حرب (المتوفى سنة ٢٣٦هـ) ، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ) ، فنشروا الأصول الخمسة المذكورة في مركزهم المهمين : البصرة وبغداد ، بعد شرحها وتفصيلها . وعلى الرغم من خلافاتهم الكثيرة مع شيوخهم الأول ، وخلافاتهم فيما بينهم ، لكنهم عرفوا جميعاً بالمعتزلة في مقابل الفرق الإسلامية الأخرى ، ومخالفهم غير المسلمين . ودافع كلهم عن الأصول الخمسة ، مع فوارق طفيفة كانت تقربهم إلى الشيعة تارة ، وإلى أصحاب السنة والمرجئة تارة أخرى .

وعندما أظهر واصل بن عطاء ، وعمر بن عبيد الأصول المذكورة في أيام حكومة يزيد بن الوليد بن عبد الملك (سنة ١٢٦هـ) ، فإن هذا الحاكم الأموي تبنى عقائدهما ، فالتفت حوله المعتزلة ، وفضلوه في الدين على سائر الأمويين بما فيهم عمر بن عبدالعزيز . وكان يزيد أول حاكم انحاز إلى المعتزلة . ثم سار سيرته عدد من الحكام العباسيين أيضاً .

علم الكلام

شاعت بين المسلمين أفكار أجنبية وأساليب جديدة في الفكر والاستدلال بعد تأسيس الحكومة العباسية والاهتمام بترجمة كتب الشعوب غير العربية وانتشار الكتب اليونانية في الفلسفة والمنطق، وبث المقالات الدينية للأمم غير المسلمة. وتعظم نفوذ تلك الأفكار والأساليب في هذا العصر تدريجاً، وكانت قد برزت في أواخر العصر الأموي؛ بمعاشرة المسلمين للأمم غير المسلمة ومناظرتهم إياهم، فاستحرّ الخلاف بين الفرق الإسلامية أكثر من ذي قبل.

ونلاحظ أنّ كتب ماني، ومرقيون، وابن ديسان قد انتشرت بين الناس إبان حكومة المهديّ العباسيّ (١٥٨-١٦٩هـ)، وصنّف بعض الزنادقة عدداً من الكتب في تأييد المذهب المانويّ، والمرقيونيّ، والديصانيّ، ومن هؤلاء: عبدالكريم بن أبي العوجاء، وحمّاد عجرد، ويحيى بن زياد، ومطيع بن إياس^١. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان عدد من المسلمين الذين درسوا الفلسفة اليونانية واشتغلوا بالبحث والاستدلال في أصل كلّ شيء ومبدئه قد تحدّثوا في ذات الباري تعالى وصفاته، وذهبوا إلى ضرورة النظر والاستدلال واتباع الفلاسفة المتميّزين بشدّة الذكاء واتّقاد الفكر، وذلك بغية التخلّص من عار العاميّة وتقليد الأسلاف والتوقّف عند ظواهر الشرع^٢.

إنّ الأحكام الشرعيّة في الإسلام، بعامّة، إمّا أن ترتبط بالعمل والطاعة، أو بالمعرفة والاعتقاد. وتسمّى الأولى: الأحكام الفرعيّة أو العمليّة، وتُدعى الثانية: الأحكام الأصليّة أو الاعتقاديّة، ويعدّ البحث في مسائل العبادات والأحكام العمليّة من الفروع، والبحث في الاعتقادات والمعرفة من الأصول. ومن بحث في

المعرفة والتوحيد فهو أصولي، أما من بحث في الطاعة والشرعة فهو فروعِي^١. وكان المسلمون بادئ الأمر في غنى عن تدوين أحكام الشرع وتنظيمها فصولاً وأبواباً وتقسيمها فروعاً وأصولاً، بفضل سماع الأخبار من صاحب الشرعة، إذ كانوا يستهدون بوجوده، وكذلك بسبب قلّة الخلافات، وسهولة الرجوع إلى الصحابة والثقة لقربهم من عصر البعثة. إلى أن ظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع، وإبداء الآراء الظاهرة المختلفة وعرض الفتاوى المتنوعة. فمست الحاجة إلى زيادة نظر والتفات إلى تدوين الأحكام الشرعية وتقريرها. وطبق أولو الاستدلال والنظر يستنبطون الأحكام ويبذلون الجهود في تحقيق العقائد الدينية وتمهيد أصولها وقوانينها وحججها وبراهينها، وتدوين المسائل بأدلتها، والسبب بأجوبتها. وسمي العلم الحاصل عبر هذا الطريق: الفقه. وعُرف القسم المرتبط بالاعتقادات منه بالفقه الأكبر. وأُطلق على الأحكام العملية غالباً: الفقه، وعلى الاعتقادات: علم التوحيد والصفات؛ لأنّ أشهر مباحثه وأسمائها هو مبحث التوحيد والصفات. وسمي هذا العلم أيضاً: علم الكلام؛ لأنّ مباحثه كانت مصدرة بقولهم: «كلام في ذكر المبحث الفلاني أو في ذكر فلان». والكلام هنا يعني الشرح والبيان والاستدلال العقلي^٢. يضاف إلى ذلك أنّ أشهر الموضوعات الخلافية في هذا العلم الجديد هو البحث في كلام الله: هل هو قديم أم حادث. فكان علماء الكلام يقولون: إنّ علم الكلام يجعل المرء قادراً على تحقيق الشرعيات كما أنّ علم المنطق يزيده قدرته في تحقيق الفلسفيات، ناهيك عن أنّ الحاجة إلى الكلام في البحث في الشرعيات وردّ المخالفين هي أكثر من الحاجة إلى أي شيء آخر، كما أنّ الاستدلال في هذا المقام يبدو مقتصراً على الكلام. وكان يسمّى أقوى الكلامين

١- الملل والنحل ٢٨ وشرح المقاصد للفتازاني ٦.

٢- انظر: كتاب الانتصار ٧ للوقوف على أدلة هذا الموضوع.

وأثبتهما كلاماً بنحو مطلق^١

ونضج علم الكلام عند المسلمين في الفترة الممتدة بين عصر المهديّ وعصر المأمون (١٥٨-٢١٨هـ)، إذ إنّ المهديّ عندما رأى انتشار مقالات أتباع ماني، ومرقيون، وابن ديسان، حتّى أهل الجدل والبحث على تصنيف الكتب في دحض عقائدهم وإقامة البراهين على نقض شبهاتهم، وتوضيح الحقّ لضعاف الإيمان، وذوي الشكّ والتردد^٢. وكان المأمون يجالس أهل الكلام وهو الذي لم يُخَفِّ تعلقه بعقائد المعتزلة. وكان يدعو أرباب الجدل والمناظرة إلى بلاطه. كما كان يشجّع الناس على تعلّم آداب البحث والمجادلة وصنعة الاستدلال^٣.

إنّ علم الكلام، في اصطلاح الواضعين له، هو العلم الذي يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام. وهذا القيد الأخير هو الذي يتناوله الفلاسفة ويميّزه عن علم الكلام^٤. لإخراج العلم الإلهيّ وكان من يشتغل بهذا العلم يقال له: متكلم.

إنّ ظهور علم الكلام الذي ينبغي أن نعدّ بدايته مع بزوغ نجم المتكلمين المعتزلة، بخاصّة أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام المولع بفلسفة اليونان، حمل الفقهاء من أصحاب الحديث والسنة على مناوئته بشدّة. وكان هؤلاء يقولون إنّ مناظرات المتكلمين تنتهي آخر المطاف بالشكّ والإلحاد والخروج عن الإسلام؛ لذلك يجب الاحتراز بقوة عن الاشتغال في الكلام، كما يجب الرجوع إلى القرآن والسنة النبويّة في أمر الإيمان. وكان الشافعيّ يقول: لو أنّ عبداً ارتكب عامّة النواهي ماعدا الشرك لكان خيراً له من النظر في الكلام. وكان أحمد بن حنبل يعدّ

٢- مروج الذهب ٨: ٢٩٣.

٤- التعريفات للجرجاني ٨٠.

١- شرح المقاصد ٦.

٣- نفسه ٢٩٥.

علماء الكلام زنادقة ، ولا يرى أَنَّ المشتغلين في الكلام من أهل الفلاح^١.

١ - كان مخالفو أهل الكلام - أي أصحاب الحديث والسنة - يقولون : حَسْبُ المسلمين في الهداية إلى الإيمان ودفع الضلال ما وصل إليهم عن الآباء والأسلاف بطريق النقل ، وينبغي أن تيسر معرفة الاعتقادات بالأدلة السمعية ، أي الأدلة التي استخرجها السابقون من القرآن والأحاديث النبوية وأوصلوها إلينا . يضاف إلى ذلك أَنَّ إجماع المسلمين أيضاً حجة في كل أمر ، وتجب طاعته واتباعه . وكان هؤلاء يرون عدم الاستعانة بالعقل في أصول الدين والبحث فيها ؛ إذ إنَّ العقل قاصر عن فهم هذه المسائل ، ولا بدَّ من الإقرار بأحكام الدين كما وصلتنا لانزید فيها ولا ننقص شيئاً . وينبغي الاحتراز - عند الحديث عن صفات الله - عن ذكر الكيفية ، وتشبيه ذاته المقدسة بالأشياء . وعلى الرغم من هذا النهي الشديد نجد أَنَّ فريقاً من المتكلمين يستخدم في تأويل الآيات القرآنية وبيان ذات الله تعالى وصفاته كلمات تشم منها رائحة التشبيه والتجسيم . وهذا الفريق الذي عُرف بالمشبهة والمجسمة لم يسلم من سخط عامة المسلمين وأولي النظر والاستدلال ، ذلك أَنَّ هؤلاء كانوا يذهبون إلى أَنَّ الله لا يشبه عباده في أي صفة من صفاته . وكل صفة موجودة فيه تخالف مثلها في الإنسان . على سبيل المثال ، يختلف علم الله وقدرته وإرادته عن علم الإنسان وقدرته وإرادته . ويقال لهؤلاء : أهل التنزيه .

٢ - فتح المعتزلة باب الاستدلال العقلي في المناظرات الأصولية على عكس أصحاب السنة والحديث . وذهبوا إلى أَنَّ الأدلة العقلية أو اليقينية ضرورية لمعرفة الاعتقادات ، ومن هذا المنطلق رفضوا إثبات الصفات بوصفه مخالفاً للتوحيد ، كما رفضوا الاعتقاد بالقدر بوصفه مغايراً للعدل ، ودوّنوا أصول عقائدهم بالنظر والاستدلال .

٣ - ظهرت فرقة أخرى بين الزهاد والعباد والمعرضين عن الدنيا، في مقابل أنصار الأدلة النقلية والعقلية. وكان أسلوبها في معرفة ذات الباري تعالى تصفية الباطن وتزكية النفس، عن طريق الرياضات^١ والمجاهدات^٢. وكانت ترى أنّ أداة ذلك الخطرات^٣، والوساوس^{٤، ٥}. وتتلخّص عقيدة هذه الفرقة المعروفة بأهل الكشف أو المتصوّفة في مراعاة أربعة أصول، هي: رياضة النفس، ومجاهدة الطبع، ومنعه من الأخلاق الرذيلة، ودفعه إلى الأخلاق الحميدة كالزهد، والحلم، والصبر، والإخلاص، والصدق، وهي التي من فاز بها حُسّن ذكره في الدنيا، وأدرك ثواب الآخرة^٦.

وفي البدء كان معظم المسلمين يراعون هذه الأصول. وإذا زعم المتصوّفة أنّهم أوّل من عرف الله بالرياضة والمراقبة والتفكير، فإنّ مقالاتهم التي انتشرت عنهم، واعتقادهم بالحلول ووحدة الوجود، ورغبتهم في السماع والرقص وغيرهما ممّا تغلغل بينهم، كلّ ذلك دفع جماعة من العلماء والمتكلّمين إلى ردّه

١- الرياضة عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية، فإنّ تهذيبها عن خلطات الطبع ونزعاته. (التعريفات للجرجاني ٥٠؛ اصطلاحات الفتوحات المكيّة ملحق الكتاب ١١٧).

٢- المجاهدة حمل النفس على المشاقّ البدنيّة ومخالفة الهوى على كلّ حال. (التعريفات ٨١. اصطلاحات الفتوحات المكيّة ١١٧).

٣- الخطرات والخطاير والخواطر جمع الخطرة والخطارة والخطر: ما يرد على القلب من الخطاب أو الوارد الذي لا عمل للعبد فيه. وما كان خطاباً فهو أربعة أقسام: ربانيّ وهو أوّل الخواطر. وهو لا يخطئ أبداً، وقد يعرف بالقوّة والتسلّط وعدم الاندفاع. وملكيّ: وهو الباعث على مندوب أو مفروض. ويسمّى: إلهاماً. ونفسانيّ: وهو ما فيه حظّ النفس ويسمّى هاجساً. وشيطانيّ: وهو ما يدعو إلى مخالفة الحقّ وارتكاب الفحشاء والمعاصي (التعريفات ٤٣، و اصطلاحات الصوقيّة ١٥٧).

٤- الوسوسة: الكلام الخفيّ الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع. (مجمع البحرين ٣٥٢).

٥- تليّس إبليس ١٧٤، الفهرست ١٨٣، معجم الأدباء ٢: ٢٧٩.

٦- تليّس إبليس ١٧٣. أوّل من اشتغل في علم الكلام ببغداد على مذاق المتصوّفة أبو حمزة محمد بن

إبراهيم الصوفي (المتوفى سنة ٣٦٩هـ) تاريخ بغداد ١: ٣٩٣.

عقائدهم ، فتمهّدت الأرضيّة في كثير من المدائن الإسلاميّة لإيذائهم .
 وبلغ المعتزلة ذروة عزّهم واقتدارهم في الفترة الواقعة بين حكم المأمون
 وحكم المتوكّل (١٩٨-٢٣٢هـ) ، ذلك أنّ المأمون كان عارفاً بعلم الكلام ، ومن
 محبّي البحث والجدل في المسائل الدينيّة . وكانت له صداقة عامّة مع المعتزلة .
 وتُقل عنه دعوته المتكلمين من مناطق مختلفة إلى بغداد وحثّهم على المناظرات
 في المسائل الاعتقاديّة . كما طلب كتب الفلسفة اليونانيّة من الخارج وشجّع
 المترجمين على ترجمتها وشرحها . وكان يمضي معظم أوقاته مع أبي إسحاق
 إبراهيم بن سيّار النّظام ، وأبي الهذيل الغلاف ، وثُمّامة بن الأشرس ، وأبي عبد الله
 أحمد بن أبي دؤاد الإياديّ (المتوفّى سنة ٢٤٠هـ) ، وهم من رؤساء المعتزلة الكبار .
 وهذا ما جعله يتعلّق بالمعتزلة تعلّقاً قلبياً ، ويناصر عقائدهم بسبب تلك المعاشرة ،
 لكنّه لم يُبدِ تعصّباً يذكر في هذا المجال ، بل كان يرغب كثيراً في أن يتناظر متكلمو
 الفرق المختلفة فيما بينهم ويثبتوا حقانيّة عقائدهم بإقامة البرهان والحجّة . وهو
 نفسه كان يقول : غلبة الحجّة أحبّ إليّ من غلبة القدرة ؛ لأنّ غلبة القدرة تزول بزوالها
 وغلبة الحجّة لا يُزيلها شيء^١ .

وقيل إنّ المأمون ركن إلى الاعتزال بواسطة ثُمّامة بن الأشرس^٢ . وقرب إليه
 أحمد بن أبي دؤاد الذي كان في عداد الشعراء والمتكلمين والفصحاء أُولي الشأن ،
 وفوّض إليه القضاء . وكان يحترمه احتراماً بالغاً حتّى إنّه أوصى أخاه المعتصم أن
 يستشير في أموره جميعاً ، ولا يختار وزيراً غيره .

وكان أحمد بن أبي دؤاد من تلاميذ واصل بن عطاء . وساعد نفوذه في حكومة
 المأمون ، وميل المأمون إلى الاعتزال على أن يمسك المعتزلة بزمام الأمور تقريباً .

١- تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ ١٠ : ١٨٦ .

٢- الفرق بين الفرق ١٥٧ .

و حاولت هذه الفرقة أن تستغلَّ منصب أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، وميل المأمون إلى عقائدها فتفرض أفكارها على مخالفيها بواسطة العاملين في الجهاز الحكومي . واستمرَّ هذا الوضع من سنة ٢١٨ إلى سنة ٢٣٢هـ حيث جلوس المتوكِّل على العرش .

الاعتقاد بخلق القرآن

أصدر المأمون في ربيع الأوَّل سنة ٢١٨هـ أمراً إلى شرطته بامتحان القضاة والمحدِّثين - وهو ما كان يعرف بالمحنة - وذلك بمؤازرة أحمد بن أبي دؤاد ومستشاريه الآخرين من المعتزلة ؛ فمن قال منهم بخلق القرآن أقرَّ على عمله ، وقُبِلت شهادته ، ومن خالف هذه العقيدة فلا تقبل شهادته وحكمه . وكتب المأمون وابن أبي دؤاد رسائل عديدة إلى الأمصار الخاضعة للحكم العبَّاسي في تنفيذ هذا الحكم ، وأكدَّا ذلك كثيراً .

وكان هناك خلاف عام بين الفرق الإسلاميَّة في القرآن ؛ ففي حين كانوا يتفقون على أنَّ الله تعالى متكلِّم ، أي متَّصف بصفة الكلام كانوا يختلفون في معنى الكلام وحدوثه وقَدَمه ، إذ إنَّ لكلَّ منهم رأيه الخاص في هذا الموضوع ؛ فأصحاب الحديث والسنة يزَّعمون أنَّ كلام الله قديم وأزليّ وليس مخلوقاً . وعلى الرغم من أنَّ الإمام أحمد بن حنبل المروزيّ (١٦٤-٢٤١هـ) إمام أهل الحديث في عصر المأمون والمعتصم والرائق يذهب إلى ما ذهب إليه المعتزلة والشيعة أنَّ كلام الله حروف وأصوات تركَّب بعضها على بعض للإفهام ، بيِّد أنَّه كان يقول أيضاً إنَّ هذا التركيب من الحروف والأصوات ثابت في عالم الأزل بهذا الشكل ، قائم بذات الباري تعالى . وإنَّ المسموع من أصوات القراء ، والمرئيّ من أسطر الكتاب نفس كلام الله تعالى القديم ، حتَّى أنَّ بعض أتباعه كان يعتقد أنَّ كلَّ نسخة من نسخ

القرآن، بل غلافها أيضاً أزلّي^١، وكان الإمام أحمد بن حنبل نفسه لا يرى مصلحة في البحث في هذا الموضوع أساساً، إذ يعدّه مخالفاً لسيرة السلف، وكان ينهى أتباعه عن الخوض به^٢.

وذهب المعتزلة والشيعة إلى سُخْف هذه العقيدة، وذكروا أنّ الكلام فعل الله، فلا يمكن القول بقدمه وأزليّته، بل القرآن مخلوق وحادث. ومعنى قولنا: إنّ الله متكلم أنّه يُوجد الكلام في بعض الأجسام. ويقول أبو الحسين الخياط المعتزليّ: لعمرى أن لو عاش النبي ﷺ في زمان المعتزلة لَنَصَّ لأُمّته على خلق القرآن نصّاً مفسّراً^٣.

كان البحث في كلام الله - وهو ما احتدم بعد ظهور الأشاعرة - من أوّل وأهمّ المباحث التي حام حولها الجدل بين المسلمين. ولمّا كان هذا المبحث مطروحاً بين الفرق الإسلاميّة قبل انتشار كتب الفلسفة، ولم يهتمّ به الفلاسفة كثيراً، فإنّ البعض يرى أنّ علم الكلام عُرِف بهذا الاسم للسبب المذكور.

وكان الاعتقاد بقدم القرآن عامّاً تقريباً في أواخر العصر الأمويّ. ولم يجروا أحد على معارضته. وكان الجعد بن درهم أوّل من عارضه، إذ أظهر الاعتقاد بخلق القرآن. وذكرنا سابقاً أنّه قُتل في أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) لهذا السبب.

وشاع الاعتقاد بخلق القرآن في زمن هارون الرشيد بسبب نفوذ المعتزلة، غير أنّ قدرة الرشيد وتعصّبه حالاً دون جهر المعتزلة برأيهم هذا، بخاصّة أنّه كان يقتل كلّ من يتظاهر بهذه العقيدة شرّاً قتلة.

وأصبح هذا الاعتقاد علنيّاً في عصر المأمون، كما ذكرنا ذلك سابقاً. وانحاز

٢- تليس إبليس ٩٤.

١- شرح المقاصد ٢: ٩٩.

٣- الانتصار ١٦٠.

المأمون إلى أصحاب هذا الاعتقاد، بل قطع شوطاً في هذا المجال بشدة وتعصب، ومهد هو وأعضاء حكومته الأرضية للتضييق على المعارضين، وبلغت محنة القضاة والشهود والمحدثين أشدها.

وكان الإمام أحمد بن حنبل أكثر الناس إصراراً على عقيدته القديمة، ومعارضة رأي المأمون والمعتزلة^١. ولم يقر بهذا القول على الرغم من تشدد شرطة المأمون إلى أن صُفد وأشخص إلى المأمون الذي كان يومئذ في الشام، ولكنه لم يصل إليه إذ نُعي إليهم المأمون وهو في الطريق، فأرجع إلى بغداد.

وحذا المعتصم حذو أخيه المأمون في هذا الموضوع، إذ ظلَّ الاعتقاد بالقرآن في عهد المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) على ما كان عليه في عصر أخيه. وبلغ أحمد بن أبي دؤاد منصب قاضي القضاة أيام المعتصم، فاستخدم سلطته في هذا المجال أكثر من السابق. وتفاقت الملاحقة «المحنة» في زمن المعتصم ففاقت ما كانت عليه في أيام المأمون. وبلغت مبلغاً أن المعتصم كان يُكره الإمام أحمد بن حنبل المتمسك بعقيدته على أن يترك هذه العقيدة بمحضر من الملائمة المجتمعين ويناظر المخالفين. وكان قد أمهله ثلاثة أيام، وذلك في سنة ٢١٩هـ. ولما رأى تمسكه بعقيدته، أمر بجلده. فجلد ثمانين و ثلاثين جلدة، وعومل بقسوة حتى أُغمي عليه وورم جلده. ثم لما خاف المعتصم تمرّد الحنابلة وسائر المعارضين عليه أمر بحبسه. وعندما حكم الواصل بن جندب المعتصم (٢٢٧-٢٣٢هـ)، سار سيرة عمّه وأبيه. وكان يجالس الفلاسفة والمعتزلة وأهل البحث والجدل كعمّه المأمون. وكان من خواصّه: أحمد بن أبي دؤاد، وجعفر بن حرب الهمداني (المتوفى سنة ٢٣٦هـ)، وهما من كبار رؤساء المعتزلة، وقام بتفتيش العقائد الدينية. وتواصلت «المحنة» في عصره، فأسخط عليه كثيراً من الناس، فأطلقوا ألسنتهم في الطعن عليه ولعنه. وأبدى أفراد

١- انظر: تاريخ بغداد ٥: ١٧٧ للتعرف على تفصيل ذلك الإصرار وتعذيب أربعة من علماء مرو.

حكومته تعصباً شديداً في هذا المجال حتّى أنّهم عندما كانوا يُقدّون المسلمين من أسر الروم سنة ٢٣١هـ، وقد رسولُ أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة إلى ديار الروم ليسأل الأسرى عن عقيدتهم؛ فمن كان يعتقد بخلق القرآن ونفي الرؤية عن الحقّ تعالى، فُودي به وأحسن إليه. ومن أبى ترك بأرض الروم، فاختر جماعة من الأسارى الرجوع إلى أرض النصرانيّة على القول بذلك^١.

وعندما تربّع المتوكّل على كرسيّ الحكم سنة ٢٣٢هـ، لم يسلك مدارج أسلافه: المأمون، والمعتصم، والواثق. فأوقف المجادلة والمناظرة ونهج منهج أصحاب الحديث والسنة. واحترم الإمام أحمد بن حنبل، واتّخذ مشيراً له، وبهذا انتهت المحنة.

ومنذ ذلك الحين، أخذت قدرة المعتزلة بالتضاؤل؛ لأنّ أصحاب الحديث والسنة قد نشطوا مرةً أخرى وحالوا الدفاع عن عقائدهم، ودحض آراء المعتزلة ومقالاتهم من جهة، وأنّ الشيعة أصبحت قادرة على مناوئة المعتزلة ونقض بعض عقائدهم بواسطة عدد من المتكلمين الذين نبغوا في وسطها من جهة أخرى، ففقدت المعتزلة شوكتها وشأنها الأول تدريجاً.

كان علم الكلام في البداية وسيلة لتقدّم المعتزلة والشيعة. وشاقّه أصحاب الحديث والسنة. ثمّ استقطب اهتمام المسلمين عامّة شيئاً فشيئاً. ذلك أنّ أصحاب الحديث والسنة رأوا أن لا سبيل إلى تنفيذ اعتراضات المخالفين إلّا التمسك بأدلتهم الكلاميّة نفسها، وانتهاج أسلوبهم في الاستدلال والكلام. وكانت استعانتهم بالأدلة الكلاميّة أوّل الأمر من أجل الدفاع عن أصول عقائدهم. ولم يتيسّر لهم تغيير أسسهم البدينيّة، بيد أنّ معظم علمائهم تبنّوا الكلام في أوائل القرن الرابع الهجريّ من أجل إثبات عقائدهم وتقريرها. وكان هذا في وقت ما يزال فيه عدد من كبراء

المعتزلة مشغولين ببثّ عقائدهم في البصرة وبغداد كأبي علي محمد بن عبد الوهاب الجُبَّائِي (٢٣٥-٣٠٣هـ)، وابنه أبي هاشم عبد السلام الجُبَّائِي (المتوفى سنة ٣٢١هـ)، وأبي القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي (المتوفى سنة ٣١٩هـ)، وأبي بكر أحمد بن علي بن الإخشيد^١ (٢٧٠-٣٢٦هـ) واجتمع حول كلّ واحد منهم عدد من التلاميذ.

وكان أبو الحسن عليّ الأشعريّ (٢٦٠-٣٢٤هـ) من تلاميذ أبي عليّ الجُبَّائِي، تلمذ له مدّة متّبعاً عقائد المعتزلة، ثمّ اعترض علىّ بعض آرائه وافترق عنه وتاب من الاعتزال علانيةً. وتبنّى آراء الإمام الشافعيّ في الفروع، واستخدم الأدلّة الكلاميّة في تحقيق الاعتقادات مع نهى السلف عن ذلك، واستطاع أن يوفّق بين أصول الكلام وعقائد أهل السنّة، فأصبح واضعاً لعلم الكلام ناشراً إيّاه بين أهل السنّة.

وشمّر عن ساعد الجدّ لمناظرة المعتزلة وردّ مقالانهم بعد أن دوّن أصول عقائده، ولما كان قوياً في الكلام مطّلعاً أطّلاعاً تامّاً على الحديث والسنّة، فقد أفلح تماماً في هذا الميدان. واستطاع هو وتلاميذه من جهة، ومتكلّمو الشيعة - كما سنرى - من جهة أخرى أن يُحْدِقُوا بالمعتزلة ويخمدوا جذوتهم تقريباً، فلم ينهض بالأمر منهم رجل مشهور من أُولي البحث والمناظرة يتصدّى للأشعريّة بعد أبي عليّ وأبي هاشم الجُبَّائِيَيْن وأبي القاسم البلخيّ إلّا قليلاً. وتقارنت آخر فترة لنفوذهم بالبرهة التي حكم فيها صاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد (٢٢٦-٣٨٥هـ) وزير

١- أبو بكر أحمد بن عليّ بن بيججور أو اجور أو معجور (الفصل ٤: ٢٠٣؛ والفهرست ١٧٣) ابن الإخشيد من أشهر متكلّمي المعتزلة ومصنّفهم وصلاحهم. وهو أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم رئاسة المعتزلة. ثمّ وقعت الفُرقة بينهم بعد هؤلاء الثلاثة. والآخران هما أبو هاشم الجُبَّائِي، وأبو القاسم الكعبيّ البلخيّ. (انظر: كتاب الفصل لابن حزم الظاهريّ ٤: ٢٠٣، والفهرست ١٧٣، وتاريخ بغداد للخطيب البغداديّ ٤: ٣٠٩، للتعرف على ترجمة أبي بكر بن الإخشيد وعقائده وكتبه).

البويهيين وتلميذ أبي هاشم الجبائي، وكان الديالمة يشجعونه بسبب عدائهم للحكام وأهل السنة.

وكان المعتزلة اللامعون في الفترة الأخيرة هم قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي الهمداني (النصف الثاني من القرن الرابع)، وأبو الحسين محمد بن علي البصري (المتوفى سنة ٤٣٦هـ)، وأبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني الخراساني (٢٩٧-٣٨٤هـ) وهو من كبار الكتاب والأدباء. وكانت عقائده في الاعتزال قريبة من عقائد الشيعة. وله كتاب الأوائل في أخبار الفرس القدماء، وفي أهل العدل والتوحيد (المعتزلة) وذكر بعض مجالسهم ويقع في ألف ورقة تقريباً^١.

وكان للمذهب المعتزلي أتباعه حتى فترة استيلاء المغول على البلاد الإسلامية أواسط القرن السابع الهجري. وكان العلامة الكبير جلال الدين القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ)، والأديب المؤرخ المشهور عبد الحميد بن أبي الحديد (٥٨٦-٦٥٥هـ) شارح نهج البلاغة في القرن السادس والسابع الهجري يتبنّيانه. ثم أقلّ نجمه تدريجاً وعاد لا يذكر له أثر في يومنا هذا تقريباً.

الفصل الخامس

الشيعة و متكلموهم الأوّل

عندما ظهر المعتزلة، صار المسلمون خمس فرق هي: الشيعة، وأهل السنة - أي: أصحاب الحديث والرواية - والخوارج، والمعتزلة، والمرجئة^١. ثمّ انقسمت هذه الفرق إلى فرق فرعية أخرى، وظهرت من بين بعضها فرق أيضاً، تعدّ كلّ واحدة منها فرقة مستقلة بسبب اختلاف مقالاتها بعضها مع بعض، وكان هناك خلاف بين أصحاب الملل والنحل حول المتصوّفة، والباطنية، وبعض الفرق الأخرى، فمنهم من ذكرها في عداد الفرق الإسلامية، ومنهم من لم يحسبها مسلمة بسبب بعض عقائدها.

فرق الشيعة المختلفة

كان لقب الشيعة يطلق في البداية على الذين يعتقدون أنّ الإمامة حقّ لأُمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتبّتوا على مودّته وولايته بالرغم من مبايعة الناس أبا بكر، لذلك عُرفوا بأنّهم «شيعة عليّ» أي: أتباعه. ومن

هؤلاء : المقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسي ، وأبوذر الغفاري ، وعمار بن ياسر . وهم أول من عُرف بالتشيع بين المسلمين . والشيعه في هذا المجال هم مجموع المعتقدين بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . وهذه الشريحه تعدّ الأصل الذي انبثقت منه فرق الشيعة عامّة^١ ، ذلك أنّ الفرق الشيعيّة التي ظهرت بعد كالشريحة الصغيرة المذكورة كانت تؤمن أنّ الإمامة حقّ لآل علي ، وإنّما اختلفت في الإمام الذي يخلف الإمام السابق له ، ومقامه ، وهل تختتم الإمامة به أو لا . وهذا ما أدّى إلى انقسام الشيعة فرقاً كثيرة . ولا يسع المجال هنا لذكر جميع هذه الفرق وعقائدها في الإمامة . ولمزيد الاطلاع يمكن الرجوع إلى الكتب المصنّفة في الملل والنحل والمقالات ، وأخصّ بالذكر كتاب فرق الشيعة لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي ، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري .

كانت فرق الشيعة تقسم في البداية إلى ثلاثة أقسام كبيرة ، ثمّ تشدّرت كلّ فرقة فرقةً عديدة :

١ - الغلاة أو الغالية : وهم الذين علّوا في حقّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده عليهم السلام ، وقالوا بألوهيّتهم . وهؤلاء ليسوا من الشيعة في شيء حقّاً ، فهم إمّا أن يكونوا قد ألصقوا أنفسهم بهم ، أو أنّ المناوئين المعاندين للشيعة جعلوهم في عداد الشيعة .

٢ - الإماميّة : وهم الذين يزّون أنّ تعيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً كان من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويذهبون إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اختار ابن عمّه لهذا المقام في حياته ، وأعلّم المسلمين بهذا الاختيار . ومن بايع أبابكر ، وعمر مخالفاً

١ - فرق الشيعة ٦ و ١٦ . وأحسب أنّ مؤلّف كتاب فرق الشيعة قد سها إذ جعل الشيعة فرقاً ، فالشيعة فرقة واحدة تهدي بالقرآن وسنة نبيها الكريم محمد صلى الله عليه وآله وتؤمن بإمامة علي بن أبي طالب والأنمة الأحد عشر عليهم السّلام جميعاً بعده ، عملاً بوصيته واقتداءً بسنته . وأمّا ما حُسب على الشيعة من سائر الفرق فقد كانوا شيعةً ثمّ انحرفوا فنفَرَقُوا فرقاً مختلفة كالزيدية والإسماعيلية وغيرهما (م)

أمر نبيّه فقد سلك سبيل الضلال ، وعمل خلاف ما أوصى به النبيّ العظيم ﷺ .
وتنعتد الإمامة لقراءة الرسول بالنصّ والتوقيف كما يعتقد الإماميّة . والإمام يجب أن يكون أفضل أهل زمانه . وسمّي مناوئو الشيعة هؤلاء (الشيعة) «الرافضة» ؛ لأنّهم رفضوا إمامة أبي بكر ، وعمر ، وتركوا هذين الحاكمين . وهذه التسمية نابعة من روح عدايّة لا محالة .

٣ - الزيدية : وهم الذين بايعوا زيداً بالكوفة بعد وفاة أبيه السجّاد عليه السلام (أيام حكومة هشام بن عبد الملك) . ولما كان زيد من تلاميذ واصل بن عطاء المعتزليّ ، فقد نهج الاعتزال في الأصول ، وأصبح أتباعه قاطبة معتزلة .
وانقسم الإماميّة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى فرقتين كبيرتين : الأولى : اختارت الإمام عليّ بن الحسين - وجده فاطمة الزهراء عليها السلام - إماماً لها ، ومنها ظهرت الزيدية . والثانية : اتخذت محمّد بن الحنفية إماماً - وهو ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من غير فاطمة عليها السلام - وسارت خلفه ، وعُرفت هذه الفرقة بالكيسانية . وكيسان كان لقباً للمختار بن أبي عبيد الثقفيّ الذي كان يترأس هذه الفرقة ، وهو الذي قام مطالباً بدم الحسين عليه السلام . ويرى الكيسانية أنّ محمّد بن الحنفية وصيّ أبيه ، والمختار كان عامله .

وبايعت فرقة من الكيسانية أبا هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفية بعد وفاة أبيه سنة ٨١ هـ . ولما مات أبو هاشم سنة ٩٨ هـ التفت جماعة من أصحابه حول محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب لزعمهم أنّه وصيّ أبي هاشم . وجدّوا كثيراً في التبليغ لعقيدتهم والسير بها قدماً . وعُرفوا منذ ذلك الحين بشيعة آل العبّاس أو الولوندية . وهم الذين أجلسوا بني العبّاس (أولاد محمّد المذكور) على دفة الحكم آخر المطاف . وسمّي الإماميّة : الشيعة العلوية ، تمييزاً لهم عن شيعة بني العبّاس .

وذهبت الشيعة العلوية إلى أنّ الإمام بعد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب

وولديه الحَسَنَيْنِ عليهما السلام هو زين العابدين أبو محمد علي بن الحسين عليه السلام. ولَمَّا توفِّي سنة ٩٤هـ ذهبوا إلى إمامة ولده أبي جعفر محمد بن علي الملقَّب بباقر العلم إماماً خامساً لهم (٥٩-١١٤هـ) في مقابل الزيدية الذين بايعوا أخاه زيداً. ثم ذهبوا إلى إمامة ولده أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨هـ) إماماً سادساً لهم. ثم انقسم الشيعة العلوية إلى ست فرق بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام - وخطبت إحداها فيما بعد بأهميّة كبيرة - ففرقة قالت إنّ الإمام السادس لم يَمُت بل غاب وعلينا أن ننتظر رجعه لأنّه هو المهديّ، وتُعرف هذه الفرقة بالناووسية.

وذهبت فرقة أخرى إلى إمامة ولده إسماعيل الذي مات في حياة أبيه، إذ كانت تعتقد أنّه لم يَمُت. وهو خليفة أبيه الحقّ، ولن يموت حتّى يملك العالم، ويدير شؤون الناس. وعُرف هؤلاء بالإسماعيلية أو الخطّابية نسبة إلى رئيسهم أبي الخطّاب محمد. وهؤلاء يمثّلون النواة لفرق الإسماعيلية المهمّة التي ظهرت بعدُ. أمّا الفرقة الثالثة فقد التفت حول محمد بن إسماعيل حفيد الإمام الصادق عليه السلام بعد وفاة الإمام. ولَمَّا كان «مبارك» - وهو أحد غلمان الإمام الصادق رئيساً لها فقد دُعيت بالمباركية. وأدّى ظهور هذه الفرقة إلى انتماء جماعة من الإسماعيلية إليها. وقالت جماعة من المباركية والخطّابية: إنّ روح الإمام السادس حلّت في بدن أبي الخطّاب، ثم انتقلت منه إلى بدن محمد بن إسماعيل، فالإمامة لولده من بعده. وسمّي هؤلاء: القرامطة لأنّ رئيسهم كان يدعى: قُرْمطويه.

واختارت الفرقة الرابعة محمد بن جعفر الصادق إماماً لها. ورئيسها يحيى بن أبي السَّمِيط، وعرفت بالسَّمِيطيّة نسبة إليه. واتّخذت الفرقة الخامسة ابن الإمام الأكبر عبد الله بن جعفر الأفطح إماماً فسُمّيت بالأفطحيّة.

وأما الفرقة السادسة من الشيعة العلوية فقد آمنت بإمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام (١٢٨-١٨٣هـ)، وأنكرت إمامة عبد الله الأفطح. وتضمّ هذه الفرقة كبار

أصحاب الإمام الصادق عليه السلام و علماء الشيعة و متكلميهم كأبي جعفر مؤمن الطاق ، و أبان بن تغلب ، و هشام بن الحكم و هشام بن سالم .

و عندما توفي الإمام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم ، و هو الإمام السابع للشيعة الإمامية ، برز خلاف بين أصحابه فانقسموا خمس فرق ، أشهرها فرقتان : الأولى أنكرت موته و زعمت مهديته ، و ختم الإمامة به . و قالت إنه حي و لن يموت حتى يملأ الأرض قسطاً و عدلاً ، و هذه الفرقة هي الواقعة .

أمّا الثانية فهي على خلاف الواقعة ، إذ قطعت ب وفاة الإمام و ذهبت إلى إمامة ولده أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام (١٥٥-٢٠٣هـ) فاشتهرت بالقطعية .

و على الرغم من أنّ الشيعة انقسمت إلى عدّة فرق بعد وفاة الإمام الرضا عليه السلام - و قد بلغت أربع عشرة فرقة بعد وفاة الإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري (٢٣٢-٢٦٠هـ) - لكنّ هذه الفرق لم تتمتع بشأن يذكر . إذ كان الشأن و الشهرة كلّها للشيعة الذين آمنوا بإمامة الإمام أبي جعفر محمّد بن علي الجواد (١٩٥-٢٢٠هـ) بعد أبيه الرضا عليه السلام ، ثمّ اعتقدوا بإمامة ولده الإمام أبي الحسن علي بن محمّد الهادي عليه السلام (٢١٤-٢٥٤هـ) إماماً عاشراً لهم . و بعد وفاته قالوا بإمامة ولده الإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري (٢٣٢-٢٦٠هـ) إماماً حادي عشر لهم .

و انقسمت الشيعة بعده - كما قلنا - إلى أربع عشرة فرقة ، لكنّها لم تصمد في مقابل الإمامية ، و بادت كلّها .

و يعتقد الشيعة الإمامية أنّ الدنيا لا تخلو من إمام أبداً . و الله تعالى مختار أن يُظهر الإمام بين الخلق أو يخفيه عن أنظارهم ؛ لأنّ الأرض لا تخلو من حجة أبداً ، و حجة الله بعد الإمام الحادي عشر ولده الغائب . و إذا شاء الله فإنّه سيظهر بعد أن تملأ الأرض ظلماً و جوراً فيملأها قسطاً و عدلاً . و سنتحدّث في الفصول القادمة عن غيبة الإمام الثاني عشر و عقيدة الإمامية في هذا الموضوع .

الإمامة

إنَّ أكبر خلاف برز بين المسلمين في المسائل الدينيَّة يحوم حول الإمامة ، أي خلافة رسول الله ﷺ ، إذ تناظروا وتجادلوا وتنازعوا ، وأبدوا تحمُّساً في ذلك ، ولم يُلحظ خلاف بينهم بلغ في شدِّته هذا الخلاف ، ويعود السبب إلى اتِّسام الإمامة بالطابع السياسيِّ غالباً وإذا ما تفوَّقت عقيدة لفرقة من الفرق ، فإنَّ هذه الفرقة ستمسك بزمام الأمور الدنيويَّة للمسلمين كما تمسك بشؤونهم الدينيَّة . وكان هذا الخلاف قائماً بين المسلمين ولا يزال منذ أن طرأ على المسلمين يوم وفاة نبيِّهم العظيم ﷺ .

و تعني كلمة الإمام لغةً : مَنْ يَأْتَمُّ به الناس فيتَّبِعونه ويأخذون عنه ، لأنَّهم يؤمُّون أفعاله ، أي يقصدونها فيتَّبِعونها . ويقال للطريق : إمام ، لأنَّه يُوَمِّم ، أي : يُقَصِّد ويتَّبِع .^١ أمَّا اصطلاحاً ، فهي : رئاسة عامَّة في أمور الدنيا والدين نيابةً عن النبي ﷺ .

ويدور خلاف بين شتَّى الفرق الإسلاميَّة حول من يستحقُّ منصب الإمامة ، وكيف يتمَّ تعيين الإمام ، وهل تجب الإمامة أو لا ، وهل يكفي إمام واحد أو عدَّة أئمَّة .

وكانت الفرق الإسلاميَّة عامَّة ترى وجوب الإمامة ، غير أنَّ فرقة من الخوارج ، واثنين من رؤساء المعتزلة لا يرون ذلك . وقال النجدات - وهم قوم من الخوارج - إنَّه ليس بواجب أصلاً ، وعلى الناس أن يتعاملوا فيما بينهم على سبيل الحقِّ وبحكم القرآن . وقال أبو بكر الأصبَّح من المعتزلة : لا يجب عند ظهور العدل والإنصاف لعدم الاحتياج ، ويجب عند ظهور الظلم . وقال هشام القُوطيَّ منهم (معاصر للمأمون العبَّاسيِّ) بالعكس ، أي يجب عند ظهور العدل لإظهار شرائع

الشرع، لا عند ظهور الظلم؛ لأنَّ الظَّلْمَةَ ربما لم يطيعوه، و صار سبباً لزيادة الفتن لنا^١.

كان المتكلمون على ثلاثة آراء في طريق وجوب الإمامة؛ فالأشاعرة وأهل السُّنَّة والجماعة، وثلة من المعتزلة يثبتون وجوب الإمامة عن طريق النقل، أي الأدلة السمعية. أمَّا الجاحظ، وأبو القاسم الكعبي، وأبو الحسين البصري فإنهم يثبتونه بالأدلة السمعية والعقلية. وأمَّا الإسماعيلية والشيعية الإمامية فإنهم يثبتونه بالأدلة العقلية فحسب^٢.

ويقول متكلمو الإمامية: الإمامة واجبة عقلاً على الله تعالى، وهو الحق، والدليل على حَقِّيَّتِهِ هو أنَّ الإمامة لطف. وكلُّ لطف واجب على الله تعالى، فالإمامة واجبة على الله تعالى. واللطف هو ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية. وهذا المعنى حاصل في الإمامة؛ لأنَّ الناس إذا كان لهم رئيس مطاع مُرشد فيما بينهم يردع الظالم عن ظلمه، والباغي عن بغيه، وينتصف للمظلوم من ظالمه، ويحملهم على القواعد العقلية والوظائف الدينية، ويردعهم عن المفساد الموجبة لاختلال النظام في أمور معاشهم، وعن القبائح الموجبة للوبال في معادهم، بحيث يخاف كل واحد من مؤاخذته على ذلك، كانوا مع ذلك إلى الصلاح أقرب، ومن الفساد أبعد. ولا نعني باللطف إلا ذلك ويكون الإمامة لطفاً، وهو المطلوب^٣.

ويرى الإسماعيلية أيضاً - كالإمامية - أنَّ الإمامة واجبة عقلاً على الله تعالى، لكنهم لا يعتقدون كالإمامية أنَّ نصب الإمام ينبع من قاعدة اللطف، بل كانوا يقولون:

١- شرح المقاصد ٢: ٢٧٣، ومقالات الإسلاميين ٤٦٠، والفصل ٤: ٨٧-٨٨، وكتاب الألفين ٨.

٢- الإمامية يثبتونه بالأدلة العقلية والنقلية معاً لا بالأدلة العقلية وحدها، فليُتَنَبَّه! (م)

٣- شرح الباب الحادي عشر ٥٢-٥٣.

لمّا كان العقل لا يكفي لمعرفة الله تعالى، فيجب أن يكون الإمام معلماً للناس في هذا السبيل^١. ويأخذ الناس منه عن طريق التعليم، لذلك تُسمّى هذه الفرقة: التعليميّة أيضاً^٢.

ويعتقد علماء الإماميّة أنّ كلّ ما دلّ على وجوب النبوّة فهو دالّ على وجوب الإمامة، إذ الإمامة خلافة عن النبوّة قائمة مقامها إلّا في تلقّي الوحي الإلهي بلا واسطة. ولكن الإمامة لطف عامّ: والنبوّة لطف خاصّ، لأنّه يمكن أن يخلو الزمان من نبيّ، بيّد أنّه لا يخلو من إمام^٣. ولذلك ترى الإماميّة أنّ مبحث الإمامة من فروع مبحث النبوّة وتوابعه، ومن أعظم أركان الدين. ولا يستقيم الإيمان بدون الاعتقاد بالإمامة. ويقال للمرء مؤمناً مطلقاً إذا كان على عقيدة الإماميّة^٤. في حين ترى الفرق الإسلاميّة الأخرى أنّ الإمامة من فروع الدين^٥. وأفحم متكلمو السنّة هذا المبحث في كلامهم لدحض عقائد الشيعة في هذا الباب^٦.

وبعد وفاة النبي ﷺ نشب الخلاف بين المهاجرين والأنصار حول الخلافة كما قلنا سابقاً. وبايعت الأكثرية من قريش أبا بكر، أمّا الشيعة وهم أقلية فكانوا يرون أنّ الإمامة حقّ لأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وغلب الأنصار الذين كانوا يدعون هذا المقام لهم، ثمّ انقضوا تدريجاً. ومنذ ذلك الحين فُتح باب البحث فيمن يصلح لمقام الإمامة. وترى فرق الشيعة بأسرها، وأهل السنّة، وبعض فرق المعتزلة، وأكثريّة المرجئة أنّ الإمامة لا تصحّ في غير قريش. بيّد أنّ الخوارج جميعهم وأكثريّة المعتزلة وبعض المرجئة يذهبون إلى أنّ من نهض لإقامة أحكام القرآن وسنّة النبي ﷺ فهو الإمام سواء كان قرشياً أم عربياً من غير قريش أم من الموالي. وترى الشيعة أنّ الإمامة حقّ لبني هاشم. أمّا أنصار الإمامة في قريش

١- شرح المقاصد ٢: ٢٧٢.

٢- تليس إبليس ١١٢.

٣- شرح الباب الحادي عشر ٥٣. وكتاب الألفين ٣.

٤- مجمع البحرين ٥٧٢.

٥- شرح الباب الحادي عشر ٥١. والألفين ١٠.

٦- شرح المقاصد ٢: ٢٧١.

فيرون أنّها تكون في غير بني هاشم أيضاً . وتذهب الراوندية شيعة بني العباس إلى أنّ الإمامة لأولاد العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ . أمّا العلوية فإنّها تقول بإمامة أولاد عليّ . وتطرّفنا سابقاً إلى اختلاف الزيدية والكيسانية والإسماعيلية في هذا الميدان .

و يلحظ في موضوع تعدّد الأئمة أنّ البعض لا يجيز وجود أكثر من إمام في زمان واحد ، في حين يجيز البعض الآخر ذلك ؛ إذ يمكن أن يكون إمامان في عصر واحد : أحدهما ناطق ، والآخر صامت . فإذا مات الناطق ، حلّ الصامت محلّه . وثمة من يرى وجود ثلاثة أئمة في آن واحد .

واختلف المسلمون في تعيين الإمام وتثبيته ؛ ففريق منهم يرى أنّ الإمامة تثبت بالإجماع . فإذا أجمع المسلمون أو جماعة ذات شأن منهم على أحد واختاروه للإمامة ، فهو الإمام . وهؤلاء يعرفون بأهل الإجماع . ومن هذا المنطلق استصوبوا إمامة الخلفاء الراشدين ، ومعاوية ، مروان بن الحكم ، وأولاده . وفريق آخر يذهب إلى أنّ الإمامة من أهمّ المسائل الدينية ، ولا يمكن أن يغفل النبي ﷺ عن هذه المسألة في حياته ، فيترك أئمة هَمَلاً بلا خليفة يرعى شؤونها الدينية والدينية ويدافع عن دينها . فهو - على عكس التّصور المذكور - قد نصّب ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ونصّ على خلافته . وهؤلاء يُعرفون بأهل النصّ . ومنهم الإمامية ، والكيسانية ، والإسماعيلية .

وكان الراوندية يرون أنّ العباس بن عبد المطلب وارث النبي ﷺ ، ولذلك كانوا يعتقدون أنّ الإمامة إرث لبني العباس . وكان الخوارج يختارون لهم إماماً من بينهم في كلّ عصر ، ويشترطون عليه أن يسير وفق عقائدهم ، ويكون عادلاً . وإذا ما تمرد فإنه يُخلع من الإمامة ، وقد يُقتل . ويعتقد الزيدية أنّ كلّ فاطمي يخرج فهو إمام يجب اتّباعه ، بشرط أن يكون عالماً زاهداً شجاعاً سخياً حتّى لو كان من أولاد الإمام الحسن عليه السلام .

إنّ أحد شروط الإمامة عند الإمامية هو أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه ، ولكنّ

الزيدية و أكثر المعتزلة لا يتفقون معهم في هذا الرأي ويقولون: قد يكون بين رعية الملك من هو أفضل منه، فكذلك أتباع الإمام إذ يمكن أن يكون فيهم من هو أفضل منه، ولذلك لا قدح عندهم في إمامة المفضل. كما نلاحظ أنّ جماعة من المعتزلة - لا سيما معتزلة بغداد - كانوا يذهبون إلى صحّة إمامة أبي بكر، وهو مفضل بالنسبة إلى عليّ بن أبي طالب - مع أنهم كانوا يزّون أنّ عليّ بن أبي طالب أفضل من أبي بكر. وإذا كنّا قد أشرنا في السطور المتقدّمة إلى أصول عقيدة الإمامية الاثني عشرية في باب الإمامة، فإنّا ننقل فيما يأتي خلاصة عقيدتهم فيها ليزداد الموضوع جلاءً:

١ - يجب أن يكون الإمام معصوماً. والمقصود من عصمته هو أنّه لا حاجة عنده إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية عمداً أو سهواً مع قدرته على ذلك. ووافقهم الإسماعيلية في هذا الموضوع.

٢ - الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه؛ لأنّ العصمة من الأمور الباطنة التي لا يعلمها إلا الله. أو إنّ الله العالم بعصمته يحكم بإمامته بالنصّ، أو تظهر على يده معجزة تدلّ على صدقه. ولا بدّ أن يكون التنصيب من الله أو من النبيّ أو من الإمام السابق.

٣ - الإمام يجب أن يكون أفضل أهل زمانه.

٤ - الإمام بالحقّ بعد رسول الله بلا فصل هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وأولاده الأحد عشر من بعده. وكلّهم معصومون، وهم أفضل الخلائق في عهدهم. وتُصب كلّ منهم إماماً بنصّ صريح من قبل الإمام السابق له^١.

الإمامية و متكلّموهم الأوّل

كانت فرق الشيعة من الغلاة والزيدية والكيسانية والإمامية قليلة العدد قياساً

بالفرق الإسلامية الأخرى (أصحاب الحديث والسنة، والخوارج، والمرجئة والمعتزلة الذين ظهرُوا في أواخر العهد الأموي)، ولم تتمتع بأهمية سياسية تذكر بسبب اضطهاد الأمويين وقدرَة الفرق الأخرى. وكانوا يلتفون حول رؤسائهم المناوئين لبني أمية في المناطق البعيدة عن نفوذ الحكومة الأموية لا سيما في الحجاز، واليمن، وإفريقية، والأكثر منها جميعاً الكوفة (عاصمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، وأحد المراكز الرئيسة لإقامة الفرس الحديثي عهد بالاسلام). وكذلك في البصرة، والجزيرة، وحدود الرّي، وخراسان. كما كانوا يعيشون مستخفين ويكتمون اجتماعاتهم خشية بطش الولاة الأمويين. ولا يبوحن بأسرارهم الدينية، ولا سيما الإمامية منهم؛ فقد كانوا يجدّون في كتمان الأسرار وإظهار التقية في مقابل غلبة المناوئين أكثر من سائر فرق الشيعة، عملاً بتعاليم أئمة الهدى عليه السلام؛ لئلا يتعرضوا لاضطهاد الولاة الأمويين ولا يثيروا أضغانهم في الإطاحة بأساس هذا الدين، وذبح رؤساء الإمامية ممّا قد يفضي إلى ما لا تُحمد عقباه.

بيد أنّ الشيعة اتّنى استضعفوا بني أمية أو وجدوا فرصة لإظهار دعاوهم، فإنّهم كانوا يعترضون على حكومتهم الجائرة وينتقدونها. ويرأون من أدناس معاوية وابنه يزيد اللذين كانا لا يرعويان عن الفسق وارتكاب النواهي مضافاً إلى غضبهما خلافة المسلمين وجعلها وراثية. كما كانوا يوصون المسلمين بالعمل من أجل تقويض دعامة هذه الأسرة.

وكان هلاك معاوية ونصب ولده يزيد من الفرص السانحة يومئذٍ. فهي لم تُنهض الشيعة الموالين لعلي وأولاده على مناءه فحسب، بل شجعت أولاد الصحابة، وأتباعهم أيضاً على معارضته علناً، بخاصة أنّ جماعة كثيرة من أهل اليمن، والحجاز، والجزيرة، والكوفة، والبصرة ممّن ثبتوا على ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، وتبرّموا من تصرفات الأمويين الشائنة استمدّوا العون من معارضي يزيد. ودعا الشيعة الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة كما نعلم. ومهدوا الأرضية فيها وفي

البصرة للثورة على يزيد، والإعلان عن خلافة الإمام الحسين عليه السلام.

واستطاع ولاية يزيد السيطرة على الموقف عاجلاً، لكثرة عددهم وترهيبهم أهالي البصرة والكوفة وترغيبهم إياهم وأفلحوا في كسب قادة الثورة إلى جانبهم في المدينتين المذكورتين أو قمعهم. وارتكبوا جريمتهم النكراء بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في واقعة كربلاء الأليمة (المحرّم سنة ٦١هـ). فخاب أمل الشيعة والمعارضين الآخرين لبني أمية.

وكانت واقعة كربلاء المؤلمة وظلّامة شهدائها من جهة، وممارسات يزيد المشينة من جهة أخرى قد ضاعفت الحقد على الأمويين يوماً بعد آخر، بخاصة أن عنصراً من عناصر المناوئين كان ذا أهمية كبيرة، وقد بلغ أوج اضطرابه الفكري، وكان يتلمّس السبيل لإعلاء مجده الضائع بل كيانه المحطّم، وكان يحترق بنار الحرمان كالسمندر. وكان ذلك العنصر المظلوم هو العنصر الفارسي الذي لم ينظر إلى بني أمية بعين البغض والعداء فحسب، بل كان يعادي العرب نوعاً ما بسبب استيلائهم على بلاد فارس...

وقد سلّم الفرس الذين كانوا يعيشون في المناطق النائية كطبرستان، وجرجان، وخراسان، وماوراءالنهر ونعموا ببال رخي، إذ لم يخضعوا لنفوذ العرب تقريباً. وهم الذين قدّر لهم فيما بعد أن يمثّلوا القطب الذي يدير شؤون الخلافة والسياسة والحضارة الإسلامية، ويتسلّموا أهمّ المناصب في عصور متأخرة. بيّد أنّهم لم يستطيعوا التدخل في الأمور مباشرة ببصيرة كاملة، لبعدهم عن مركز الحكومة، واستيحاشهم من العرب، وجهلهم بالأوضاع الحقيقيّة لعاصمة الحكم ومجرى الأحداث فيها. أمّا الفرس الذين كانوا يعيشون في الجزيرة والكوفة والبصرة، فقد كانوا يتكلّمون بالفارسيّة على الرغم من كثرة العرب المهاجرين في تلك المناطق، وكانوا يكابدون مضض الذلّ والجفاء من لدن الولاية العرب أكثر من غيرهم. وقد ضاقوا ذرعاً بجور العرب قبل غيرهم من بني قومهم وهم يتذكّرون شوكة فارس

القديمة التي كانوا يقيمون في قلبها . وواسوا سائر المظلومين على كُرهِ من الأمويين القتلة . ورأوا أنَّ نجاتهم تكمن في مؤازرة كلِّ من اكتوى بظلم الأمويين ، وهو يتحیی الفرصة للثورة على تلك الأسرة الظالمة المتعصبة وقطع دابرها . فكانوا يفكِّرون بخلاص أنفسهم في تلك المعمرة .

ولذلك عندما رأوا كارثة كربلاء أمام أعينهم ، وتعرَّض جماعة منهم - ممَّن كان يسكن البصرة والكوفة - إلى الاضطهاد من قبل ولادة يزيد بسبب مشاركتهم في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ، وهيجتهم حكومة عبيد الله بن زياد المتشددة أكثر من السابق ، تمهَّدت الأرضية في أوساطهم تماماً للثورة على الأمويين وولانهم .

وحينما هلك يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ ، واعتزل ابنه الضعيف الحكومة ، نهض جماعة من أهل الكوفة ممَّن كانوا قد مالوا أعداء الإمام الحسين (عليه السلام) ، واشتركوا في مقاتلتهم للإمام ، فندموا على عملهم ، وسمَّوا أنفسهم التوابين . وأقسموا أن يثأروا لدم الحسين ، ويعيدوا الحقَّ إلى رجل من أهل البيت النبويِّ الكريم . وبدأوا فعلاً في عملهم ، فكاتبَ أحد رؤسائهم الشيعة في سائر البلاد ، وأطلع من كان يتفق معهم في هذا التوجُّه على ما ينويه شيعة الكوفة ، فاستجابت له الآفاق . وتعارن ذلك مع ثورة أبي إسحاق المختار بن أبي عُبَيد الثقفي على بني أمية^١ . وكان هذا القائد الإسلاميِّ المعروف من الذين انضمَّوا إلى مسلم بن عقيل عندما أوفده الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة ، ولما استشهد مسلم على يد عبيد الله بن زياد ، أُلقي القبض على المختار وأمره عبيد الله بالنزوح عن الكوفة ، فغادرها إلى مكَّة . وفيها التحق بعبد الله بن الزبير الذي كان يدَّعي الخلافة بعد يزيد ، وكان يتمتَّع بنفوذ كبير في الحجاز ، واليمن ، والعراق يومئذٍ . بيَّد أنَّه لمَّا استاء منه ، عاد إلى الكوفة التي كانت خاضعة لسلطته . وعندما عرف تحرُّك أهل الكوفة واستعدادهم

للاقتصاص من قتلة الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، أشخص مبعوثين عنه إلى شيعتها وشيعة المناطق المجاورة لها ووعدهم بالثأر لدم الإمام الحسين عليه السلام. يضاف إلى ذلك أنه دعاهم إلى إمامة محمد بن الحنفية فأسرى دعائم المذهب الكيساني تدريجاً.

كانت ثورة المختار أفضل فرحة للفرس القاطنين بالكوفة والبصرة والجزيرة أن يناصروه على رغم بني أمية، وأن يؤازروا من ينهض للمطالبة بدم المظلومين حتى لو لم يكن صادق النية، إذ إنهم إنما يعاضدونه لعدائهم الأمويين فحسب. وكانوا يزّون أنّ مساعدته دعم له في الإطاحة بحكومة الظلمة والأعداء المتعصّبين على المسلمين غير العرب.

وكان المختار وقائده الشهير إبراهيم بن مالك الأشتر قد عَرَفَا قيمة مؤازرة الفرس لهما جيداً، فقرب المختار إليه في الوهلة الأولى زهاء عشرين ألف رجل منهم وكانوا يسكنون الكوفة ويُسمّون الحمراء، واعتمد عليهم في تحقيق أهدافه^١. وهذه أوّل مرّة يتقابل فيها العنصر العربيّ الغالب، والعنصر الفارسيّ المغلوب في الدولة الإسلاميّة. ونهض جمّ غفير من الفرس لقتال العرب المتسلّطين انتقاماً منهم.

ولمّا قُتِل المختارُ الجناة الذين ارتكبوا مجزرة الطفّ وهدمَ دُورهم بالكوفة، أمر بتقسيم أموالهم بين أنصاره الفرس^٢. ثمّ فرض لهم ولأولادهم الأعطيات، وكان يجالسهم. وباعدَ العرب وأقصاهم عنه، فعاتبه أشرافهم. فقال لهم: أكرمتكم فشمختم بأنافكم، وليتكم فكسرتم الخراج، وهؤلاء العجم أطوع لي منكم، وأوفى، وأسرع إلى ما أريد^٣.

٢- نفسه ٣٠٠.

١- الأخبار الطوال ٢٩٦ و ٣٠٦.

٣- نفسه ٣٠٦.

وكان جيش إبراهيم بن مالك الأشتر كله من الفرس^١. ولما قدم عسكر عبد الملك بن مروان لقتاله - وقوامه أربعون ألف جندي من أهل الشام - قال له أحدهم وقد كُلف بمفاوضته: لقد اشتدَّ غمي منذ دخلتُ عسكرك، وذلك أنني لم أسمع فيه كلاماً عربياً حتَّى انتهيتُ إليك. وإنما معك هؤلاء الأعاجم، وقد جاءك صناديد أهل الشام وأبطالهم، وهم زهاء أربعين ألف رجل، فكيف تلقاهم بمن معك؟! فقال إبراهيم: والله لو لم أجد إلا النمل لقاتلتهم بها، فكيف وما قوم أشدَّ بصيرة في قتال أهل الشام من هؤلاء الناس الذين تراهم معي؟! وإنما هم أولاد الأساورة من أهل فارس والمارزية^٢.

وكان اعتماد المختار على الفرس قد نفَّر العرب منه، فتسلَّل جماعة منهم هُرباً إلى مصعب بن الزبير وشكَّوا إليه المختار بأنَّه قتل خيارهم، وهدم دُورهم، وفَرَّق جماعتهم، وحمل أبناء العجم على رقابهم، وأباح أموالهم. وحثَّوه على محاربتِه^٣. ولما تمكَّن مصعب من المختار قتل زهاء أربعة آلاف من أنصاره الفرس^٤. ولما قُضي على المختار فقد الشيعة والفرس شأنهم مؤقتاً، بخاصَّة أنَّه لم يكن مخلصاً في طلبه بثأر شهداء كربلاء^٥، ودعمه للشيعة. وبدأت تصدر منه المزاعم بالتدريج، وزعم نزول الوحي عليه، وكانت بعض وعوده كاذبة. وعُرِف أتباعه بالكذب ودعم الباطل، فلم يفلح في عمله.

وكان عصر عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٥هـ) واليَّيه الجائرين: الحجاج بن

١- هذا سهو من المؤلِّف وفيه ضرب من الإغراق؛ فما نقرأه في كتاب الأخبار الطوال ص ٢٩٣ هو

كالآتي: ... وكان جُلَّهم أبناء الفرس الذين كانوا بالكوفة ... (م)

٢- الأخبار الطوال ٣٠٢. ٣- نفسه ٣١٠.

٤- نفسه ٣١٥.

٥- بل كان مخلصاً نزيهاً كما ذهب إلى ذلك المؤرِّخون المنصفون. وإنما تقول عليه الزبيريون والأمويون

وأرجفوا تشقياً منه وتشويهاً لسمعته. (م)

يوسف التَّقْفِي، وقُتَيْبَةُ بن مسلم الباهليّ عصر استفحال العصبيّة العربيّة، وعصر محنة المسلمين غير العرب وذلّتهم. بخاصّة أنّ عبد الملك كان مستاءً من الفرس، وقلقاً من سيطرتهم. وكان أكثر الحكّام الأمويّين سعيّاً في طمس المعالم غير العربيّة، وبثّ العصبيّة العربيّة. وتبدّلت دواوين العراق والشام في عهده من البهلويّة والروميّة إلى العربيّة، وأمر بتعريب النقود. وعندما دخل المسجد الحرام يتفقّد حلقات الدرس، وعرف أنّ المدرّسين في هذه الحلقات من الفرس وأبناء الموالي، عاد إلى بيته مغموماً واستدعى أكابر قريش، وقال لهم مشفقاً ما مضمونه: «ما لكم استخففتُم بالإسلام إلى هذا الحدّ إذ غلبكم أبناء الفُرس؟ ولم أُرْمثلهم، فقد ملكوا منذ أوّل الدهر إلى ظهور الإسلام، ولم يحتاجوا إلينا ساعةً واحدةً. واليوم نحن نحكمهم لكنّنا لا نستغني عنهم أبداً»^١. وتغيّر هذا الملك الأمويّ حين عرف أنّ أكثر الولاة والفقهاء في المناطق التابعة لملكه هم من الموالي. وكبّر عليه سيادتهم على العرب، وإلقاء الخطبة باسمهم على المنابر، وجلوس العرب تحت منابرهم لاستماع خطبهم^٢.

إنّ مظالم الحجاج بن يوسف خلال حكمته على العراقيين (٧٥-٩٥هـ) عشرين سنة، وإراقة قتيبة الدماء في خراسان وماوراء النهر زادت من سلطة العرب، أي بني أميّة الذين لم تتوطّد أقدامهم في تلك المناطق بعد. وقضى الأمويّون وعمّالهم على كثيرٍ من الفرس وكتبهم بسبب انتمايهم القوميّ وحبّهم لوطنهم فارس، أو بسبب دعمهم لمعارض بني أميّة. ولكنّهم -من جانب آخر- أشعروا هذا الشعب النابه بأنّ الفارسيّ ليس في مأمن من تعرّض المتعصّبين، على الرغم من اعتناقه الإسلام. وما لم يمسك زمام أموره بيده، وما لم يحكّم حريّة الفكر وحجّة العقل على العصبيّة البدويّة، فلن يرى السعادة. لذلك عندما تولّت الأيام السوداء لحكومة الحجاج

وقتيبة، أصبحت خراسان وماوراء النهر مركزاً للاجتماعات السريّة المناوئة للأمويين، وعمد الشيعة والفرس إلى بثّ المشاعر العدائيّة ضدّهم.

ومهدت ثورة زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب إمام الزيدية في صفر سنة ١١٨هـ الأجواء لشيعة الكوفة من أجل التمرد على بني أمية فانضمّ إليه منهم ما يزيد على خمسة عشر ألفاً، كما بايعه جماعة كثيرة من فرس المدائن، والبصرة، وواسط، والموصل، والريّ، وجرجان، وخراسان، بيد أنّ الشيعة لم يفعلوا شيئاً هذه المرّة أيضاً. وقام حاكم الكوفة يوسف بن عمر بقمع المعارضين لبني أمية. واستشهد زيد الذي كان قد استبسل في القتال فصلبه يوسف ثمّ حرقه وألقى رماده في ماء الفرات.

وفي تلك الفترة التي ثار فيها زيد كانت هناك فرقة أخرى من الشيعة، وهم بقايا الكيسانية الذين بايعوا محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب بعد وفاة أبي هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفية سنة ٩٨هـ، وعرفوا بشيعة آل العبّاس أو الراوندية. وقد تغلّغت تغلغلاً شديداً في الأمصار المختلفة لا سيّما أمصار الشرق الإسلامي، وكانت تنتظر انهيار الدولة الأمويّة لحظة بعد أخرى. ولمّا كانت تظنّ أنّ الحكومة الأمويّة ستزول في نهاية القرن الأوّل الهجريّ، وأنّ الحقّ سيعود إلى أهله، أوقدت مبعوثين عنها في سنة ١٠١هـ إلى محمّد بن عليّ الذي اختار لقب «الإمام»، وكان قاطناً بقرية من قرى الشام تعرف بالحُميمة، وبايعته بالإمامة والخلافة.

وأشخص محمّد الإمام المبلّغين والدعاة إلى العراق وخراسان ليطلعوا الناس على قُبْح تصرّفات الأمويين وسوء سيرتهم وحكومتهم، ويدعوهم إلى العبّاسيين. وقام دعاة العبّاسيين أيام محمّد الإمام ونجله إبراهيم الإمام بنشاط مهمّ ضدّ الأمويين في العراق وخراسان اللتين استجابتا لدعوتهم أكثر من الأمصار الأخرى. وعلى الرغم من أنّ حكّام الأمويين وولاتهم قتلوا جماعة من أنصار إبراهيم، بيد أنّهم لم يفلحوا في القضاء على الشيعة الراوندية. وسوّدت هذه الطائفة ثيابها في

خراسان بعد وفاة محمد بن عليّ الإمام (١٢٤هـ) فعرفت بالمُسَوَّدَة . ومعظمهم من دهاقين خراسان وأولاد نبلاء الفرس . ونهضوا بمؤازرة أبي مسلم الخراسانيّ وأبي سلّمة حفص بن سليمان الخَلّال الهمدانيّ ، وتمكّنوا في آخر الأمر من القضاء على الأمويّين سنة ١٣٢هـ . وأثبتوا تفوّق العنصر الفارسيّ على العنصر العربيّ^١ في وقعة الزاب ، وفتحوا بذلك عهداً جديداً في تاريخ الحكومة والحضارة الإسلاميّة .

أمّا الشيعة العلويّة فلم يكن لهم شأن يذكر بسبب إقبال جُلّ الشيعة على الكيسانيّة والزيديّة . وكانوا يجتمعون حول أئمّتهم في المدينة أيّام الأمويّين . وعاشوا متفرّقين متوارين في الحواضر النائية . وتركز نشاطهم على معالجة المخالفين ، بخاصّة أصحاب الفرق الشيعيّة الأخرى كالغلاة ، والكيسانيّة ، والزيديّة ، ثمّ الواقفة بعد ذلك ، فعمدوا إلى تفنيد أدلّتهم ، وجهدوا في إثبات أحقيّة مذهبهم .

وعندما ثار أهل العراق وخراسان على بني أميّة تعاطفاً مع العبّاسيّين ، فإنّ عدداً من الشيعة - وكبيرهم أبو سلّمة الخَلّال - فكّروا في أن تكون الخلافة لآل عليّ عليه السلام . وكان ذلك في زمن الإمام السادس للشيعة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨هـ) . فكانت أبو سلّمة ثلاثة من أعيانهم هم : الإمام الصادق عليه السلام ، وعبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن الإمام أمير المؤمنين عليّ ، وعمر الأشرف بن الإمام زين العابدين ، يدعوهم الى الخلافة . وأرسل الكتب مع رجل من مواليهم . وقال له : اقصد أولاً جعفر الصادق عليه السلام . فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين . وإن لم يجب فالق عبد الله المحض ، فإن أجاب فأبطل كتاب

١- المسألة ليست تفوّق عنصر على عنصر ، والعنصران بعنصريّتهما جاهليّان . وإنّما المسألة انتصار الجاهليّة العبّاسيّة على الجاهليّة الأمويّة . مستعينة ببعض القاطنين في بلاد فارس إن صحّ انحدرهم من أرومة فارسيّة أصيلة . (م)

عمر، وإن لم يجب فآلَقَ عمر.

أما الإمام الصادق عليه السلام فقد أحرق الكتاب دون أن يقرأه. فذهب رسول أبي سلمة إلى عبد الله وناولَه الكتاب، فقبل الدعوة وأسرع إلى الإمام الصادق فأخبره بدعوة أبي سلمة بإيَّاه إلى الخلافة في كتاب أرسله إليه بيد أحد شيعة خراسان. فأوصاه الإمام بالاحتياط، وقال له: «ومتى صار أهل خراسان شيعتك؟! أنت وجهت إليهم أبا مسلم؟! هل تعرف أحداً منهم باسمه أو بصورته، فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك؟! فقال عبد الله: كأنَّ هذا الكلام منك لشيء! فقال الصادق: قد علم الله أنني أوجب النصح على نفسي لكل مسلم، فكيف أذخره عنك؟! فلا تُمنَّ نفسك الأباطيل، فإنَّ هذه الدولة ستتمُّ لهؤلاء». فانصرف عبد الله من عنده غير راضٍ. وأما عمر الأشرف فإنَّه ردَّ الكتاب وقال: أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه. ثمَّ غلب أبو سلمة على رأيه وعملت الدولة عملها، وبويع السَّفَّاح وتُمي الخبر إليه فحقد على أبي سلمة وقتله^١. ولهذا السبب أيضاً كتب أبو مسلم إلى الإمام الصادق عليه السلام، فقال في جوابه: «ما أنت شيعة لي، ولا الزمان زمانني»، فيئس أبو مسلم وبايع أبا العباس السَّفَّاح^٢. ويلاحظ في أيام ضعف الأمويين ودعوة أتباع العبَّاسيين أنَّه على الرغم من قلة الظلم الذي مارسه هؤلاء الحكَّام والقوَّة التي كانت عليها شريحة من الشيعة، فإنَّ العبَّاسيين لمَّا كانوا يَرَوْنَ العلويين منافسين لهم، ويخشون تصاعد قوَّتِهِمْ وزيادة عددهم، كان أئمة أهل البيت عليه السلام يوصون أصحابهم وأتباعهم بالاعتدال والتقِيَّة وكتمان الأسرار.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «وليس الناصب لنا حرباً بأعظم مؤنة علينا من المُذْبِح علينا سرِّنا. فمن أذاع سرِّنا إلى غير أهله لم يفارق الدنيا حتَّى يعصَّه

السلاح أو يموت بِخَبَلٍ»^١. وكان أحد أصحاب الإمام محمد الباقر عليه السلام يُدعى جابر بن يزيد الجُعفيّ زعم أنّه يحفظ خمسين ألف حديث، وقال: «قلْتُ لأبي جعفر عليه السلام: جُعِلَت فداك، إنَّك قد حمَلتني وقرأ عظيمًا بما حدَّثتني به من سرِّكم الذي لا أُحدِّث به أحدًا، فربّما جاش في صدري حتّى يأخذني منه شِبهُ الجنون! قال: يا جابر، فإذا كان ذلك فاخرج إلى الجَبان (الصحراء) فاحفر حفيرة ودَلْ رأسك فيها، ثمَّ قل: حدَّثني محمد بن عليّ (يقصد نفسه الشريفة) بكذا وكذا»^٢.

أمّا الفرس بخاصّة الذين كانوا ينحدرون من الأسر الأصيلّة للدهاقين والحضر والمرازب والأساورة في العهد الساسانيّ، وكان آباؤهم وأجدادهم يتولّون الأعمال المدنيّة والعسكريّة يومئذٍ، فإنّهم على الرغم من إيمانهم بالإسلام وقبولهم اللغة العربيّة في العصر العبّاسيّ، كانوا يسعون إلى العثور على رئيسٍ لهم يتفق وآدابهم الفارسيّة القديمة ويستجيب لميولهم الفطريّة. وهم الذين استأثروا بالمناصب الإداريّة للحكومة العبّاسيّة من إدارة الدواوين الصغيرة حتّى الوزارة. وكان بأيديهم زمام الأمور الإداريّة والحكوميّة في بغداد وغيرها من الحواضر المهمّة إذ كانت تشرف عليها أسر أصيلة كالبرامكة، وآل نوبخت، وآل سهل وغيرهم. ولمّا رأوا أنّ المبادئ الدينيّة للمذهب الإماميّ - مع ما كانوا يحتفظون به من ذكريات العهد الساسانيّ - تنسجم مع رغباتهم القلبيّة، آمنوا بها واتّبعوها وأصبحوا من المدافعين عنها. ذلك أنّ مذهب الإماميّة يخالف غصب الحقّ، ويقوم على إثبات الأولويّة والأفضليّة لمن نصّ عليه الله ورسوله بالإمامة والخلافة. والمجتمع الشيعيّ في هذا المذهب كأُسرة كبيرة رئيسها الإمام المعصوم، وتصل أوامره ونواهيهِ إلى خواصّ أصحابه، وهؤلاء يبلّغونها الشيعة فتنتقل من شريحة إلى أخرى حسب درجاتها. وكان الفرس يستطيعون من خلال إيمانهم بهذا المبدأ أن

يحافظوا على التقسيم الطبقيّ لأسر العهد الساسانيّ الذي كانوا قد ألّفوه ، تلك الأسر التي كان الشاهنشاه - أي : ظلّ الله - يعدّ حلققتها الأولى .

ولا ينكر الناس المنصفون أنّ عقيدة الإماميّة في باب الإمامة قويّة وطيدة وإن لم تتخذ طابعاً عمليّاً تطبيقياً بعد أمير المؤمنين عليّ وابنه الإمام الحسن عليه السلام إذ لم يتسلّم أحد الأئمة مقاليد الخلافة بعدهما . فهم ما بين شهيدٍ وبين من قضى نحبه في سجون الظالمين . وإنّما كانت العقيدة المذكورة قويّة لرسوخ أسسها الأخلاقيّة ، واستنادها إلى ظلّامة آل الرسول ، وتذكّار ما جرى عليهم من المصائب المؤلمة إذ إنّ فيهم من استشهد ، وفيهم من عُدّب . وكان المسلمون عامّة يذكرون هؤلاء الشهداء المظلومين بإجلال وإكبار ويزورون قبورهم .

وكان بعض الملوك العبّاسيّين كالمتوكّل والمعتضد ينظرون إلى الإماميّة بوصفها فرقة سياسيّة ، ويرون أنّ عقيدتهم في الإمامة مؤامرة ضدّ الأسرة العبّاسيّة الحاكمة . وكانوا يبذلون قصارىّ جهودهم للقضاء عليهم ، بيد أنّ البعض الآخر من متأدّبيهم ومرتّبهم كالمأمون والناصر كانوا يذهبون إلى أنّ عقيدة الإماميّة من أرقى العقائد الدينيّة لكنّهم كانوا مضطربين فكريّاً لعدم سيادتها على العالم . وكان في العبّاسيّين أيضاً من يرى أنّ الحكومة العبّاسيّة حكومة غاصبة ، ومنهم المقنّدر الذي كان يعتقد اعتقاداً باطنياً بمذهب الإماميّة .

وقام عدد من رؤساء الإماميّة الذين أخذوا طريقهم إلى البلاط العبّاسيّ بإشراك الأسر الفارسيّة العريقة المترفة في الشؤون الحكوميّة من خلال تخويل أفرادها مناصب ممتازة . وكان يُنظر إلى الإماميّة في بغداد على أنّهم رافِعُوا راية المعارضة للأوضاع القائمة يومئذٍ . وكانوا بما أُوتوا من قدرة أخلاقيّة ومعنويّة يُنحّون باللائمة دائماً على من يسمّونه بالسلطان الذي يريدون به الحاكم العبّاسي . وكانوا يرغمونه على إناطة المناصب بهم عبر التهديد الذي كان لا يتخطّى التحذير . ولم يرضوا عنه

أو يشكروه يوماً^١.

وكان الإمامية في البداية ، أي : قبل ظهور علم الكلام ، يستندون إلى كلام الله وسنة نبيه في الأصول والفروع كسائر الفرق الإسلامية آنذاك ويختلفون عنها في رجوعهم إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام في تفسير الآيات القرآنية والسنن النبوية وتأويلها . وكانت كلمات الأئمة التي تمثل الأحكام الدينية والتعاليم المتبعة عند الإمامية تُعالج ما غمض على الناس من الآيات والسنن .

إن انقسام الشيعة فرقاً ، وإصرار أهل السنة والخوارج على مناوئة الإمامية دفعاً للأئمة عليهم السلام وأتباعهم إلى المحاجبات والمناظرات . ولما كانت المناظرات مقصورة على الشؤون العبادية والفروع أوصى علماء الإمامية بادئ الأمر بالاستدلال بآيات القرآن والسنن المنقولة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، والعمل بالاحتجاجات التي عرضها أمير المؤمنين علي عليه السلام في مقابل خصومه كالخلفاء الثلاثة الأول ، ومعاوية ، والخوارج ، واليهود ، والنصارى . ونلاحظ في هذه الاحتجاجات والخطب الأخرى لأمر المؤمنين عليهم السلام جذر الاستدلال بالأدلة العقلية والبراهين البقية . ومع أن الإمام عليه السلام لم يسلك سبيل المتكلمين التقليديين في كلامه إلا أن المعتزلة والشيعة تأسوا به نوعاً ما واستندوا إلى كلماته في إثبات أصول عقائدهم ودحض أقوال خصومهم . ونلاحظ في عصر الإمام الصادق عليه السلام أن المعتزلة قد نشطوا ، ودّونا علم الكلام بالنحو الذي ذكرناه في الفصل السابق من جهة ، وأن الزنادقة (المانوية) وأصحاب مرقيون ، وابن ديسان ، وسائر فرق الخوارج بشّوا مقالاتهم من جهة أخرى . وكان الإمامية أقلية ويعيشون في ضيق بسبب ظهور الكيسانية ، والزيدية ، والإسماعيلية و فرق الشيعة الأخرى . وأجبروا على مناظرة الفرق الجديدة بخاصة المعتزلة الذين كانوا يتكاثرون على دعامة قوية كالأدلة الكلامية العقلية ، وكانوا قد

دخلوا ميدان المجادلة بأسلوب استدلالِيّ معيّن واصطلاحات جديدة. وإتّما قام الإماميّة بذلك محافظةً على عقائدهم من هجمات مناوئهم. يضاف إلى ذلك أنّ أبا حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠-١٥٠هـ) قد أظهر مذهبه يومئذٍ وهو من مُرجئة العراق، ومن الموالي الفرس. ووضع مذهبه على أساس القياس الجليّ والخفيّ^١ واستنباط المعاني من الأحكام على خلاف أصحاب الحديث الذين كان اهتمامهم كلّه منصبّاً على تحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النصوص. وكان أتباعه الذين عُرفوا بأصحاب الرأي والقياس يقدّمون القياس الجليّ حتّى على «خبر الواحد» أحياناً. وكان أبو حنيفة يقول غالباً: علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى ولنا ما رأينا. وهذا ما أفضى إلى أن يزيد أصحابه على اجتهداه اجتهاداً، ويخالفوه في الحكم الاجتهاديّ^٢.

وتقارن عصر الإمام الباقر والإمام الصادق عليه السلام مع بداية النهضة الدينيّة والاحتجاجات والمناظرات المذهبيّة. وكان الإماميّة يومئذٍ مضطّرين إلى مناظرة فرق الشيعة المختلفة كالكيسانية، والزيدية، والغلاة، والإسماعيلية وردّ دعاوهم من جهة، ومجادلة أصحاب الحديث والسنة وأتباع أبي حنيفة، والزنادقة، والدهريين، والأشدّ منهم جميعاً: المعتزلة من جهة أخرى. ويدو أنّ هذا العمل كان في بدئه عسيراً نوعاً ما بسبب عدم تدوين الحديث وفقاً لرواية الإماميّة، وقلة

١- القياس في اللغة عبارة عن التقدير. وعند أهل الأصول: إبانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر. واختيار لفظ الإبانة دون الإثبات لأنّ القياس مظهر للحكم لا مثبت. وذكر مثل الحكم ومثل العلة احتراز عن لزوم القول بانتقال الأوصاف. واختيار لفظ المذكورين ليشمل القياس بين الموجودين وبين المعدومين. والقياس إمّا جليّ وهو ما تسبق إليه الأفهام. وإمّا خفيّ وهو ما يكون بخلافه ويسمّى الاستحسان. (التعريفات ٧٨) وفي الأحاديث المروية عن الأئمة المعصومين عليهم السلام: ليس من أمر الله أن يأخذ دينه بهوى ولا رأي ولا مقياس. قيل: ذكر المقاييس بعد الرأي من قبيل ذكر الخاصّ بعد العام لشدة الاهتمام.

علماء المذهب الإمامي. ولم يكن لهم خيار إلا الرجوع إلى أئمتهم. ولما كان الإمام حسب عقيدة الإمامية أعلم أهل زمانه وأتقاهم، وكان بصيراً بمصالح الناس جميعاً اتخذ متكلمو الإمامية أئمة الهدى عليهم السلام مراجع لهم في كافة الميادين، وكانوا يتلقون التعليمات منهم، كما كانوا يفتنون دعاوى خصومهم بتوجيه أئمتهم، وعملوا على جمع الأخبار التي كانوا يسمعونها منهم. بخاصة أن الأحاديث والأخبار المروية عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام في هذه الميادين أكثر من أحاديث الأئمة الآخرين. وينقل الشيعة الإمامية أخبارهم غالباً عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام لاسيما عن الإمام الصادق عليه السلام الذي روي أكثر الأصول الأربعمئة عنه.

وفي ضوء ما نقله الشيخ المفيد فإن علماء الإمامية قد ألفوا أربعمئة كتاب منذ عصر أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى عصر الإمام الحادي عشر عليه السلام، وتُدعى هذه الكتب بالأصول.

والأصل كما يصطلح عليه علماء الحديث هو كلام الأئمة المعصومين عليهم السلام فحسب، في مقابل الكتاب والمصنّف اللذين يشتملان على كلام المؤلف مضافاً إلى كلام الأئمة عليهم السلام^١. وكان مؤلفو الكتب الرجالية يفصلون أصحاب الأصول عن المصنّفين في البداية. وأول من وقى هذا العمل حقّه هو أبو الحسين أحمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائري الذي كان أحد المؤلفين في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وقد صنّف كتابين: أحدهما يتعلّق بالكتب المؤلفة، والثاني يتعلّق بالأصول، بيّد أنّهما سرعان ما فقدوا. وجاء بعده الشيخ الطوسي فأعدّ كتابه الفهرست في الجمع بين المصنّفين وأصحاب الأصول^٢.

ولكن لما كانت هذه الأخبار والأحاديث غير مدوّنة لفترةٍ حيث بدأ تدوينها في

القرن الثاني لا غيره^١، فإنَّ كلَّ فرقة من الفرق الإسلاميّة كانت تؤوّلها وفقاً لأغراضها الخاصّة لا سيّما بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام، وفي عصر ولده الكاظم عليه السلام إذ ظهرت فرق جديدة كالإسماعيليّة، والفطحيّة، والواقفة. وكان كثير من أصحاب تلك الفرق يفترون الأخبار والأحاديث من عند أنفسهم ويروونها باسم الأئمّة عليهم السلام. وقد شرع بهذا العمل في حياة الإمام الصادق عليه السلام نفسه، فقال: «... إنّ الناس أولعوا بالكذب علينا. وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتّى يتأوّله على غير تأويله، وذلك أنّهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنّما يطلبون الدنيا»^٢.

وممن اشتهر بانتحال الأخبار ودسّها في الأحاديث المرويّة عن الأئمّة عليهم السلام - وتذكر أسماؤهم مراراً -: أبو عليّ عبد الله بن بكير الشيبانيّ (من الفطحيّة)، وسماعة بن مهران (من الواقفة)، وأبو الحسن عليّ بن حمزة البطائنيّ (من الواقفة)، وأبو عمر عثمان بن عيسى (من الواقفة)، وبنو فضال (من الواقفة)، والمغيرة بن سعيد (من الغلاة)، وأبو الخطّاب محمّد (من الإسماعيليّة)، والطاطريّة أصحاب عليّ بن حسن الطاطريّ، وبنو سماعة (كلّهم من الواقفة) وغيرهم^٣. وبشكل عام فإنّ كثيراً من المصنّفين وأصحاب الأصول من الإماميّة كانت لهم أوّل الأمر عقائد ومذاهب عدّها العلماء الذين جاؤوا بعدهم فاسدة، وانشغلوا في تجريحهم وتعديلهم وبيان حقّهم وباطلهم^٤.

وكانت فرق الشيعة المختلفة - بمن فيهم الذين كانوا يختلفون الأخبار - ينسبون رواياتهم جميعاً إلى الأئمّة عليهم السلام إثباتاً لدعواهم. وهذه المسألة كانت تسبّب حرجاً كبيراً للناس، وتنتهي بلعن رواة الأخبار المختلفة الضعيفة من قبل الأئمّة عليهم السلام،

١- بحار الأنوار ١: ١٦٢.

٢- نفسه ١: ١٩٥.

٣- نفسه ١: ١٩٦-١٩٨.

٤- الفهرست للشيخ الطوسي ٣.

وتفسح المجال لمناوئي الشيعة أن يطعنوا فيهم. ومن ثمّ يستغلّ المعتزلة وأهل السنة هذا الموضوع لتخطئة الشيعة ومهاجمتهم^١.

واضطّر علماء الإمامية بعد ظهور علم الكلام إلى التمسك بالاصطلاحات وأساليب الاستدلال عند المتكلمين من أجل الردّ على أدلّة خصومهم والدفاع عن عقائدهم. ومع أنّ معظم الشيعة كانوا ينفرون من الكلام^٢، وكانوا يروون أحاديث أيضاً في النهي عن الاستدلال والنظر في القضايا الدينية، بيد أنّهم اهتموا بتعلّم أصول هذا العلم شيئاً فشيئاً. وكان جماعة من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) - كما سنأتي عليه - يُعدّون في الطبقة الأولى من متكلمي الإمامية. وكان الإمام (عليه السلام) يحثهم ويشجّعهم على مناظرة الخصم وإبطال دعاوى المخالفين وإثبات أحقيّة المذهب الإمامي. مع هذا كان هناك خلاف شديد بين الأخباريين والمتكلمين منهم كسائر الفرق. وكلّ طائفة كانت تردّ على الطائفة الأخرى وتكفرها^٣. لكنّ الحاجة إلى الدفاع عن العقائد الدينية بالأدلة الكلامية، والشعور بضرورة مواجهة المعتزلة ممّا رفع من شأن المتكلمين على كروار الأيّام. وكانوا يستشهدون باحتجاجات الأئمة وكلمات أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) من أجل إظهار صحّة هذا النهج، بخاصّة أنّ متكلمي هذا العصر من المعتزلة والإمامية واجهوا - كما قلنا - كثيراً من الموضوعات التي كانوا قد استنبطوها بواسطة الأدلّة العقلية، وجعلوها من أصول مذهبهم وذلك في سياق دراستهم لخطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين الحكيمية، وذهبوا إلى أنّها تدعم اهتمامهم في الكلام، وعدّوا الإمام (عليه السلام) أستاذهم ورئيسهم في هذا المجال^٤. ويلحظ بين متكلمي الإمامية أنّ الشيخ المفيد ألف كتاب الكامل في علوم الدين،

١- الانتصار ١٣٤، وتليس إبليس ١٠٥. ٢- الانتصار ٤.

٣- الملل والنحل ١٣١.

٤- الاحتجاج ١٠٢، وشرح نهج البلاغة ٢: ١٢٠ و١٢٨.

وكتاب الأركان في دعائم الدين وذكر فيهما ترجمة وافية لمتكلمي الإمامية وكتبهم وثناء الأئمة عليهم. ونقل فيه أنّ فقهاء الإمامية ورؤساءهم استعملوا المناظرة وآمنوا بصحتها^١. يضاف إلى ذلك أنّ احتجاجات الأئمة عليهم السلام - بخاصة الإمام الصادق، والإمام الرضا - مع الزنادقة، والدّيصانيّة، وأصحاب أبي حنيفة، والزيدية، والنصاري، واليهود، والمجوس كانت مثلاً وقدوة لمتكلمي الإمامية. وهؤلاء أيضاً كانوا ينتهجون هذا السبيل عملاً بتعليمات أئمتهم، وتشجيعهم إياهم. لكن الطبقة الأولى من متكلمي الشيعة ما كانت في البدء موافقة لعقائد الفرقة المذكورة، بسبب عدم تدوين هذا العلم، ولم يكن بينهم توافق كامل على تحديد دقيق للاصطلاحات والمباحثات الكلامية. ولمّا مال الزنادقة وبعض المسلمين الجدد المغرضين إلى الإمامية لحقدهم على المعتزلة إذ كانوا يفتّدون عقائدهم تنفيذاً شديداً بأدلة قويّة، وكانوا قد خلطوا مقالاتهم بمقالات الشيعة، فقد صدرت مقالات عن بعض متكلمي الإمامية تختلف عن الأصول الدينية للمذهب الإمامي اختلافاً تاماً، فصدّى أئمة الهدى والمقرّبون منهم إلى ردّها، وإطلاع هؤلاء المتكلمين على خطئهم في اقتباسها وترويجها.

ولمّا لم ينتشر علم الكلام بين الإمامية حتّى عصر الإمام الصادق عليه السلام، فإنّ علماء هذه الفرقة كانوا جميعاً على نهج أئمتهم في الأصول. ثمّ برز الاختلاف بينهم في رواية الأخبار والأحاديث. وانفصلت شريحة المتكلمين عن الأخباريّة وتمسّكت بأصول الاعتزال^٢، بخاصة أنّ عدداً منهم كانوا من المشبّهة أوّل الأمر، ثمّ تراجعوا عن عقيدة التشبيه بسبب نهى الأئمة عليهم السلام عنها، واختلاطهم بالمعتزلة^٣.

٢- الملل والنحل ١٢٤ و ١٣١.

١- بحار الأنوار ٤: ٣٧٥.

٣- نفسه ١٣٢. و بحار الأنوار ٤: ٣٧٥.

ونلاحظ أنَّ الكلام عند الإمامية وإن كان أساسه في البداية مقتبساً من المعتزلة^١، يُبدَّ أنه وجد له أساساً خاصاً يقوم عليها بفضل توجيه الأئمة الأطهار عليهم السلام، وظهور عدد من العلماء الكبار في أوساطهم. وحصل خلاف عقيدتي بين متكلمي الإمامية والمعتزلة حول كثير من الموضوعات. واحتدمت سوق المناظرات بينهما. وصنفت كل طائفةٍ منهما كتباً في الردِّ على الطائفة الأخرى.

وعلى الرغم من هذا فإنَّهما لم يفترقا في الأصول كثيراً، بخاصة أنَّ بعض طبقات الشيعة اقترب من المعتزلة عقيدياً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المعتزلة فإنَّ بعض رؤسائهم اقترب من الشيعة. وهذا ما جعل بعض المؤرخين يواجهون صعوبةً في تشخيص عقائد عدد منهم، فتارةً ذكروهم في عداد المعتزلة، وأخرى في مصافِّ الشيعة. وخلط الرجاليون السنَّة بينهما غالباً وعدَّوهما طبقة واحدة لا سيَّما أنَّ إحدى الفرق الشيعية الكبيرة وهم الزيدية نهجوا سبيل الاعتزال لظنَّهم أنَّ مؤسس فرقهم زيد بن عليٍّ كان تلميذ واصل بن عطاء. وكانوا يفضِّلون أئمة المعتزلة على أئمة أهل البيت عليهم السلام. ومن هذا المنطلق رفضت شيعة الكوفة زيداً لما سمعت أنَّه يتبع المعتزلة في القول بإمامة المفضل، وعرفوا أنَّه ينكر البراءة من الشيخين (الخليفة الأول والثاني). وجرت بينه وبين أخيه الإمام محمد الباقر عليه السلام مناظرات في هذا الوجه. وقد لامه الإمام من حيث إنَّه يقتبس العلم ممَّن يجوز الخطأ على جدِّه [أمير المؤمنين عليه السلام] في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، ومن حيث إنَّه يتكلَّم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت، ومن حيث إنَّه كان يجعل الخروج شرطاً في الإمامة^٢.

١- هذا الموضوع محل جدل ونقاش، ولا يمكن البتَّ به بهذه السهولة، ومما يرجح أصالة الفكر الكلامي الشيعي أنَّ متكلمي الشيعة قد استندوا في قضايا المعتنقد إلى كلمات أئمتهم، لكن التشابه في بعض

المباحث بين الشيعة والمعتزلة لا يدلُّ بالضرورة على الاقتباس. (م)

٢- الملل والنحل ١١٦-١١٧ و ١٢١.

وتركزت مناظرات المعتزلة والشيعية الإمامية على المسائل الآتية: شروط الإمام وكيفية نصبه والإجماع، والنص، والغلبة، والرجعة، والبداء، والتقية، والتشبيه، والرؤية، ومقالات الغلاة كالحلول والتناسخ التي رفضها الإمامية بعامّة، وأنهمم بها المعتزلة لخوض بعض متكلميهم الأول فيها، والحكم على الصحابة، والأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ أو المروية عنه، وقدر القرآن^١، وعقيدة القدر حيث لا يعتقد الإمامية بحكم المجبرة ولا بحكم المعتزلة في هذا الباب، بل يعتقدون بالأمر بين الأمرين، كما قال الصادق عليه السلام: لا جبر ولا تفويض ولكن أمرين الأمرين^٢، ومسائل أخرى غيرها.

ويبدو أنّ أول من صنّف كتاباً في الإمامة بين متكلمي الإمامية، وأول من ناظر مخالفهم في هذا الميدان هو عيسى بن روضة أحد الموالي الملازمين للمنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ)^٣. كما يلوح لنا أنّ أول متكلم تكلم وفقاً لأصول عقائد الإمامية وناظر المخالفين بأدلة كلامية هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن ميثم التمار، وهو من متكلمي النصف الأول من القرن الثالث الهجري. ومناظراته مع أبي الهذيل العلاف، وأبي إسحاق النظام، وضرار بن عمرو الضبي معروفة.

ومن أكبر الدعاوى التي قامت بين الإمامية من جهة وبين المعتزلة وأهل السنة من جهة أخرى هي دعوى النص الجلي في باب الإمامة؛ فالمعتزلة وأهل السنة يرون أنّ الإمامية لم يعرفوا دعوى النص الجلي قبل أبي عيسى الوراق، وابن الراوندي، وهشام بن الحكم. وهؤلاء الثلاثة هم أول من وضع هذه الدعوى^٤. بيد

١- الانتصار ١٠٤-١٠٥ و ١٣٥-١٣٦.

٢- أصول الكافي: ٥٥؛ الملل والنحل: ١٢٥؛ مجمع البحرين: ٣٧٢.

٣- رجال النجاشي: ٢٠٩.

٤- الشافي للشريف المرتضى: ٩٨، نقلاً عن المغني للقاضي عبد الجبار، وشرح المقاصد ٢: ٢٨٥.

أَنَّ متكلّمي الإماميّة يرفضون هذا الرأي و يذهبون إلى أَنَّ القول بالنصّ الجليّ عقيدة شيعيّة قديمة . لكنّ المخالفين قبل عصر ابن الراوندي وأبي عيسى وهشام بن الحكم لمّا لم يجدوا للشيعه كلاماً مجموعاً في نصرة النصّ ، ووجدوه أوّل مرّة في كتب هؤلاء الثلاثة مفصّلاً ، توهموا أنّهم هم الذين وضعوه^١ .

ولمّا كان النزاع المهمّ بين متكلّمي الإماميّة وأهل الكلام من سائر الفرق يحوم حول الإمامة ، فإنّ كلّ متكلّم من متكلّمي الإماميّة صنّف كتاباً أو كتباً متعدّدة في الإمامة منذ عصر الإمام الصادق عليه السلام . وقرّروا عقائدهم وفصلوا القول فيها بأدلة سمعيّة وعقليّة . وذكرت كتب في الإمامة للطبقة الأولى من متكلّمي الشيعة كأبي الحسن عليّ بن إسماعيل التمار ، وهشام بن الحكم ، وأبي جعفر محمّد بن النعمان مؤمن الطاق ، وأبي جعفر محمّد بن خليل الشكّال ، وأبي محمّد يونس بن عبد الرحمن القميّ . و ألف الشكّال كتاباً في ردّ عقائد من أنكر وجوب الإمامة بالنصّ^٢ .

إنّ انتشار كتب هؤلاء في الإمامة ، وجهود الشيعة الإماميّة في تقرير هذا الموضوع والتركيز على أهمّيّته جعل مبحث الإمامة من أهمّ مباحث علم الكلام ، لا سيّما وقد ظهر في الطبقة الثانية من متكلّمي الشيعة أو المنسوبين إليهم مؤلّفون كبار كأبي عيسى محمّد بن هارون الورّاق ، وأحمد بن يحيى بن الراونديّ ، وأبي الأحوص داود بن أسد البصريّ ، وأبي محمّد الحسن بن موسى النوبختيّ ، وأبي سهل إسماعيل بن عليّ النوبختيّ . وقام هؤلاء بنشر عقائد المتكلّمين السابقين بنحو مفصل ، وتصدّوا إلى الردّ على آراء المعتزلة والفرق الأخرى بأدلة يقينيّة . وتعدّ كتبهم المطابقة لأصول مذهب الإماميّة من أوثق كتب الشيعة في الإمامة . وأدّى انتشارها إلى دخول مبحث الإمامة في علم الكلام الشيعيّ . وإنّ أوّل من عدّ

مبحث الإمامة في الأصول واحتج في ذلك الباب هو أبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي (٢٣٥-٣١١هـ)^١. ثم تأسى به المتكلمون الآخرون، وأدخلوا مبحث الإمامة في المباحث الكلامية في ذيل النبوة.

اتسع نطاق علم الكلام الشيعي بعد طبقة الوراق، وابن الراوندي، وآل نوبخت وطلابهم. وصنف المتكلمون الجدد كتباً متعددة بمناهج وأساليب متنوعة. وعلى الرغم من أن أصول عقائدهم جميعاً واحدة، وكلهم يتبعون أصولاً مدونة من قبل المتكلمين القدامى، لكنهم كانوا يختلفون أيضاً في كثير من المواطن الجزئية، وكان لكل منهم مشربه الخاص به. وأصبح هذا الاختلاف بينهم في المسائل الكلامية حربة بيد الأخباريين لمهاجمتهم، وتصريحهم أن أسلوب الكلام في معرفة الأحكام الدينية أسلوب لا يوثق به، ولا يخلو من شبهة. وأراد قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (المتوفى سنة ٥٧٣هـ) شارح نهج البلاغة أن يثبت هذا الرأي فألف رسالة في ذكر مواضع الخلاف بين الشيخ المفيد والشريف المرتضى، وذكر فيها خمسة وتسعين موضعاً. وقال: إنه لو أراد أن يستوفي في هذا الباب لطال الكتاب^٢.

وبعد ذكر هذه المقدمات نتطرق فيما يأتي إلى ترجمة مجملة للمتكلمين الأوائل من الإمامية أو المنسوبين إليهم ممن سبق آل نوبخت في هذا المضمار. ويعدّ المتكلمون النوبختيون وسطاً بينهم وبين المتكلمين الكبار في القرن الرابع والخامس.

١- نسخة المقال ١٣٢.

٢- بحار الأنوار ١: ١٥٥-١٥٦، وروضات الجنّات ٣٠١.

١- أبو جعفر مؤمن الطاق (أواسط القرن الثاني)

كان أبو جعفر محمد بن النُّعمان من موالى الكوفة . وعرف بمؤمن الطاق لأنه كان صَرافاً في طاق المحامل بالكوفة . ولقَّبه المخالفون شيطان الطاق لِحَوْلٍ كان في عينه . عاصر أبا حنيفة (٨٠-١٥٠هـ) وكان أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨هـ) . عُذَّ من قدماء شيوخ الشيعة ومن متكلميهم الأول . وجرت له مناظرات كثيرة مع أبي حنيفة ورؤساء المعتزلة والخوارج . وكان في عداد متكلمي الشيعة الذين رُموا بعقيدة التشبيه ، ونال منه المعتزلة على نحو خاص في هذا المجال^١ . ولما كان مؤمن الطاق من قدماء الإمامية الذين تكلموا في ذات الباري تعالى وصفاته ، وكان علم الكلام لم يدون بعد وفقاً لمذهبهم ، فقد رفض بعض المتكلمين من الإمامية قسماً من عقائده . ومن هؤلاء أبو محمد هشام بن الحكم الذي صنَّف كتاباً في الردِّ على بعض عقائده^٢ . وتوفِّي مؤمن الطاق بعد الإمام الصادق عليه السلام . وكان قد صنَّف كتباً في تأييد مذهب الشيعة ، وإثبات إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام حسب رأي الشيعة ، ودخض آراء الخوارج والمعتزلة في هذا الحقل ، والحُكْم على حرب الجمل وطلحة ، والزبير ، وعائشة . وكان أصحابه يُسمُّون النُّعمانية ، أمَّا مخالفوه فيُسمُّون الشَّيطانية .

للقوف على سيرته وعقائده ، انظر: رجال الكشي: ١٢٢-١٢٦ ، ورجال النجاشي: ٢٢٨ ، والفهرست للشيخ الطوسي ٣٢٣ ، وفرق الشيعة: ٦٦ ، والفهرست: ١٧٦ طبعة ألمانيا ، و ص ٨ من مُلحق طبعة مصر ، والملل والنحل: ١٤٢-١٤٣ ، والفرق بين الفرق: ٥٣ ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ٣٧ ، ٤٢ ، ٥١ ، والانتصار: ٦

و ٥٨، والفصل لابن حزم ٤: ٩٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩٤، وغيرها.

٢- هشام بن سالم الجواليقي (النصف الثاني من القرن الثاني)

أبو الحكم هشام بن سالم الجواليقي من موالى الكوفة. وكان من سبيّ الجوّزجان. وهو أحد المعدودين في أصحاب الإمامين: الصادق والكاظم (عليه السلام). وكان في بادئ أمره من القائلين بالتشبيه والصورة في التوحيد، وله آراء في الاستطاعة والمعصية لم يوافقه عليها سائر متكلمي الشيعة. وصنّف هشام بن الحكم كتاباً في الردّ على بعض عقائده^١.

للاطلاع على سيرته وعقائده، تُنظر الكتب الآتية: رجال الكشي: ١٨١-١٨٤، رجال النجاشي: ٣٠٥، وفهرست الشيخ الطوسي: ٣٥٦، و فرق الشيعة: ٦٦، وأصول الكافي: ٣٧، ومقالات الإسلاميين للأشعري: ٣٤، والملل والنحل: ١٤١-١٤٢، والانتصار: ٦ و ٥٧، والفصل: ٤: ٩٣، والفرق بين الفرق: ٥١-٥٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩٤، وبحار الأنوار ٢: ١٤٣-١٤٥، وغيرها.

٣- هشام بن الحكم (وفاته سنة ١٩٩هـ)

أبو محمّد هشام بن الحكم من موالى الكوفة. نشأ بواسط وترعرع فيها، ثمّ رحل منها إلى بغداد للتجارة. وكان في أوّل أمره من المرجئة ومن أتباع الجهم بن صفوان رئيس مرجئة خراسان (المقتول سنة ١٢٨هـ)، ثمّ أعرض عن هذه الفرقة

وَأَمَّنْ بِعَقِيدَةِ الشَّيْعَةِ فِي الْإِمَامَةِ لِأَدَلَّةٍ نَظَرِيَّةٍ ، ثُمَّ أَصْبَحَ مِنْ أَجَلَّةِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ
الْصَادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَام) .

كَانَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ مِنْ أَكْبَرِ مُتَكَلِّمِي الْإِمَامِيَّةِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَحَدَّثَ فِي مَبِثِّ
الْإِمَامَةِ بِأَدَلَّةٍ كَلَامِيَّةٍ وَنَظَرِيَّةٍ . وَوَجَدَ حُجْجاً سَهْلَةً لِإِبْطَالِ هَذَا الْمَوْضُوعِ ، وَنَاضَرَ
أَكْبَارَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُخَالَفِينَ فِي عَصَرِهِ وَحَاجَجَهُمْ . وَلَمَّا كَانَ مِنَ الشَّيْعَةِ الْقَطْعِيَّةِ - أَيْ
مِنَ الشَّيْعَةِ الَّذِينَ قَطَعُوا بِوَفَاةِ الْإِمَامِ الْكَاطِمِ (عَلَيْهِ السَّلَام) وَذَهَبُوا إِلَى إِمَامَةِ وَلَدِهِ عَلِيِّ بْنِ
مُوسَى الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَام) عَلَى عَكْسِ الْوَاقِفَةِ الَّذِينَ وَقَفُوا عَلَى إِمَامَةِ الْكَاطِمِ (عَلَيْهِ السَّلَام) - فَإِنَّهُ كَانَ
يَنَاضِرُ الْوَاقِفَةَ ، وَالْخَوَارِجَ ، وَالْمُعْتَزِلَةَ بِاسْتِمْرَارٍ . وَكَانَ ذَا بَدِيهَةٍ ، حَادِثاً فِي عِلْمِ
الْكَلَامِ .

نَقَلَ الْمَسْعُودِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ الْأَبَاضِيَّ كَانَ بِالْكُوفَةِ تَخْتَلَفُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ
يَأْخُذُونَ مِنْهُ ، وَكَانَ خِرَازاً شَرِيكاً لَهُشَامُ بْنُ الْحَكَمِ . وَكَانَ هِشَامُ ... يَخْتَلَفُ إِلَيْهِ
أَصْحَابُهُ مِنَ الرَّافِضَةِ يَأْخُذُونَ عَنْهُ . وَكِلَاهُمَا فِي حَانُوتٍ وَاحِدَةٍ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ
التَّضَادِّ فِي الْمَذْهَبِ ، وَلَمْ يَجْرِ بَيْنَهُمَا مَسَابَّةٌ وَلَا خُرُوجٌ عَمَّا يُوْجِبُهُ الْعِلْمُ وَقَضِيَّةُ
الْعَقْلِ وَمُوجِبِ الشَّرْعِ وَأَحْكَامِ النَّظَرِ وَالسِّيَرِ . وَذَكَرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ الْأَبَاضِيَّ قَالَ
لَهُشَامُ بْنُ الْحَكَمِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ : تَعْلَمُ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْمُوَدَّةِ وَدَوَامِ الشَّرْكَةِ ، وَقَدْ
أَحْبَبْتُ أَنْ تُنْكَحَنِي ابْنَتُكَ فَاطِمَةُ ، فَقَالَ لَهُ هِشَامُ : إِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ، فَأَمْسَكَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَمْ
يَعَاوِدْهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، إِلَى أَنْ فَرَّقَ الْمَوْتُ بَيْنَهُمَا^١ .

كَانَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ أَحَدَ مُصَنِّفِي الشَّيْعَةِ ، وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ فِي الْمَوْضُوعَاتِ
الدِّينِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ . وَعُدَّ مِنَ الْمَلَازِمِينَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ إِذْ كَانَ
دَائِمَ الْحُضُورِ فِي مَجَالِسِ الْمَنَازَرَةِ الَّتِي يَعْقِدُهَا هَذَا الْوَزِيرُ فِي بَغْدَادٍ . وَكَانَ هِشَامُ
فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مِنَ الْقَائِلِينَ بِالْجَبْرِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ ، ثُمَّ غَيَّرَ عَقِيدَتَهُ نَتِيجَةً

لمصاحبه الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام. وتحامل عليه المعتزلة لاعتقاده بالتجسيم والتشبيه وحدوث العلم والبداء. ومن الذين تحاملوا عليه: الجاحظ، والخيَّاط، والكعبي، وابن أبي الحديد. وكان الجاحظ أكثرهم نقلاً لأقواله^١. بل نسب إليه بعض المصنِّفين الأوائل من الشيعة هذه الآراء كأبي محمَّد الحسن بن موسى النوبختي في كتاب «الآراء والديانات»^٢، بيد أنَّ المتأخِّرين منهم يَرَوْنَ أنَّ هذه تهم رُمي بها هشام، وردَّوا عليها بشدَّة. ومن هؤلاء: الشريف المرتضى في كتاب الشافي في الإمامة، وصاحب تبصرة العوام^٣. وسَمَّى أصحاب الملل والنحل أتباع هشام بن سالم، وهشام بن الحكم بالهشامية.

للاطلاع على سيرة هشام وعقائده وكتبه، انظر: رجال الكشي: ١٦٥-١٨١. ورجال النجاشي: ٣٠٥-٣٠٦. والفهرست للشيخ الطوسي ٣٥٥-٣٥٦. والفهرست: ١٧٦-١٧٥ من الطبعة الألمانية و ص ٧ من ملحق طبعة مصر. و فرق الشَّيعة: ٦٦. ومقالات الإسلاميين للأشعري ٣١-٥٥. والملل والنحل: ١٤١-١٤٢. وأصول الكافي: ٣٧. وكمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٦-٢٠٩. والفرق بين الفرق: ٤٨-٥١. و تبصرة العوام: ٤١٩-٤٧٠، والانتصار: ٦، ٤٠-٤١، ١٢٣-١٢٤، ١٠٨-١٠٩، ١٢٥-١٢٦، ١٥٧-١٥٨. والفصل لابن حزم ٤٠: ٩٣ و ١٥٧. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩٤-٢٩٥. ومروج الذهب ٢: ١٣٧ طبعة مصر. وبحار الأنوار ٢: ١٤٣-١٤٥. وغيرها.

١- الانتصار: ٤١، ٦٠، ١٤١، ١٤٢، ومقالات الإسلاميين للأشعري: ٣١-٣٤.

٢- بناءً على ما نقل ابن أبي الحديد عن ذلك الكتاب ١: ٢٩٥.

٣- الشافي: ١٢، تبصرة العوام: ٤١٩.

٤ - أبو الحسن عليّ بن ميثم التمار (النصف الثاني من القرن الثاني)

أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن شُعيب بن ميثم التمار، من أبناء الموالي بالكوفة. وكان جدّه أبو سالم ميثم من الفرس القاطنين فيها، ومن أجلّة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. قتله عبيد الله بن زياد بالكوفة قبل قدوم الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق بعشرة أيّام.

كان أبو الحسن الميثميّ من الطبقة الأولى لمتكلمي الشيعة، ومن المعاصرين لهشام بن سالم وهشام بن الحكم، ولرؤساء المعتزلة الكبار كأبي الهذيل العلاف (المتوفى سنة ٢٢٧ أو ٢٣٥)، وأبي إسحاق إبراهيم النّظام (المتوفى بين سنة ٢٢١ و ٢٣١)، وعليّ الأسواريّ. وله مناظرات كثيرة مع معتزلة عصره. وهو أوّل من تكلم وفقاً لعقائد الإماميّة وحاجج المخالفين بالأدلة العقلية والبراهين النظرية^١. وله كتب أشهرها كتاب في الإمامة باسم الكامل، والآخر مجالس هشام بن الحكم، وكان قد جمعه.

للاطلاع على سيرته و عناوين كتبه، انظر: الفهرست: ١٧٥، ورجال النجاشي: ١٧٦، وفهرست الشيخ الطوسي: ٢١٢، وكتاب الانتصار: ٦، ٩٩، ١٤٢، ١٧٧، ومقالات الإسلاميين للأشعري: ٤٢ و ٥٤، وكتاب الفصول للشريف المرتضى (مخطوط)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩٤، وغيرها.

٥ - أبو مالك الحضرمي (أواسط القرن الثاني)

أبو مالك الصّحّاك الحضرميّ من عرب الكوفة، وأحد أصحاب الإمام الصادق

١ - الفهرست: ١٧٥. وفهرست الشيخ الطوسي: ٢١٢.

أو الامام الكاظم عليه السلام . ويعدّ من المتكلمين الثقات . له كتاب في التوحيد برواية الفقيه الواقفي المعروف علي بن الحسن الطاطري .

انظر: رجال النجاشي: ١٤٥ ، ومقالات الإسلاميين: ٤٢ و ٤٣ ، والفصل لابن حزم ٤: ٩٣ ، وغيرها للاطلاع على سيرته وعقائده .

٦- أبو جعفر السكاك

(النصف الأول من القرن الثالث)

وهو أبو جعفر محمد بن خليل المشهور بالسكاك ، تلميذ أبي محمد هشام بن الحكم (توفي سنة ١٩٩ هـ تقريباً) . كان معاصراً لعدد من مشاهير المعتزلة كأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٠-٢٥٥ هـ) ، وأبي جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي (توفي سنة ٢٤٠ هـ) ، وأبي الفضل جعفر بن حرب (توفي سنة ٢٣٦ هـ) . وكانت له مناظرات مع الآخرين^١ . وهو من رجالات الشيعة المشهورين ، ومن مصنفي كتبهم^٢ .

ورد لقبه في أكثر الكتب القديمة محرفاً في صورتين هما: الشكال ، والسكال . ولكنّه - ممّا لا ريب فيه - السكاك . ويقصد منه صانع السكة^٣ وهي المحراث . وتصنيفه: الشكاك^٤ .

كان أبو جعفر السكاك من تلاميذ هشام بن الحكم ، ومنه تعلّم الكلام . وكان على عقيدته في الإمامة مع مخالفته إياه في بعض المسائل . من كتبه: كتاب (المعرفة) ، وكتاب في باب الاستطاعة ، وكتاب في الإمامة ، وكتاب بعنوان (كتاب

١- الانتصار: ١١٠ و ١٤٢ .

٢- الملل والنحل: ١٤٥ ، ومقالات الإسلاميين: ٦٣ .

٣- رجال النجاشي: ٢٣١ .

٤- شرح نهج البلاغة: ٤: ٤٢٩ (انظر الحكاية اللطيفة التي نقلها ابن أبي الحديد عنه وعن الجاحظ) .

التوحيد)، وفيه قال السكّاك بالتشبيه، فردّ عليه البعض. وله كتاب في الردّ على من أنكر وجوب الإمامة بالنصّ.

للقوف على سيرته، يُنظر: رجال النجاشي ٢٣١، والفهرست ١٧٦، والفهرست للشيخ الطوسي: ٢٩٢، والانتصار ٦، ١١٠-١١١، ١٤٢، ١٧٨، ومواضع عديدة من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ومروج الذهب ٦: ٣٧٤ من الطبعة الأجنبية، وغيرها من الكتب.

٧- يونس بن عبد الرحمن القميّ

(توفي سنة ٢٠٨)

هو أبو محمد يونس بن عبد الرحمن القميّ من أكابر رجال الشيعة ومصنّفهم المشهورين^١. ولد في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ). وكان معاصراً للإمام الصادق، والإمام الكاظم عليه السلام. ومن وكلاء الإمام الرضا عليه السلام وخواصّه (١٤٨-٢٠٣هـ). وله قرابة ثلاثين كتاباً في موضوعات مختلفة منها: الإمامة، والردّ على الغلاة. وكانت الشيعة تنظر إليه كسلطان الفارسيّ - رضي الله عنه - في عصر الرسول صلى الله عليه وآله^٢. ويذهب مخالفو الشيعة إلى أنّ يونس بن عبد الرحمن وأصحابه اليونسيّة من المشبّهة.

للإطلاع على سيرته، انظر: رجال الكشيّ ٣٠١-٣١١، ورجال النجاشي ٣١١-٣١٢، والفهرست للشيخ الطوسي ٣٦٦-٣٦٧، والفرق بين الفرق ٥٢-٥٣، ومقالات الإسلاميين للأشعريّ ٣٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩٥، وغيرها.

١- مقالات الإسلاميين ٦٣، والملل والنحل ١٤٥.

٢- رجال الكشيّ ٣٠٢.

٨ - عليّ بن منصور (النصف الأول من القرن الثالث)

هو أبو الحسن عليّ بن منصور الكوفيّ أحد تلاميذ أبي محمّد هشام بن الحكم وأصحابه . وكان من أقران أبي جعفر السّكّاك، ومن شيوخ متكلمي الشيعة ومؤلفيهم^١. أعدّ كتاباً في التوحيد والإمامة من كلام أستاذه هشام يعرف بكتاب التّدير^٢.

للوقوف على سيرته وعقائده، يُنظر: رجال النجاشي ١٧٦، ومروج الذهب ٦: ٣٧٢ من الطبعة الأجنبية، والانتصار ٦ و ١٧٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في مواضع عديدة، وغيرها.

٩ - أبو حفص الحدّاد النيسابوريّ (توفيّ سنة ٢٥٢ أو ٢٦٥ أو ٢٧٠هـ)

هو أبو حفص عمرو بن سلمة الصوفيّ النيسابوريّ . أحد الذين رُموا بالزندقة كابن الراونديّ، وأبي عيسى الرّواق. ولصقه المعتزلة بالشيعة وعدّوه مثل هذين من شيوخها^٣، في حين كانت الشيعة لا تراه منها، إذ لم تظهر منه عقيدة تدلّ على انتمائه إليها، ولم يُنقل عنه كلام في الإمامة^٤. وذكر السمعانيّ نبذة موجزة عن سيرته في كتاب الأنساب، (مادّة الحدّاد). وكان أبو حفص يروي عن يونس بن عبد الرحمن القميّ^٥.

انظر: تذكرة الأُولياء للشيخ العطار وغيره للاطلاع على ترجمته، إذ ذُكر في طبقة بايزيد البسطاميّ.

١- الملل والنحل ١٤٥: مقالات الإسلاميين ٦٣.

٢- رجال النجاشي ١٧٦، ٣٠٤.

٣- الانتصار ٩٧، ١٥٠، ١٥٢.

٤- رجال الكشيّ ١٦٧.

٥- الشافي في الإمامة ١٣.

١٠- أبو الأحوص البصريّ

(أواسط القرن الثالث)

أبو الأحوص داود بن أسد البصريّ^١ من متكلمي الشيعة وفقهائهم وأصحاب الحديث فيهم. له كتب في الإمامة. وعندما زار أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختيّ النجف الأشرف التقى بأبي الأحوص وأخذ منه العلم. للاطلاع على سيرته، يُنظر: رجال النجاشي^{١١٣}، فهرست الشيخ الطوسي^{٣٦٩}، والشافي في الإمامة للشريف المرتضى^{١٤}، وغيرها.

١١- أبو عيسى الورّاق

(توفي سنة ٢٤٧هـ)

أبو عيسى محمّد بن هارون الورّاق أستاذ ابن الراونديّ. وكان، كابن الراونديّ وثلة من علماء ذلك العصر، ذا عقيدة دينيّة متزعزعة. وقد تأثر بتعاليم الزنادقة (المانويّة) وطالع كتبهم التي تُرجم كثير منها إلى العربيّة، وكانت في متناول أيدي الناس آنذاك، وداخله الشكّ والتردد. وكان يتلوّن مع الفرق المختلفة، بخاصّة المعتزلة، والشيعة. ويرى ابن النديم أنّه كان مانويّ الباطن مع تظاهره بالإسلام^٢. وكان المترجم له تارةً يؤلّف كتاباً في تأييد المذهب المانويّ والثنويّة^٣، وأخرى يؤلّف في الدفاع عن بعض العقائد الشيعيّة مُبدياً ميله إلى الشيعة^٤. وصنّف كتاباً في الإمامة ذاباً فيه عن عقائد الشيعة، ولعلّه ألّفه في الردّ على عقيدة أبي عمرو عثمان بن بحر الجاحظ (١٦٠-٢٥٥هـ) في الإمامة.

١- جاء في مقالات الإسلاميين للأشعريّ ٦٣ أنّ اسم أبيه راشد، ولعلّ فيه تحريفاً.

٢- الفهرست ٣٣٨.

٣- الانتصار ١٤٩.

٤- مقالات الإسلاميين ٦٤.

وكان الجاحظ من كبار كتّاب المعتزلة في البصرة، وصارت كتبه الأدبية واللغوية والبلاغية مضرب الأمثال. وهو أحد المؤلفين الذين عرضوا عقائد متناقضة في الإمامة، وصنّف كتباً فيها، كان كلّ واحد منها ينافح عن عقائد إحدى الفرق الإسلامية في الإمامة^١. منها: كتاب بعنوان إمامة ولد العباس أو العباسية في تأييد الشيعة الراوندية وأنصار بني العباس وقد ألفه إرضاءً للعباسيين، مع أن مضمونه لا ينسجم وعقائده الخاصة. ومنها: كتاب العثمانية في دعم أنصار عثمان بن عفّان وإنكار فضائل عليّ بن أبي طالب. ومنها: كتاب المروانية في مناصرة آل مروان ومعاوية ومناوءة عليّ بن أبي طالب والدفاع عن إمامة بني أمية. ومنها: كتاب المسائل العثمانية في إتمام كتاب العثمانية. وكتب أخرى كالفتيا، وكتاب الرافضة، وكتاب الزيدية.

لقد أثارت هذه الكتب المتناقضة للجاحظ غضب الفرق الأخرى بخاصة الشيعة، ومعتزلة بغداد، فردّوا على أكثرها. وممن ردّ عليها من معتزلة بغداد: أبو جعفر محمّد بن عبد الله الإسكافي^٢ (المتوفى سنة ٢٤٠هـ) ومن الشيعة أو من المنسوين إليهم: ابن الراونديّ وأبو عيسى الوراق وأبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي وأبو الحسن محمّد بن إبراهيم الكاتب الشافعيّ والشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، وغيرهم.

وعندما انتشرت الكتب التي ألفها الشيعة في الإمامة ردّاً على كتب الجاحظ، انبرى لها أنصاره، فنقضوا ما كتبه ابن الراونديّ، وأبو عيسى. وأشهر من تصدّى منهم لذلك: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمّد الخياط أستاذ أبي القاسم الكعبيّ،

١- للاطلاع على تفصيل هذا الموضوع ينظر: الشافعي للشريف المرتضى ١٣ ومروج الذهب ١:

١٥٧-١٥٨، طبعة مصر.

٢- مروج الذهب ١: ١٥٨ طبعة مصر. وشرح نهج البلاغة ٤: ١٥٩.

وهو صاحب كتاب الانتصار^١. ويأتي بعده قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الأسدآبادي الهمداني (المتوفى سنة ٤١٥هـ) مؤلف كتاب المغني الذي ردّ عليه الشريف المرتضى علم الهدى (٣٥٥-٤٦٦هـ) في كتاب الشافي ودحض فيه التّهم التي ألصقها المعتزلة بابن الراوندي وأبي عيسى^٢. ومن هذه التّهم أنّهم كانوا يقولون: إنّ أبا عيسى الورّاق في الوقت الذي كان يدافع فيه عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول عند الخلوة: «بليت بنصرة أبغض الناس إليّ وأعظمهم إقداماً على القتل...». وقالوا أيضاً: لمّا كان أبو عيسى مانوياً، فإنّه لا يجيز قتل كلّ شيء ولا يجيز إتلاف الكائنات الحيّة^٣.

ونقل لأبي عيسى الورّاق كتب أخرى أيضاً ماعدا كتابه في الإمامة. منها: كتاب السقيفة، وكتاب اختلاف الشيعة، وكتاب الحكم على سورة لم يكن، وكتاب المقالات^٤، وكتاب مجالس^٥.

وكان كتاباه الإمامة، والسقيفة يوافقان عقيدة الإماميّة، وقد أثنى عليهما علماء الطائفة. وذكر الورّاق فيهما أدلّة عقلية صريحة لتقرير النصّ الجليّ وتأييده، واثبات إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وحمل فيهما على المعتزلة وأهل السّنة في هذه الدعوى.

وكان الشيخ المفيد يقتني كتاب السقيفة وقد وصفه مراراً، وكان قرابة مائتي ورقة. وقال الشيخ المفيد في كتاب الإفصاح في الإمامة: «لم يترك لغيره زيادة عليه فيما يوضح عن فساد قول الناصبة وشُبّههم التي اعتمدوها من الخبر بالصلاة، وأشار إلى كذبهم فيه...»^٦.

١- الانتصار ٩٧. ٢- الشافي ١٣.

٣- نقلاً عن كتاب المغني، في كتاب الشافي: ٢. وكتاب الانتصار ١٥٥.

٤- رجال النجاشي ٢٦٣. ٥- مروج الذهب ٧: ٢٣٧ (الطبعة الأجنبية).

٦- نقلاً عن رسالة كتبها لي سماحة الميرزا فضل الله شيخ الإسلام الزنجاني.

ومن أشهر كتب الوراق كتاب المقالات، وهو تاريخ في الملل والنحل وشرح آراء الفرق المختلفة وعقائدها. ويعدّ هذا الكتاب من أوثق الكتب القديمة في هذا المجال وأشهرها. وكان من المصادر المهمة للمؤلفين المتأخرين ككتاب المقالات لزرقان المعتزلي، وشرحه لأبي القاسم الكعبي، ومقالات محمد بن الهيثم الكرامي، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، وكتاب الآراء والديانات لأبي محمد النوبختي، وكتاب المقالات لأبي الحسن المسعودي صاحب مروج الذهب.

وذكر الشريف المرتضى أنّ الوراق أطنب في تأكيد شبهات الثنوية ومقالاتهم ممّا أثار شبهة ثنويته. وكان أغلب المؤلفين بعده يقتنون كتاب المقالات كالمسعودي، وأبي الحسن الأشعري، وأبي الريحان البيروني، والشريف المرتضى، والشهرستاني، وعبد القاهر البغدادي، وابن أبي الحديد. ونقلوا منه موضوعات كثيرة.

وذكر الشريف المرتضى له كتابين آخرين هما: المشرقي، والآخر النوح على البهائم، وقال: «... فهما مدفوعان عنه. وما يبعد أن يكون بعض الثنوية عملهما على لسانه... وليس لنا أن نضيف مثل هذه المذاهب القبيحة إلى من لم يكن متظاهراً بها، ولا مجاهراً باعتقادها»^١.

والكتاب الأول الذي ربما اشتمل على دفاع عن قسم من أفكار الثنوية هو المذكور في الفهرست لابن النديم، وفي الفهرست للشيخ الطوسي باسم كتاب الغرب المشرقي، وهو الذي كتب عليه أبو محمد النوبختي نقضاً^٢. ونلاحظ في رجال النجاشي نقضاً آخر له على كتاب أبي عيسى بعنوان الردّ على أهل التعجيز^٣.

٢- الفهرست ١٧٧، والفهرست للشيخ الطوسي ٩٩.

١- الشافي ١٣.

٣- رجال النجاشي ٤٧.

وستنحدث عن هذا الموضوع في ترجمة أبي محمد النوبختي .
 ومن كتب أبي عيسى كتاب بعنوان : في الردّ على الفرق الثلاث من النصارى .
 وهو الكتاب الذي ردّ عليه الفيلسوف النصراني المعروف يحيى بن عديّ
 (٢٨٣-٣٦٤هـ) . وهذا الردّ موجود . ونقل فيه يحيى كتاب أبي عيسى كلّ^١ .
 للاطلاع على ترجمته ، تنظر : المصادر المشار إليها في الهامش .

١٢- ابن الراونديّ

(٢٤٥ أو ٢٩٨هـ)

هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن محمد بن إسحاق المشهور بابن الراونديّ أو
 ابن الرونديّ . كان من أهل مرو الروذ في خراسان . وهو من أشهر المتكلمين . ولا
 يمكن معرفة انتماؤه بوضوح لتزعزع عقيدته ، وتغيير منهجه مراراً ، وتزلزل إيمانه ،
 وإظهاره الإلحاد والزندقة . وإنّ ما وصمه به المؤرّخون المتعصّبون بالإلحاد أو
 الزندقة (بالمعنى الأعمّ المرادف للإلحاد) لا يكفي لتحديد عقائده الدينيّة .
 ولعلنا نستطيع القول إنّ ابن الراونديّ كغيره من معاصريه أمضى عمره كلّ في
 التشكيك والتنقيب باحثاً عن عقيدة ثابتة تنسجم مع الفطرة . وكان ينتمي في كلّ
 مدّة إلى فرقة من الفرق ، ثمّ يبدي بعد فترة آراء لا تُرضي تلك الفرقة فيُطرّد من
 صفوفها ، أو إنّهُ لما كان ذا أسلوب جميل ومقتدراً في الكلام كالجاحظ تقريباً ، فإنّه
 كان يؤلّف بما يتفق مع آراء هذه الفرقة أو تلك . وسلخ عمراً في الكفر ، وكان يشكّك
 الناس في عقائدهم . وأفضل دليل على هذا الموضوع هو النقوض التي كتبها على
 مؤلّفاته وفنّد فيها عقائده السابقة .

إنّ سيرة ابن الراونديّ وعقائده غامضة تماماً للأسباب المتقدّمة . ونقل

المؤرخون وأصحاب كتب الملل والنحل عنه آراء ومقالات كثيرة. ولما كانت الآراء فيه متضاربة ولم تثبت صحة الآراء المنسوبة إليه، فلا يمكن استنتاج شيء منها، بخاصة أن المؤلفين المتعصبين وأعداء ابن الراوندي ونظائره كانوا يلصقون بأمثال هؤلاء التهم باستمرار - على العادة يومئذ - ويذكرونهم في كتبهم باللعن والامتهان. إنَّ الثابت هو أنَّ ابن الراوندي كان في البداية من المعتزلة كالوَرَّاق، وأخيه، وابن عمِّه^١. ثمَّ مال إلى التشيع مدَّة بعد أن طرده. وصنَّف عدداً من الكتب في دحض المعتزلة، ودعم الشيعة وعقائد المنتمين إليهم. ولما كان ملماً بآراء المعتزلة وكان أستاذاً في الكلام والإنشاء، فقد أذى ما عليه في هذا الطريق بإحسان، وأثار حسَّ الانتقام عند كبار المعتزلة القريبين عهداً منه كأبي هاشم الجبائي، وأبي عليَّ الجبائي، وأبي الحسين الخياط، والكعبي. واستطاع ابن الراوندي أن يقدِّم عوناً كبيراً إلى المذهب الشيعي يومئذ من خلال تصنيف الكتب المتقنة نسبياً، وجمع الأدلَّة والآراء الكلامية في دعم عقيدة الشيعة، بخاصة مسألة الإمامة.

ولذلك نجد أنَّ تمرّد ابن الراوندي على المعتزلة ودفاعه عن عقائد الشيعة أثارا المعتزلة والسُّنة ضدّه فذكره متكلموهم ومؤلفوهم في كتبهم بالسوء، لا سيّما أبا الحسين الخياط، وأبا هاشم الجبائي، وابنه أبا عليَّ من المعتزلة، وأبا الوفاء بن عقيل، وأبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي من السُّنة؛ فقد هاجمه هؤلاء بشدّة، وعدّه ابن الجوزي من كبار الملاحدة^٢ وأحد الزنادقة الثلاثة الكبار الذين ظهروا بين أهل الإسلام^٣.

أما عقيدة مؤلّفي الشيعة فيه فمختلفة؛ فمنهم من أثنى عليه، ومنهم من ذمّه.

١- الانتصار ١٤٩.

٢- تليس إبليس ١١٨.

٣- الآخرون هما: أبو حيان عليّ بن محمّد الصوفي المعاصر لابن العميد والصاحب بن عباد، والشاعر المشهور أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري (بغية الوعاة ٣٤٩، وروضات الجنّات ٥٤).

ومن الذين دافعوا عن بعض كتبه وعقائده الشريف المرتضى علم الهدى على رغم المعتزلة. مع هذا لما كانت عقائده كلها لا تتفق مع مذهب متكلمي الشيعة وكان منبذاً عند معظمهم، فإنّ عدداً منهم صنّف كتباً في نقض بعضها. وأشهر هؤلاء أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، وخاله أبو سهل إسماعيل بن عليّ. بل نجد الشريف المرتضى أيضاً قد أشار في كتاب الشافي إلى نقض بعض الأدلة التي عرضها ابن الراوندي في موضوع الإمامة.

أجل، لما تحرّك ابن الراوندي للدفاع عن عقائد الإمامية وألف لهم كتاباً ذكره مخالفوهم في عداد متكلميهم، مع قذفهم إياه بالزندقة والإلحاد. وإنّما أشرنا هنا إلى سيرته وكتبه بإيجاز، لأننا سنذكره وأبا عيسى الرّاق في ترجمة المتكلمين النوبختيين، وشرح النصّ الجليّ، وغير ذلك.

ذكر أنّ والد المترجم له كان يهودياً، وقد أدخل بعض التحريفات في التوراة. وهذه تهمة أخرى من التهم التي ألصقت بابن الراوندي أيضاً. ذلك أنّه وبعض أقاربه كان من المعتزلة كما رأينا، وأنّ اسم جدّه محمد بن إسحاق، ومن هنا نستبعد صحّة التهمة المشار إليها.

كان ابن الراوندي معاصراً لأبي عيسى الرّاق. وذكر أبو الحسين الخياط أنّه كان تلميذه، وأنّه هجر الاعتزال، وانتقل إلى الكفر والإلحاد بناءً على تعليماته^١. وعدّ له الخياط أساتذة آخرين من الزنادقة أيضاً كأبي شاهر الديصاني، والنعمان بن طالوت، وأبي حفص الحدّاد^٢.

وبلغت الكتب التي ألفها ابن الراوندي ١١٤ كتاباً على ما نقله المسعودي^٣. ولا أثر لها اليوم إلّا بعض فقرات من كتاب فضيحة المعتزلة نقلها أبو الحسين الخياط في

٢- نفسه ١٤٢.

١- الانتصار ١٥٥.

٣- مروج الذهب ٧: ٢٣٧، من الطبعة الأجنبية.

كتاب الانتصار من أجل الردّ على ما جاء فيها . ونلاحظ أنّ بعض الكتب التي ألفها ابن الراونديّ يقرّر عقائد المعتزلة ، وبعضها يدعم عقائد الشيعة ، وبعضها الآخر يردّ على الإسلام ويدافع عن عقائد الثنوية أو اليهود وغيرهم ، فلا نعلم على وجه الدقّة أيّ الكتب ألفها ابن الراونديّ نفسه ، وأيها ألفها غيره ممّن يقترب مشربه من مشرب ابن الراونديّ أو ممّن ألفها ونسبها إلى ابن الراونديّ مغرضاً أو مخاصماً .

وبلغت سمعة ابن الراونديّ في الزندقة والإلحاد مبلغاً جعله في عداد القدوة التامة لهما . ومن هنا يلاحظ أنّ أكثر الكتب التي كان يُشَمّ منها رائحة الكفر والإلحاد ، وكان مؤلفوها قد أخفوا أسماءهم خوفاً على أرواحهم ، نسبها الآخرون إلى ابن الراونديّ على سبيل المشاكلة .

وفيما يأتي أسماء الكتب المنسوبة إلى ابن الراونديّ وموضوع كلّ منها :

١ - ٧ - الأسماء والأحكام ، الابتداء والإعادة ، خلق القرآن ، البقاء والفناء ، لا شيء إلاّ موجود^١ ، الطبائع ، اللؤلؤة (في تناهي الحركات) . وهذه الكتب كلّها تثبت عقائد المعتزلة ، وقد صنّفها ابن الراونديّ يوم كان أحدهم ، ولذلك يرى مؤلفو المعتزلة أنّها من كتب صلاحه .

٨ - كتاب الإمامة . وموضوعه يتفق وعقيدة الإمامية . وهو الكتاب الذي ألفه ابن الراونديّ بعد هجر المعتزلة تقريباً إلى الشيعة . وقيل : إنّه قبض ثلاثين ديناراً جائزةً له من رؤساء الإمامية على تأليفه .

٩ - كتاب فضيحة المعتزلة في الردّ على كتاب فضيلة المعتزلة للجاحظ . ونلاحظ في هذا الكتاب أنّ ابن الراونديّ هاجم فيه المعتزلة والجاحظ وشيوخه بعنف ، ودافع عن الإمامية .

ونال هذا الكتاب شهرة فائقة بين المتكلمين من الفرق المختلفة وأرباب الملل

١ - انظر : مقالات الإسلاميين ٥٠٢ للوقوف على شرح موجز لهذا الموضوع وعقيدة ابن الراونديّ فيه .

والنحل . فتحرّك المعتزلة - من جهة - للردّ عليه ، وألّفوا الكتب في دحض موضوعاته ، ومنها كتاب الانتصار لأبي الحسين الخياط . ومن جهة أخرى ، نقل خصوم المعتزلة - بخاصّة الإماميّة والأشاعرة - معظم موضوعاته في كتبهم جاعليها وثيقة لإدانتهم ، وأداة لمهاجمتهم .

ويرى الشيعة أنّ هذا الكتاب ، وكتاباً آخر له بعنوان القروس من كتب سداده^١ ، ويلاحظ في كتبهم ذكر لهذا الكتاب وحده . ولعلّ المقصود منه كتاب فضيحة المعتزلة أو كتاب آخر صنّفه ابن الراونديّ في تأييد عقيدة الإماميّة .

وهاجم قاضي القضاة عبد الجبار المعتزليّ في كتاب المغني ابن الراونديّ والوراق وأمثالهما . وذكر أنّ ابن الراونديّ كان يقصد بسائر ما يؤلفه في نصره الإلحاد إلى نشر التشكيك ، وأنّه كان يؤلف بهدف الشُّهرة والمنفعة .

وقال الشريف المرتضى في الدفاع عن ابن الراونديّ : «... إنّه إنّما عمل الكتب التي شُنِعَ بها عليه معارضة للمعتزلة ، وتحدياً لهم ؛ لأنّ القوم كانوا أساؤا عشرته ، واستنقصوا معرفته ، فحمّله ذلك على إظهار هذه الكتب ليبين عجزهم عن استقصاء نقضها ، وتحاملهم عليه في رميه بقصور الفهم والغفلة ، وقد كان يتبرّأ منها تبرّواً ظاهراً ، وينتفي من عملها ، ويضيفها إلى غيره . وليس يشكّ في خطئه بتأليفها ، سواء اعتقدها أم لم يعتقدها .

«وما صنع ابن الراونديّ من ذلك إلّا ما قد صنع الجاحظ مثله أو قريباً منه . ومن جمع بين كتبه التي هي العثمانية ، والمروانية ، والفُتيا ، والعباسيّة ، والإماميّة ، وكتاب الرافضة والزيدية ، رأى من التضادّ واختلاف القول ما يدلّ على شكّ عظيم وإلحاد شديد ، وقلة تفكّر في الدين .»

«وليس لأحد أن يقول : إنّ الجاحظ لم يكن معتقداً لما في هذه الكتب

المختلفة، وإثما حكى مقالات الناس وحججهم. وليس على الحاكي جريرة، ولا يلزمه تبعة؛ لأنّ هذا القول إن قنع به الخصوم فليقنعوا بمثله في الاعتذار، فإنّ ابن الراونديّ لم يُقل في كتبه هذه التي شُئّع بها عليه: إني أعتقد المذاهب التي حكيتها وأذهب إلى صحتها، بل كان يقول: قالت الدهريّة، وقال الموحّدون، وقالت البراهمة، وقال مثبتو الرسول. فإن زالت التبعة عن الجاحظ في سب الصحابة والأئمة والشهادة عليهم بالضلال والمروق عن الدين بإخراجه كلامه مخرج الحكاية، فلتزول أيضاً التبعة عن ابن الراونديّ بمثل ذلك...^١.

١٠- كتاب القُضيب أو قُضيب الذَّهب في إثبات حدوث علم الباري تعالى.

١١- التاج. وهو من أشهر كتبه. وموضوعه إثبات قدم العالم والأجسام وردّ أدلّة المخالفين^٢. ولما كان المعتزلة والإماميّة لا يرون رأيه فيه فإنّ عدداً من متكلميهم صنّفوا كتباً في نقضه. ومن هؤلاء أبو الحسين الخياط من المعتزلة، وأبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي من الإماميّة، الذي أسمى كتابه السّبك. ويبدو أنّ ابن أبي الحديد كان يقتني كتاب التاج. وهو الذي ذكر أنّ ابن الراونديّ اقتبس القول بقدّم العالم من الفلاسفة وأورده في كتاب التاج^٣.

١٢- كتاب نفث الحكمة أو عبث الحكمة ذكر فيه أنّ التكليف الإلهي للناس أمراً ونهياً ضرب من العبث.

١٣- كتاب الزمرد في إبطال موضوع الرسالة وردّ المعجزات المنسوبة إلى إبراهيم، وموسى، وعيسى، ونبيّنا صلوات الله عليهم أجمعين. وذكر أبو الحسين الخياط أنّ ابن الراونديّ جعل في هذا الكتاب باباً في الردّ «على المحمديّة خاصّة» يريد أمة محمد ﷺ، وطعن فيه على القرآن الكريم^٤. ولعلّ كتابه هذا هو الذي

٢- الانتصار ١٧٢-١٧٣.

٤- الانتصار ٢-٣.

١- الشافي في الإمامة ١٣.

٣- شرح نهج البلاغة ١: ٢٩٩.

سبب طرده من صفوف المعتزلة^١. وكان أبو القاسم الكعبي ينقل أنَّ ابن الراوندي يقول في سبب تسمية الكتاب بالاسم المذكور: من صفة الزمرد أنَّه إذا وقعت عليه عين الحيَّة خرجت من حدقتها وذابت^٢، فسميت كتابي بهذا الاسم لأنَّ الخصم إذا نظر إليه هلك. وقد نقض ابن الراوندي نفسه كتابه هذا، كما نقضه أبو الحسين الخياط أيضاً.

١٤ - كتاب المفرد في الطعن على النبي ﷺ. وقد نقضه أبو الحسين الخياط، وأبو هاشم الجبائي.

١٥ - كتاب الدامغ في الرد على القرآن وترتيبه. وقد ردَّ عليه الخياط، وأبو علي الجبائي. ويبدو أنَّ ابن الراوندي صنَّف هذا الكتاب لليهود^٣، ثمَّ نقضه هو نفسه بعد ذلك^٤.

١٦ - كتاب التوحيد. ذكر الخياط أنَّ ابن الراوندي ألفه ليتجمل به عند أهل الإسلام لما خاف على نفسه ووضع الرصد في طلبه^٥.

١٧ - كتاب في موضوع اجتهاد الرأي. ونقضه أبو سهل إسماعيل النوبختي^٦.

١٨ - كتاب المرجان في اختلاف المسلمين والكتابين.

نقل بعض المؤلفين أنَّ ابن الراوندي مات بعد وفاة الوراق بقليل. أي: بعد سنة ٢٤٧هـ. ومنهم من قال سنة ٢٤٥هـ، وثمة من ذكر موته سنة ٢٩٨هـ.

للإطلاع على سيرة ابن الراوندي وكتبه وعقائده ينظر: كتاب الانتصار الذي لم

١ - الانتصار، ١٧٣.

٢ - أشار قدماء الشعراء إلى هذه الأسطورة مراراً. ومن هؤلاء منجيك الذي قال:

شنيدهام بحكايت كه ديدة افعى برون جهد چو زمرد بر او برند فراز
سمعتُ حكاية تذكر بأنَّ عين الأفعى تخرج من حدقتها إذا عرضوا عليها الزمرد.

٣ - البداية والنهاية.

٤ - ملحق الفهرست ٥، طبعة مصر.

٥ - الانتصار ١٣.

٦ - الفهرست ١٧٧.

تَحُلُّ صفحة فيه من ذكر ابن الراوندي، ومقدمته النفيسة بقلم نيبج^١، والفهرست ٤-٥ من ملحق طبعة مصر، ومروج الذهب ٧: ٢٣٧ من الطبعة الأجنبية، ووفيات الأعيان ١: ٢٨ طبعة طهران، والبداية والنهاية، والمنظّم، وتبليّس إبليس ٧٢ و١١٨، و تبصرة العوام ٣٩٨ و ٤٤٠، ومواضع متعدّدة من مقالات الإسلاميين، وشرح نهج البلاغة، والفرق بين الفرق، والملل والنحل، والفصل في الملل والنحل، وكتاب الشافي في الإمامة، والفصول، وروضات الجنّات ٥٤، ورسالة ابن القارح في مجموعة رسائل البلغاء ٢١٠ طبعة مصر، وكنز الفوائد ٥١ وغيرها.

١٣- أبو جعفر بن قبة الرازي

(أوائل القرن الرابع)

أبو جعفر محمّد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي من كبار متكلمي الشيعة. كان في بادئ أمره من المعتزلة، ثمّ صَدَفَ عن الاعتزال وركن إلى المذهب الشيعي الإمامي. وكان أحد تلامذة أبي القاسم الكعبيّ البلخي، ثمّ أصبح من مخالفه. وصنّف عدداً من الكتب في الردّ على الزيدية وإثبات الإمامة، أشهرها كتاب في الإمامة بعنوان الإنصاف. وهو الكتاب الذي نقل منه بعض العلماء كالشيخ الصدوق في كمال الدين، والشريف المرتضى في الشافي والفصول وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وغيرهم.

وينقل أبو الحسين محمّد بن بشر السوسنجردي تلميذ أبي سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي أنّه زار مرقد الإمام الرضا عليه السلام في طوس، ثمّ ذهب إلى أبي القاسم الكعبيّ في بلخ، وكان معه كتاب الإنصاف، فقرأه الكعبيّ وصنّف كتاباً في نقضه بعنوان المُستَرشد. ثمّ عاد إلى الريّ ومعه الكتاب المذكور، فعرضه على أبي جعفر،

فصنّف كتاباً في تفنيده عنوانه المُستثَبّت . ولمّا أرجع هذا الكتاب إلى الكعبي ردّ عليه بكتاب آخر تحت عنوان نقض المُستثَبّت . وعندما عاد إلى الريّ مرّة أخرى وجد أبا جعفر قد مات^١ . فوفاته كانت قبل وفاة الكعبي ، أي : قبل سنة ٣١٩ هـ .

للاطلاع على ترجمته ، يُنظر : رجال الطوسي ٢٩٧ ؛ رجال النجاشي ٢٦٥-٢٦٦ ؛ الفهرست ١٧٦ ؛ كمال الدين ٣١ ، ٣٦ ؛ الشافي ١٠٠ ؛ الفصول (مخطوط) ؛ شرح نهج البلاغة ١ : ٦٩ ، وغيرها .

أبو سهل إسماعيل بن عليّ

(٢٣٧-٣١١هـ)

أبو سهل إسماعيل بن عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، أحد كبار البيت النوبختيّ بل من أشهرهم. كان من رؤساء الشيعة العظام ومن مشاهير متكلميهم في عصره المتزامن مع الغيبة الصغرى. ويعدّ أحد الشعراء والمصنّفين والمشجّعين على الأدب والشعر، وكان صدرّاً في الأعمال الإداريّة إذ تسلّم منصباً قريباً من منصب الوزارة في ديوان الحكومة، وألّف كتباً كثيرة في دعم المذهب الشيعيّ الإماميّ ودحض كتب المناوئين للشيعة.

وهو أحد النوبختيّين الذين نجد معلومات مفصّلة نسبياً عن سيرتهم، فقد اهتم المؤرّخون القدماء وعلماء الأخبار والرجال بترجمته، ونقل أقواله، وتدوين عناوين كتبه بسبب منصبه المهمّ وكثرة مؤلفاته.

وعلى الرغم من أنّ أبا سهل كان شاعراً و كاتباً بليغاً^١، وكانت له مناصب إداريّة مهمّة في ديوان الحكومة، بيّد أنّ شهرته تعود إلى اشتغاله في علم الكلام،

واحتجاجه على مناوئي الإمامية، ومحاولته إدخال الإمامة في أصول الدين. وأكثر كتبه ترتبط بهذه الموضوعات. وإذا كان كلام البُحترِّي الشاعر عنه خالياً من الأغراض؛ فإنَّ شعره ليس فيه رقة، بل هو يشبه مضغ الماء، ليس له طعم ولا معنى، على ما ذكره هذا الشاعر^١، ولم يبقَ أثر من أعماله الإدارية له أهمية تفضي إلى ذبوع صيته.

١- الحياة الإدارية لأبي سهل النوبختي

إنَّ ما في أيدينا من المعلومات عن الحياة الإدارية لأبي سهل يعود إلى الأشهر الستة الأخيرة من عمره البالغ أربعاً وسبعين سنة. ومن الثابت أنَّه كان يتصدَّر بعض الأعمال في الجهاز الحاكم قبل هذا التاريخ، أو كان يُكَلَّف بإنجاز بعضها في الأمصار مبعوثاً من قبل رؤساء الدواوين، بخاصة في عهد المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ) وما رافقه من تبدلات^٢، ذلك أنَّ المقتدر وآل الفرات الذين كانت في أيديهم الوزارة والمناصب الإدارية الأخرى، كانوا حماة الشيعة المائلين إليهم، وأبو سهل يومئذ رئيس الشيعة في بغداد. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ذكر بعض المؤلفين أنَّ له منصباً في الشؤون الدنيوية وأنَّه كان بين الكتاب تالياً منصب الوزراء^٣. وهذا يدلُّ على أنَّ أبا سهل كان يتمتَّع بنفوذ كبير في البلاط العباسي خلال الشطر الأوَّل من حكومة المقتدر ووزارات ابن الفرات. وكان الإمامية يعيشون بعزٍّ يومذاك بتأثير أبي سهل وإسماعيل. وكان رجال من آل نوبخت ذوي رئاسة وقدرة في بغداد، كأبي

١- الأغاني ١٨ : ١٧٠.

٢- ممَّا يدعم ذلك وجوده في الأهواز ومناظراته فيها مع أبي علي الجبائي (٢٣٥-٣٠٣هـ) قبل سنة ٣٠٣هـ التي توفي فيها أبو علي (الفهرست للطوسي ٥٨ ورجال النجاشي ٢٣). وكذلك مناظرته مع الحلاج في الأهواز قبل سنة ٣٠١هـ وبعده عن بغداد.

٣- رجال النجاشي ٢٣.

الحسين عليّ بن عباس (٢٤٤-٣٢٤هـ)، وأبي القاسم الحسين بن روح المتوفى سنة ٣٢٦هـ.

بعد عهد المقتدر من عهود النكسة في الحكم العباسي؛ لأنّ الأمور في عصر هذا الحاكم الضعيف، الشهواني، الخائر الإرادة كانت تُدار من قبل نساء القصر وعمّال الديوان والكتّاب والغلمان وأمراء الجيش. ولمّا كان هؤلاء من المغرضين الطماعين اللاهثين وراء المناصب فإنّهم كانوا يَسْعَوْنَ في تحطيم بعضهم بعضاً. ومما كان يزيد التنافس بينهم موضوع الخلاف بين الشيعة والسنة، ذلك أنّ المقتدر كان كالمأمون يُبدي ميلاً إلى بني هاشم وآل عليّ، وأنّ آل الفرات الذين تسلّموا الوزارة والأعمال الديوانية المهمة الأخرى في عهده مراراً كانوا يدعمون الشيعة بكلّ جدّ، ويسندون الوظائف إلى بني العباس وآل أبي طالب. وسرى لاحقاً أنّ عدد المخالفين لأهل السنة بعامّة، والإماميّة بخاصّة كان آخذاً بالازدياد في ظلّ دعم آل الفرات. وعلى هذا المنوال نجد أنّ خصماء مذهب آل الفرات من السنة كانوا يتعاملون مع الشيعة بعنف مستغلّين ضعف السلطان العباسي عندما كانوا يتقلّدون بعض المناصب. وأهمّ هذه الصراعات السياسيّة والمذهبيّة الصراع الذي كان قائماً بين آل الجراح وآل الفرات، حيث كان عملاء السلطان، وهو نفسه، وأنصار الأسرتين المذكورتين الطامحون إلى الوزارة يوقدون ناره تشفياً وطمعاً في المال. وكانوا يجرحون كرامة من قلّدهم المناصب ويسلبون أموالهم. ثمّ يستميلونهم، وهكذا تتجدّد اللعبة نفسها.

واستوزر المقتدر أبا الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات في ٢١ ربيع الأوّل سنة ٢٩٦هـ، بيّد أنّه حبسه بعد ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً، أي: في الرابع من ذي الحجّة سنة ٢٩٩هـ، وصادر أمواله وأموال أعوانه وهتك حرمة. واختار أبا عليّ محمّد بن يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان للوزارة. ولمّا لم يكن هذا الوزير بصيراً، وكانت الأمور قد اضطربت في عهده، قرّر المقتدر استيزار

أبي الحسن بن الفرات ثانية في العاشر من المحرم سنة ٣٠١هـ، لكن بعض الأمراء حالوا دون هذا الأمر، فاستوزر أبا الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح وقبض على الخاقاني، وأخذَه، وصادر أمواله.

واستمرت وزارة علي بن عيسى حتى سنة ٣٠٤هـ. ولكن لما كانت الأوضاع غير قابلة للإصلاح بسهولة بسبب الفساد الإداري، ونفوذ الأمراء، وعمال الدواوين، وطمع قادة الجيش، وعدم لياقة السلطان العباسي، فإنَّ المقتدر كان يستشير أبا الحسن بن الفرات دائماً مع أنَّه كان قد حبسه. ولما أحسَّ علي بن عيسى بغلبة أنصار ابن الفرات اعتزل الوزارة، فاستوزر المقتدر أبا الحسن بن الفرات مرة أخرى في الثامن من ذي الحجة سنة ٣٠٤هـ، فسلك نفس المسلك الذي كان عليه أسلافه من حبس، وتكبييل، ومصادرة للأموال. وهكذا تعامل مع أبي الحسن علي بن عيسى بن الجراح بأمر المقتدر.

ولم تدم وزارة ابن الفرات الثانية طويلاً إذ خول المقتدر حامد بن العباس هذا المنصب في جمادى الآخرة سنة ٣٠٦هـ، بعد مضي سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً. ولم يكن الوزير الجديد مطلعاً على شؤون الوزارة فاختر أبا الحسن علي بن عيسى نائباً له، فأضحت شؤون الوزارة في الواقع كلها بيده، واكتفى حامد باسم الوزارة وتولَّى خراج واسط و ضرائبها، إذ كان قد ضمنها.

وكان أبو محمد حامد بن العباس لثيماً سفيهاً متعصباً حاقداً. وارتكب أنواع الرذائل عند مؤاخذه أبي الحسن بن الفرات و بطانته بمؤازرة علي بن عيسى. كما أنَّ بطانته نالت من أبي الحسن بن الفرات وأذته وأرغمته على دفع مال كثير، وعذبت ولده مُحسناً وأعوانه بضربهم بالعصا. وحامد بن العباس هو الذي صلب الحسين بن منصور الحلاج في بغداد سنة ٣٠٩هـ، وهو الذي سجن النائب الثالث للإمام المهدي عليه السلام أبا القاسم الحسين بن روح النوبختي في دار الخلافة في أواخر وزارته.

وقرّر المقتدر في ربيع الآخر سنة ٣١١هـ عزل حامد بن العباس وعلي بن عيسى من الوزارة ورئاسة الدواوين، وكانا من حماة السنّة ومن خصوم مخالفيهم. وخلع على أبي الحسن علي بن محمّد بن الفرات، وعيّنه وزيراً للمرّة الثالثة. وأقرّ ابن الفرات حامد بن العباس على ما كان عليه في وزارة الخاقانيّ من تولّي خراج واسط وضرائها، حيث كان ذلك على عاتقه وبضمانه. ولكنّ الوزير سرعان ما أجبره أعداء حامد على مطالبته بالمال الذي كان في ذمّته، فاستجاب ابن الفرات الذي كان قد استؤزّر للمرّة الثالثة في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣١١هـ. وكلف أبا العلاء محمّد بن عليّ البزوفريّ، وأبا سهل إسماعيل بن عليّ النوبختيّ رئيس الإماميّة في بغداد الذي كان له منصب في الديوان أيضاً بالتوجّه إلى واسط ومطالبة حامد بالحسابات الماليّة التي كانت في ذمّته للديوان. وكان ذلك بعد مضيّ فترة قصيرة على تسلّمه مقاليد الوزارة.

وتصرّف أبوسهل مع حامد بن العباس في هذا المجال على طريقة كتّاب الدواوين، ولم يخرج عن أسلوب الرفق والمصانعة. أمّا البزوفريّ فقد تعامل معه بعنف، وطالبه مُغلِظاً مفرّغاً، لكنّه لم يستطع أن يأخذ منه شيئاً نتيجةً للنفوذ الذي كان يتمتع به في واسط، فاضطرّ المقتدر إلى إفاد عدد من غلمانه وجنوده من أجل دعم البزوفريّ وأبي سهل النوبختيّ، لكنّ حامد بن العباس فرّ من واسط وقد غير هيئته إثر تحذير المقتدر إياه فيمّم بغداد، يبيد أنّ المقتدر قبض عليه وسلّمه أبا الحسن بن الفرات، فتولّى تعذيبه ابن أبي الحسن - وهو محسن المعروف بقساوته وظلمه وسوء سيرته، والمشهور بالخبيث بن الطيّب - وأرسله إلى واسط مع بعض أعوانه من أجل محاسبته. ثمّ أمر بسّمه في رمضان سنة ٣١١هـ^١.

ولمّا لم تتمّ مهمّة محمّد بن عليّ البزوفريّ في واسط حتّى تاريخ وفاة حامد بن

العبّاس ، وكان أبو سهل النوبختيّ معه كما في السابق على الأعمّ الأغلب فإنّنا نحتمل أنّ أبا سهل كان مشغولاً في أداء مهمّته بواسطة ختّى تاريخ وفاة حامد (رمضان سنة ٣١١هـ). ثمّ وافاه الأجل بعده بقليل ، في شوال من نفس السنة ، وهو ابن أربع وسبعين عاماً^١.

ولعلّ رفق أبي سهل النوبختيّ ومصانعته حامد بن العبّاس المتعصّب المعترف بعدائه للرافضة وابن الفرات (صديق أبي سهل والإماميّة وحاميها) يعودان الى أسباب سياسيّة ؛ لأنّ أبا سهل - كما سنرى - ناهض دعوة الحسين بن منصور الحلاج بشدّة سواء في وزارة ابن الفرات أم في وزارة حامد بن العبّاس ، وعارض هذا الداعية الجديد الذي كان يهدّد الأساس الذي يقوم عليه الكيان الشيعيّ ، وكاد أن يجتث جذور نفوذه في البلاط . ولم يدعّ دعوته تنتظم في بغداد و البلاط ممّا أفضى إلى القبض على الحلاج ، وقتله على يد حامد بن العبّاس سنة ٣٠٩ . ويحتمل بعامة أنّ أبا سهل النوبختيّ كان متفقاً مع حامد بن العبّاس في قتل الحلاج ، ولعلّه كان من محرّضيه على ذلك . وهذه السابقة في وحدة الاتجاه السياسيّ هي التي دفعت أبا سهل إلى رعاية الحقوق القديمة عند قيامه بمهمّته في واسط .

٢ - حياته العلميّة والأدبيّة

تزامنت حياة أبي سهل إسماعيل بن عليّ النوبختيّ مع برهة من أيّام الغيبة الصغرى من جهة ، ومع وقت بلغ الشيعة فيه مستوى من النضج بفعل جهاد الطبقة الأولى من متكلميهم ، ومساعي أنصارهم العاملين في البلاط الحاكم من جهة أخرى . وعلى الرغم من جميع ضروب المعارضة السياسيّة والدينيّة التي أبدتها الفرق الأخرى واحتجاجات المعتزلة وردودهم ، فقد قام المذهب الشيعيّ على

١ - تاريخ الإسلام للذهبيّ f. 60 b (نسخة المكتبة الوطنيّة بباريس) .

للمجبرة في باب «المخلوق»، و«الاستطاعة». كما أنه سلك سبيل المعتزلة في باب «الإنسان»، والردّ على «أصحاب الصفات». ومنذ ذلك الوقت تقارب المذهبان المعتزلي والإمامي أكثر من السابق، وبثّ تلاميذ أبي سهل تلك العقائد من بعده بين الإمامية دون تغيير كبير.

٢ - نلاحظ في مسألة الإمامة التي كانت من أهمّ المسائل الخلافية بين الفرق الإسلامية أنّ متكلّمي الشيعة قبل أبي سهل - كما رأينا - قد تحدّثوا عن موضوع النصّ الجليّ والخفيّ، وأثبتوا خلافة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بلا فصل كما أثبتوا أحقية أولاده في الإمامة بالأدلة السمعية والنقلية، من خلال المقالات أو الكتب التي صنفوها. بيد أنّ أبا سهل النوبختيّ واثنين من معاصريه هما ابن أخيه أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختيّ، وأبو الأحوص داود بن أسد البصريّ^١ كانوا أوّل من استخدم الأدلة العقلية في إثبات وجوب الإمامة وبيان أوصاف الإمام تبعاً لأبي عيسى الرّاق وابن الراونديّ. وإذا كان قد استظهر بالأدلة السمعية فمن أجل تأييد الأدلة العقلية والتصرّف في الاستدلال. وكان الشريف المرتضى يفتني كتب أبي سهل وأبي محمّد النوبختيّ، فكتب في ردّه على القاضي عبد الجبار المعتزليّ قائلاً: «... وهذه كتب أبي محمّد وأبي سهل رحمهما الله في الإمامة تشهد بما ذكرناه، وتتضمّن نصرة جميع ما ذكره أبو عيسى الرّاق، وابن الراونديّ في كتبهما في الإمامة، بل قد اعتمدا على أكثر ما ذكرناه من الأدلة، وسلكا في نصرة أصول الإمامة تلك الطرق بعينها. ومن خفيّ عليه ما ذكرناه من قولهم ظالم لنفسه بالتعرّض للكلام في الإمامة^٢».

وكان لاحتجاج الرّاق وابن الراونديّ وأبي الأحوص وأبي محمّد وأبي سهل

١ - انظر ما ذكرناه عن أبي الأحوص في هذا الكتاب.

٢ - الشافعي في الإمامة ١٤-١٥.

في إثبات وجوب الإمامة وتقرير صفات الإمام بالأدلة العقلية دور في جعل الإمامة من أصول الدين عند الإمامية مثلها مثل التوحيد، والعدل، والنبوة، وإدخالها في المباحث الكلامية. وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي هو الذي ثبت ذلك وجعله قطعياً، وجمع الأدلة والاحتجاجات التي عرضها السبّاقون في هذا المجال، وصير مسألة الإمامة تابعة للنبوة من المسائل الكلامية لمذهب الإمامية^١. وصنّف أبو سهل -كما سيأتي لاحقاً- في موضوع الإمامة كتباً عديدة، ووقف عمره على الدفاع عن عقائد الإمامية وردّ الغلاة والواقفة وأهل السنة. ويمكن القول إنّ كتبه وآراءه في موضوع الإمامة قد برزت جميع مؤلفات المتكلمين الذين سبقوه، وأصبحت مرجعاً للمتكلمين الذين جاؤوا بعده. وهذا من بركات الطلاب الكثيرين الذين تربّوا على يده ونشروا كتبه وعقائده، اضافة إلى ما كان له من منزلة علمية ونفوذ واعتبار وشوكة.

وكان أبوسهل من الأدباء والشعراء أيضاً، مضافاً إلى مكانته السياسية والعلمية. وكان معاشراً لاثنتين من فحول شعراء العرب هما البحتري (٢٠٦-٢٨٣هـ)، وابن الرومي (٢٢١-٢٨٣هـ). علماً أنّنا نقلنا سابقاً رأي البحتري في شاعرية أبي سهل. وكان البحتري مادحاً لأبي سهل وابنه أبي يعقوب إسحاق (المقتول سنة ٣٢٢هـ) وآخرين من آل نوبخت. وله قصائد في الثناء عليهم، كنّا قد نقلنا طرفاً منها في فصول متقدمة.

وكان الشاعر الشيعي المشهور علي بن العباس بن جريح الرومي ربيب نعمة آل نوبخت، بخاصة أبي سهل وأخيه أبي جعفر محمد. وله معهم أخبار أشار إليها المسعودي باختصار^٢. منها أنّ ابن الرومي نظم مرةً مقطوعة في مدح آل نوبخت ذكر فيها أنّهم أعلم الناس بالنجوم، فشكره أبو سهل بن علي في مقطوعة أخرى وقال:

إنَّ آل نوبخت عاجزون عن نظم جواب لشعر ابن الروميِّ بما فيه من ماء ورواء^١.
يضاف إلى ذلك أنَّ أبا سهل كان معاشرًا لكثير من العلماء والمتكلِّمين
والشعراء والأدباء المعاصرين له، وكانت له مراسلات شعريَّة. وقرأ عليه الأدب
جماعة من الأدباء ورواة الشعر. ونلاحظ في كتب الرجال والتاريخ ذكرًا لمجالسه مع
أبي علي الجبائيِّ في الأهواز، ومع الحكيم الرياضيِّ المعروف ثابت بن قزَّة. كما
نقرأ فيها قصيدة أبي الحسين عليِّ بن العباس النوبختيِّ (المتوفى سنة ٣٢٤هـ) في
مدحه، وسنأتي على ذلك كلِّه في موضعه.

ونزيد على ما مرَّ أنَّ أبا سهل نفسه كان من رواة الأشعار، وقد روي عنه قسم
من أخبار أبي نواس^٢. وكان له تلاميذ كثير أيضاً كلَّهم من الكتاب والشعراء
والمتكلِّمين المعروفين. أخذوا منه الأدب والشعر والكلام، وتلمذوا له في هذه
العلوم.

٣- تلاميذه

كان لأبي سهل عدد من التلاميذ في الكلام والأدب، قد بثوا آراء أستاذهم بين
الإمامية وطلّاب العلم والأدب. وذكرت كتب الأدب والتاريخ أسماء ستّة منهم
على النحو الآتي:

١- عليّ بن إسماعيل ولده. أخذ العلم والأدب عن أبيه^٣، ودرس أيضاً عند
العالم النحويِّ اللغويِّ الشهير أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب
(٢٠٠-٢٩١هـ). وكنّاه الخطيب البغداديُّ أبا الحسين تارةً، وأبا الحسن تارةً أخرى.

١- المقطوعتان كلتاهما في ديوان ابن الروميِّ ١: ١٢٢-١٢٣ (طبعة مصر، سنة ١٩٢٧م).

٢- الجزء الثاني من كتاب أخبار أبي نواس (مخطوط).

٣- تاريخ الإسلام الذهبي، fol. 60 b. نسخة المكتبة الوطنيّة بباريس.

وكان يروي الشعر عن أبيه أبي سهل، وعن ثعلب. وسمع أبو محمد الحسن بن الحسين بن علي بن العباس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت (٣٢٠-٤٠٢هـ) منه بعض أشعار ثعلب ودونها وروى الخطيب البغدادي بواسطة واحدة مقطوعة شعرية لثعلب عن أبي محمد النوبختي الذي ستأتي ترجمته. وكان أبو محمد قد أخذها من علي بن إسماعيل النوبختي^١.

٢ - أبو الحسين علي بن عبد الله بن وصيف الناشئ الأصغر (٢٧١-٣٦٥هـ)^٢ الشاعر والمتكلم المعروف الذي كان من مشاهير المدّاحين لأهل البيت الأطهار عليهم السلام، ومن مصنفّي الشيعة المعروفين. وكان تلميذ أبي سهل النوبختي في الكلام^٣، وألف كتاباً في الإمامة^٤.

وكان المترجم له أستاذ الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان وشيخه في الرواية^٥. ويُعدّ الشيخ المفيد تلميذاً لأبي سهل النوبختي عن طريقين: الأول: تلمذته للناشئ الأصغر. والثاني: تعلّمه على أبي الجيش مظفر بن محمد البلخي (م ٣٦٧هـ)^٦.

٣ - أبو الحسن محمد بن بشر السوسنجردي صاحب كتاب الإنفاذ في الإمامة^٧.

٢- أو ٣٦٦.

١- تاريخ بغداد ١١: ٣٤٧.

٤- فهرست الطوسي ٢٣٣؛ رجال النجاشي ١٩٣.

٣- وفیات الأعيان ١: ٣٨٩.

٥- فهرست الطوسي ٢٣٣.

٦- الناشئ الأصغر في مقابل الناشئ الأكبر، وهو أبو العباس عبد الله بن محمد الملقّب بابن شرسير، شاعر ومتكلم مشهور من أهل الأنبار. توفي سنة ٢٩٣هـ. وتعود شهرته غالباً إلى مخالفته أهل المنطق والشعراء وعلماء القروض، وإنكاره عموم المعاني المسلّمة عندهم. وله كتاب في نقض المنطق، ونظم قصيدة نونية في أربعة آلاف بيت تقريباً ذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل. (للاطلاع على ترجمته، انظر: مروج الذهب ٢: ٢٦٦ طبعة مصر؛ الفصل ٤: ١٩٤؛ تاريخ بغداد ١٠: ٩٢-٩٣).

٧- انظر: ص ١١٥ من هذا الكتاب، والفهرست ١٧٧، ورجال النجاشي ٢٦٦.

٤ - أبو عليّ الحسين بن القاسم الكوكبيّ الكاتب (المتوفى في ربيع الأوّل سنة ٣٢٧هـ)^١.

٥ - أبو الجيش مظفر بن محمّد بن أحمد البلخيّ (المتوفى سنة ٣٦٧هـ) أستاذ الشيخ المفيد . له كتاب في الإمامة^٢.

٦ - أبوبكر محمّد بن يحيى الصّوليّ (المتوفى سنة ٣٣٥هـ) الكاتب والأديب المشهور^٣.

وكان جميع المتكلّمين الكبار من الإماميّة في القرن الرابع والخامس كالشيخ المفيد ، والنجاشي ، والشريف المرتضى ، والشيخ الطوسي ، وغيرهم تلاميذ أبي سهل النوبختيّ بواسطة واحدة أو بواسطتين . لذلك نجد أنّ آراءهم في موضوع الإمامة وغيره من المسائل الكلاميّة تُشبه إلى حدٍّ ما آراء أبي سهل التي شرحها ودونها في كتبه العديدة .

٤ - أبو سهل النوبختيّ وموضوع الغيبة

ولد أبو سهل النوبختيّ سنة ٢٣٧هـ في عصر الإمام العاشر أبي الحسن عليّ بن محمّد الهادي (٢٢٠-٢٥٤هـ) . وعندما توفّي الإمام الحادي عشر أبو محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ سنة ٢٦٠هـ ، كان له من العمر ثلاث وعشرون سنة . وكانت وفاة أبي سهل سنة ٣١١هـ وهو ابن أربع وسبعين ، أمضى منها إحدى وخمسين سنة من عمره في أيام الغيبة الصّغرى وصادفت وفاته في أيام سفارة النائب الثالث الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح النوبختيّ ، وهما من بيت واحد .

١ - تاريخ الإسلام fol. 60 b ، نسخة المكتبة الوطنيّة بباريس ، وتاريخ بغداد ٨ : ٨٧ .

٢ - الفهرست ١٧٨ ؛ رجال النجاشي ٢٩٩ ؛ روضات الجنّات ٣١ .

٣ - تاريخ الإسلام fol. 60 b .

وتعدّ الفترة التي أمضاها أبوسهل في عصر الغيبة الصغرى - وهي إحدى وخمسون سنة كانت له في الأيام الأخيرة منها الرئاسة على الإمامية الاثني عشرية ويكاد يكون هو الموجّه لهذه الطائفة هو وسائر أفراد البيت النوبختي - من أشدّ الفترات توتراً بالنسبة إلى الطائفة المذكورة، ذلك أنّ أعداءها من جانب، والسلطان العبّاسي من جانب آخر قد بذلوا قصارى جهودهم من أجل تقويض الكيان الشيعي، ولم يذخروا وسعاً في إذاعة الشيعة شتى صنوف الأذى والعذاب. والذي أثارهم أكثر في هذه المرحلة هو حادث وفاة الإمام الحادي عشر عليه السلام واختفاء ولده. وهذا الأمر لم يُجرئ مناوئي الشيعة على معارضتهم فحسب، بل ترك المؤمنين بهذا المذهب يمججون في قلق و حيرة عجيبة، فبرز الخلاف بين صفوفهم وبلغ بهم مبلغاً أنّهم صاروا أربع عشرة فرقة يكفّر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً. وكاد الكيان الشيعي الذي كانت أركانه قد توطّدت بجهود بذلها رجاله على امتداد السنين يتقوّض بفعل تلك الخلافات، مضافاً إلى مكائد الأعداء، وإقبال الدنيا على مناوئي هذه الفرقة وعلى السلطان العبّاسي الذي سثم من تحكّم الكتاب والعاملين الفرس الشيعة في الجهاز الحكومي، ونفذ صبره من طعن رؤساء الإمامية ولومهم المتواتر. وكان يفكر بعموم الوسائل والخطط لإنقاذ نفسه من هذه الورطة.

روى الشيعة أنّ الإمام الحادي عشر أبا محمّد الحسن بن علي العسكري توفي في سُرّ من رأى يوم الجمعة لثمان خلون من ربيع الأوّل سنة ٢٦٠هـ بعد خمس سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام مضت على إمامته، وأعقب ولداً مكتوماً أمره لم يَره عامة الناس. من هنا أمر المعتمد العبّاسي (٢٥٦-٢٧٩هـ) بتفتيش دار الإمام وحجراتها، وكبس جميع ما فيها. وجَدَ رجاله في البحث عنه، وكلّفوا القوابل بالتحقيق من جوارى الإمام. وعندما ذكرت إحداهنّ أنّ جارية من جوارى الإمام حامل، جعلوها في غرفة خاصّة من غرف الدار، وكلّوا بها أحد الخدم مع أصحابه وعدداً من النسوة. وصلى أبو عيسى بن المتوكل أخو المعتمد على جنازة الإمام.

وأشهد كبار العلويين والعباسيين، وأمرأء الجيش، والكتّاب، والقضاة، والفقهاء، والمعدّلين على أنّ الإمام مات حتف أنفه. ثمّ دفنوا جثمانه الطاهر في البيت الذي دُفن فيه أبوه. وبذل الحاكم العباسي وأعوانه قصارى جهودهم في البحث عن ابن الإمام. ولمّا لم تثمر جهودهم شيئاً، ولم تلد تلك الجارية التي توهموا عليها الحبل ملازمين لها سنتين أو أكثر، عزم السلطان العباسي على تقسيم ميراث الإمام العسكري عليه السلام، فنشب نزاع بين حديث والدة الإمام وبين أخيه جعفر لأجل ذلك. ومع أنّ والدة الإمام أثبتت عند القاضي أنّها الوارثة الوحيدة للإمام لكنّ جعفرأً عارضها وسعى بها عند السلطان، واستعان به في الحصول على ميراث أخيه. ومكث السلطان سبع سنين، ثمّ قسّم تركة الإمام بين حديث وجعفر^١.

وكان جعفر مقبلاً على الدنيا لاهياً، طالباً لمنصب أخيه، فتشبّت بشتى الحيل كي يُعرّف بهذا المنصب. وكان يشي عند المعتمد بأصحاب الإمام العسكري الذين كانوا يزّون أنّ ولده الصغير الغائب هو الإمام الثاني عشر وهو حجة الحق على الخلق. ومما قام به أنّه حرّض السلطان على تكبيل صيقل^٢ جارية الإمام العسكري والدة الإمام المهديّ، ومطالبتها بولدها القائم، فأنكرت ذلك وادّعت الحبل لتردع جلاوزة السلطان عن التجسّس في أمر الإمام. فأوقفها المعتمد في حرمه، وتولّى نسائه وجواريه وأخوه الموفق وخدمه ونساء القاضي ابن أبي الشوارب^٣ رعايتها والقيام بأمرها. واستمرّت هذه الحالة إلى أن تضعضعت أركان الحكومة سنة ٢٦٣هـ، بفعل الهزّات التي تعرّضت لها، كاستيلاء يعقوب بن ليث الصّفّار على

١- كمال الدين ٢٥-٢٦ و ٣٤ و ٤٧ و ٢٦١ و ٢٦٢؛ فرق الشيعة ٧٩؛ الغيبة للشيخ الطوسي ١٤١-١٤٢؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤: ٩٣.

٢- اختلف الرواة والمؤلفون في اسم أمّ الإمام، فمنهم من قال: صيقل ومنهم من قال: ريحانة ومنهم من قال: سوسن، ومنهم من قال: نرجس.

٣- المقصود علي بن أبي الشوارب معتمد الذي نُصب قاضياً للقضاة في سنة ٢٦٢هـ.

الأهواز ومحاولته الهجوم على بغداد، وفتنة صاحب الزنج، وموت الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأةً، ولذلك أُنْسِيَت صيقل فنجت من مخالب جلاوزة السلطان^١.

وبرز خلاف وعداء شديد بين أصحاب جعفر، وأصحاب صيقل، وانحاز جماعة من أفراد الحكومة وجلاوزة السلطان إلى جانب جعفر، وجماعة إلى جانب صيقل، وأصاعد لهب الفتنة، فقام أحد النوبختيين - وهو الحسن بن جعفر الكاتب - بإخفاء صيقل في داره. وآل الأمر إلى أن قام المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) - الذي كان مناوئاً شديداً للإمامية كالمتوكل - بإخراجها من بيت الحسن بن جعفر النوبختي بعد مضيّ بضع وعشرين سنة على وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فأقامت في قصره حتى وافاها الأجل أيام حكم المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ)^٢.

إنّ وفاة الإمام العسكري عليه السلام، وغيبة ولده القائم، وأدعاء أخيه جعفر الذي لقّبه الإمامية: الكذاب، كما أشرنا إلى ذلك سلفاً، كلّ أولئك مهّد الأرضية لمناوئي الإمامية - بخاصّة المعتزلة، والزيدية، وأصحاب الحديث والسنة، والحاكم العباسي - لأن ينالوا من الإمامية. هذا من جانب، ومن جانب آخر، أدّى إلى انقسامها أربع عشرة فرقة. منها من أنكر وجود ولد للإمام العسكري، ومنها من تردّد في ذلك، ومنها من اعتقد بانتهاء الإمامة، ومنها من زعم غيبة الإمام العسكري ورجعته، ومنها من ذهب إلى إمامة جعفر. لكن أفراد هذه الفرقة الأخيرة لم يتفقوا على ذلك؛ فمنهم من اعتقد بأنّه خليفة أبيه العسكري، ومنهم من رأى أنّه منصوب للإمامة من قبل أخيه الآخر محمّد الذي كان قد مات في حياة أبيه الإمام الهادي، ومنهم من ذهب إلى أنّ أباه هو الذي اختاره إماماً. وهبّ جماعة من القطّحية والمحمّدية (أصحاب محمّد بن الإمام الهادي الذي توفي قبل أبيه) إلى تأييد جعفر

على رغم الإمامية الاثني عشرية. والتفّ حوله جمع من متكلمي الفطحية الحاذقين، وأخت فارس بن حاتم بن ماهويه الفزويني، وهي من أصحاب الإمام الهادي، وكان الإمام عليه السلام قد لعنها وطردها لإظهارها الغلو والفساد، لكن جعفرًا برأها وزكّاها^١. وأفضى التفاهم حوله إلى تقويته، وإلى خلق المتاعب للشيعه الاثني عشرية.

ومن الملاحظ في ذلك العصر الذي نشبت فيه الفتنة الممتدة من عهد المعتمد إلى عهد المقتدر، وعانى فيه الإمامية ما عانوا من الجور والاضطهاد، أنّ للأسرة النوبختية الشيعية دورها بما كانت تتمتع به من نفوذ مطلق في بغداد يعود إلى منزلتها العلمية والرمسية، وهيبتها الشخصية وما كانت تمتلكه من عقارات وثروات. فتطلع إليها الشيعة وعقدوا عليها الأمل في الذب عنهم وردّ مخالفهم. وكان رئيس الأسرة والموجه للشيعة الإمامية في فترة من فترات ذلك العصر المتكلم الشاعر الأديب المعروف أبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي.

وقد أمضى أبو سهل القسم الأعظم من حياته في تحصيل علم الكلام والاحتجاج على المخالفين ومناظرتهم، وكان فطناً واعياً. ومن الطبيعي أنّه لم يكن بوسعه في تلك الظروف المحفوفة بالأخطار أن يسكت، ولا يدافع عن مسألة الإمامة التي كان قد دوّن لها صورة تامّة وفقاً للأصول المذهبية عند الإمامية، ولا يبرز العقيدة الصحيحة في الغيبة - وكان يراها حقاً - في حين كان كلّ شخص يُبدي رأياً في الغيبة ممّا يبعث على تشتت الشيعة.

وبلغ الخلاف بين الشيعة في موضوع الإمامة والغيبة يومئذٍ درجة أنّهم اختلفوا حتّى في عدد الأئمة أيضاً. فذهبت طائفة منهم إلى أنّهم ثلاثة عشر استناداً إلى

حديث رواه سُليم بن قيس الهلالي^١ وهو من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ومن وحي هذا الحديث عدّ أبو نصر هبة الله بن محمد الكاتب - وهو من المعاصرين لأبي القاسم الحسين بن روح النوبختي في أيام الغيبة الصغرى و سيأتي ذكره - زيد بن علي بن الحسين في الأئمة^٢. وكان الحسين بن منصور الحلاج الصوفي المعروف يعتقد باثني عشر إماماً ويقول: إنّ الإمام الثاني عشر قد مات، ولن يظهر إمام، وإنّ أمر الساعة قريب^٣.

ونسب ابن النديم في الفهرست رأياً خاصاً لأبي سهل في الغيبة لم يُسبق إليه. وهو أنّه كان يقول: «أنا أقول: إنّ الإمام محمد بن الحسن ولكنه مات في الغيبة. وقام بالأمر في الغيبة ابنه، وكذلك فيما بعد من ولده إلى أن يُنفذ الله حكمه في إظهاره»^٤.

ولعلّ نسبة هذا الرأي إلى أبي سهل بالشكل المذكور مثار شكّ وترديد؛ لأنّه لم يرد في أي من كتب الشيعة. ويضاف إليه أنّ الشيخ الصدوق نقل في كتاب كمال الدّين مقطوعة في باب الإمامة عن كتاب التنبيه لأبي سهل، وهي تتفق مع عقيدة علماء الإماميّة الاثني عشرية في الغيبة^٥. بل يمكن القول: إنّ أبا سهل الذي كان ممّن شهد على ولادة الإمام الثاني عشر^٦ ورؤيته وغيبته، وممّن أيد نيابة السفير الثالث أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي^٧، كان من أعظم العلماء الذين دافعوا عن مسألة الغيبة حسب عقيدة الإماميّة، ثمّ دونوها في كتبهم، وسار على خطاه من جاء بعده من علماء الطائفة. ولو صحّ ما نسبته إليه ابن النديم، وكان له مثل ذلك

١- وهو راوٍ لأوّل كتاب شيعي. للاطلاع على ترجمته، انظر: الفهرست ٢١٩، وكتب الرجال المعتمدة.

٢- رجال النجاشي ٣٠٨.

3 - Louiz Massignon, passion d'al-Hallâdy p. 151.

٥- كمال الدين ٥٣-٥٥.

٤- الفهرست ١٧٦.

٧- نفسه ٣٢٥.

٦- الغيبة للطوسي ١٧٥-١٧٦.

الرأي في بادئ أمره ، فإنه تراجع عنه فيما بعد ، وأقر بما يقر به جمهور الإمامية ودافع عنه .

٥ - أبو سهل النوبختي والحسين بن منصور الحلاج

نلاحظ في أيام الغيبة الصغرى - حيث كان الإمامية ينتظرون نهاية الغيبة وظهور الإمام الغائب ، وحيث كان زمام شؤونهم الدينية والدنيوية بيد النواب الأربعة - أنَّ الحسين بن منصور الحلاج البضاوي الصوفي المعروف كان يبت آراءه وعقائده في المراكز المهمة للشيعة ، بخاصة قم وبغداد . فأفلح في استقطاب عدد من الشيعة ، ورجال البلاط الحاكم بعد سنين أمضاها في السفر والتبليغ والوعظ .

وكان في بداية أمره يزعم أنه رسول الإمام الغائب ووكيله وبابه ، كما ذكر ذلك مصنفو الإمامية . من هنا أوردوا اسمه في عداد مدّعي البابية^١ . وعندما التقى برؤساء الإمامية في قم ، ودعاهم إلى قبول العنوان المذكور ، أبدى رأيه في الأئمة - كما تطرّفنا إلى ذلك سلفاً - فتبرأ الشيعة في قم منه وطرده من مدينتهم .

وكان ادّعاء الحلاج البابية ، وإبداء رأيه الخاص حول عدد الأئمة ، بمنزلة إعلان العداء للسافر لآل نوبخت . ذلك أنَّ أحدهم - وهو أبو القاسم الحسين بن روح - كان نائباً للإمام الغائب منذ سنة ٣٠٥ هـ . وكان قبل ذلك من خاصّة النائب الثاني أبي جعفر محمد بن عثمان . والشخص الآخر من هذه الأسرة هو أبو سهل إسماعيل بن علي . وكان يعدّ رئيساً للإمامية في بغداد عند تحرّك الحلاج . كما كان له نفوذ بين الوزراء وكتاب البلاط والعاملين في الأجهزة الحكومية . وكان راعياً للأصول المذهبية الشيعية ومدافعاً عنها . ويضاف إلى ما كان عليه سياسياً

ورسمياً، أنه كان يُمضي أوقاته في الردّ على المخالفين ومناظرتهم والاحتجاج عليهم.

وأظهر الحلاج مقالات في باب الحلول، وادّعاء المعجزة والرسالة والربوبية. وعزم على استقطاب أبي سهل إسماعيل النوبختي، ومن ثمّ اجتذاب آلاف الشيعة الذين كانوا يتبعونه وسائر آل نوبخت قولاً وعملاً، بخاصة أنّ جماعة من بلاط الحاكم العباسي كان لهم رأي حسن بالحلاج، فأنحازوا إليه. وإذا ما ركن آل نوبخت إليهم فلا تبقى أمام الحلاج عقبة تعرقل عمله. وكان له أن ينظّم كياناً مهماً لرأيه الجديد اعتماداً على كثرة أصحابه، ونفوذ أكابر البلاط وكتّابه.

بيد أنّ أبا سهل الذي كان شيخاً مجرباً وعالمًا نشطاً محنكاً لم يرقه أن يرى داعياً صوفياً ذا مقالات جديدة يريد أن ينسف كثيراً من العقائد التي تعاهدها هو نفسه ومتكلمو الإمامية وأقاموا دعائمها على أساس رصين باذلين الغالي والنفيس من أجلها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يريد أن ينصب نفسه معارضاً للحسين بن روح نائب الإمام عليه السلام، ومدّعياً منصبه، ويمدّ جذوره في الجهاز الحاكم الذي حافظ الشيعة الإمامية وآل نوبخت على مرافقه الهامة عدد سنين في مقابل سلطة أمراء الجيش الأتراك وغيرهم.

وأبدى أبوسهل النوبختي غاية التدبير والفراسة والنشاط في دحض الحلاج وقطع دابر دعوته، ذلك أنّ إدانة مثل هذا الشخص - الذي كان قبل كلّ شيء يدّعي أنّه من الإمامية ومن آل نوبخت - من قبل القضاة والأئمة والوزراء السُّنة، وفي عاصمة الحكم حيث لم يُسمَح لقضاة الشيعة وعلمائهم أن يتدخلوا في تسوية الدعاوى، مضافاً إلى الأضغان المذهبية والخصومات السياسية، لم يكن عملاً ميسوراً إلاّ بحصافة العقل والحزم ودقّة النظر.

إنّ ما يمكن أن يقال في هذا المجال تخميناً هو أنّ الإمامية ربّما اختاروا المذهب الظاهريّ الذي أسسه أبوبكر محمد بن داود الإصفهانيّ (المتوفى سنة

٢٩٧هـ) من بين المذاهب السُنَّية اضطراباً من أجل حلّ دعاوهم، لأنّ فقهم لم يعترف به الحكّام والولاطين رسمياً. وأقرّ بعض الفقهاء من المذهبين الإمامي والظاهرّي آراء بعضهما البعض في الفروع والفقه، كما نجد أنّ الناشئ الأصغر وهو متكلّم شيعي وتلميذ لأبي سهل النوبختي كان على مذهب أهل الظاهر في الفقه^١. ويحتمل أنّ رؤساء الإمامية لجأوا إلى أبي بكر محمّد بن داود إمام الظاهرية عند عودة الحلاج إلى بغداد وشروعه بالدعوة العامة (في سنة ٢٩٦هـ)، وحرّضوه على أن يُفتي بوجوب قتل الحلاج. فأفتى بذلك سنة ٢٩٧هـ قبل وفاته بقليل. يضاف إلى ذلك أنّ الصداقة التي كانت تربط أبا سهل النوبختي بأبي الحسن علي بن الفرات وزير المقتدر العباسي (في أيام وزارته الأولى بين ٢١ ربيع الأول ٢٩٦هـ و ٤ من ذي الحجة ٢٩٩هـ)، ودعم هذا الوزير للشريعة ممّا ساعد على تفسير خطّة أبي سهل^٢.

على أيّ حال، لاشكّ في أنّ أبا سهل هو الذي أفضى أمر الحلاج في بغداد، وزهد العامة فيه، ونقل كذب دعاواه ومخاريقه في المجالس الصغيرة والكبيرة. قدّم الحلاج بغداد في سنة ٢٩٦هـ وانشغل بدعوة الناس إليه. فلاحقه أبو الحسن بن الفرات. وأصدر ابن داود فتواه المعروفة بهدر دمه. ففرّ من بغداد وأوى إلى شوشتر والأهواز فلاحقه ولاية السلطان العباسي مرّة أخرى سنة ٣٠١هـ وقبضوا عليه وأتوا به إلى بغداد في عصر وزارة عليّ بن عيسى وحُبس ثمانين سنين. ثمّ أُعدم في ٢٤ من ذي القعدة سنة ٣٠٩هـ بعد سبعة أشهر من المحاكمة بفتوى القضاة وأئمّة الدين، وبأمر المقتدر ووزيره حامد بن العباس. وجرّت بين الحلاج وأبي سهل النوبختي مناظرتان يوم كان يبثّ دعوته.

١- الفهرست للطوسي ٢٣٣.

وفيها دعا الحلاج أباسهل إلى اتباعه . وادعى المعجزة كما يدل على ذلك ما بقي من الروايات . بيد أن أباسهل أفحمه ودحضه بل أخزاه من خلال أجوبته الدامغة وطلباته التي عجز الحلاج عن إنجازها ، فكسدت سوقه بسبب ذلك . ونقل فيما يأتي روايتين من الروايات الباقية نصاً!

١ - نقل الشيخ أبو جعفر الطوسي عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب بواسطتين قال : لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه ، وقع له أن أباسهل بن إسماعيل بن علي النوبختي - رض - ممن تجوز عليه مخرقته ، وتم عليه حيلته ، فوجه إليه يستدعيه . وظن أن أباسهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر يفرط جهله . وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق به ويتسوف بانقياده على غيره فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهجة على الضعفة ؛ ليقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحلّه من العلم والأدب أيضاً عندهم . ويقول له في مراسلته إياه : إني وكيل صاحب الزمان عليه السلام . وبهذا أولاً كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره ، وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك ولا ترتاب بهذا الأمر . فأرسل إليه أبوسهل - رضي الله عنه - يقول له : إني أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين . وهو أنني رجل أحب الجواري وأصبو إليهنّ ولي منهنّ عدّة انحطّاهنّ ، والشيب يبعدي عنهنّ ، وأحتاج أن أخضبه في كلّ جمعة ، وأنحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهنّ ذلك ، وإلا انكشف أمرى عندهنّ ، فصار القرب بعداً والوصال هجراً . وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته وتجعل لحيتي سوداء ، فإنّي طوع يديك ، وصائر إليك ، وقائل بقولك ، وداع إلى مذهبك ، مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة . فلمّا سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه ، علم أنّه قد أخطأ في مراسلته ، وجهل في الخروج إليه بمذهبه ، وأمسك عنه ولم يردّ إليه جواباً ، ولم يرسل إليه رسولاً .

وصيّره أبو سهل - رضي الله عنه - أُحدوثة وُصْحَكَة ، ويطنزه به^١ عند كل أحد ،
وشهر أمره عند الصغير والكبير . وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة
عنه^٢ .

٢- «...» و يزعم بعض الجهلة المتبعين له بأنه كان يغيب عنهم ، ثم ينزل عليهم
من الهواء . أغفل ما كانوا! وحرك لقوم يده فنثر منها دراهم . وكان في القوم
أبو سهل بن نوبخت النوبختي ، فقال له : دَع هذا وأعطني درهماً واحداً عليه اسمك
واسم أبيك وأنا أو من بك ، وخلق كثير معي . فقال : لا ، كيف وهذا لم يُصنع ؟ فقال
له : مَنْ أَحْضَرَ ما ليس بحاضرٍ صَنَعَ غيرَ مصنوعٍ^٣ .

يظهر من القرائن أنَّ هذا الحوار كان في الأهواز وحواليها بين سنة ٢٩٨
و ٣٠١هـ ، لأنَّ الحلاج كان يومئذٍ في الأهواز والقرى الواقعة في أطرافها يعدّ للناس
الطعام والشراب ، وينثر عليهم الدراهم التي كان يسميها «دراهم القدرة» . كما كان
فيها آنذاك المتكلم المعتزلي المعروف أبو علي الجبائي ، وهو الذي قام بكشف
حيله ، وأجبره على مغادرة المدينة^٤ . ويبدو أنَّ الجبائي لقي أبا سهل النوبختي
أيضاً ، وكانت له مجالس معه .

٦- مؤلفاته

ألف أبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي كتباً كثيرة في تأييد المذهب الشيعي
والردّ على اعتراضات مخالفيه ، وبيان المسائل الكلامية . وبلغ عددها أربعين كتاباً

١- طنز به : سخر .

٢- الغيبة ٢٦١-٢٦٢ : نشوار المحاضرة للتنوخي ٨١ : الفهرست ١٩٠-١٩١ ، وقسم من كتاب المستظم

لابن الجوزي في هامش صلة تاريخ الطبري ١٠٥ : تاريخ بغداد ٨ : ١٢٤ .

٣- صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي ٩٢-٩٥ .

٤- تاريخ بغداد ٨ : ١٢٥ : نشوار المحاضرة ٨٧ .

ورسالة. ومن سوء الحظّ أنّه لا يلاحظ اليوم منها إلا كتاب واحد أو كتابان ذكرت نقول منها في كتب المؤلّفين بعده. وتعدّ كتبه من المراجع الرئيسة لعلماء الشيعة ومتكلميهم، وأقواله الكلاميّة تدعم أقوالهم. وهو نفسه - رحمه الله - معدود في رجالات الشيعة ومصنّفيهم المعتمدين^١.

وفيما يأتي أسماء مؤلفاته اعتماداً على الفهرست، وفهرست الطوسي، ورجال النجاشي، وبعض الكتب الأخرى:

الف - كتبه في الإمامة وردّ المخالفين في هذا الباب

١ - الاستيفاء (الفهرست - فهرست الطوسي - رجال النجاشي).

٢ - التنبيه (الفهرست - فهرست الطوسي - رجال النجاشي) وكان النجاشي صاحب الرجال - قد قرأه عليّ أستاذه الشيخ المفيد^٢. ونقل الشيخ الصدوق مقداراً منه يبلغ ثلاث صفحات كبيرة وذلك في كتابه كمال الدين وتمام النعمة^٣. ويبدو أنّ فقرة أخرى أوردتها المؤلّف المذكور في كتابه المشار إليه، ونقلها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن أبي سهل مأخوذة من كتاب التنبيه هذا^٤.

٣ - كتاب في الردّ على الغلاة (الفهرست - فهرست الطوسي - رجال النجاشي).

٤ - الردّ على الطاطريّ في موضوع الإمامة.

والتاطريّ هذا هو أبو الحسن عليّ بن محمّد الطائي الكوفي الطاطريّ من فقهاء الواقة وشيوخهم وجهائهم. كان معاصراً للإمام الكاظم عليه السلام (١٢٨-١٨٣هـ). ومع أنّه كان فقيهاً ثقة في حديثه، لكنّه كان يُبدي تعصباً وعناداً شديداً في الدفاع عن مذهب الواقة وردّ عقائد الشيعة. وألّف كتباً عديدة بلغت ثلاثين كتاباً في تأييد

١- الملل والنحل ١٤٥.

٢- رجال النجاشي ٢٣.

٣- كمال الدين وتمام النعمة ٥٣-٥٦.

٤- نفسه؛ وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي ١٨٥.

عقائده . منها كتاب في الإمامة ، و يبدو أنّ هذا الكتاب هو الذي ردّ عليه أبو سهل النوبختي . (للاطلاع على ترجمته يُنظر: الفهرست ١٧٧ ؛ فهرست الطوسي ٢١٦-٢١١ ؛ رجال النجاشي ١٧٩) .

٥ - الردّ على الواقفة (فهرست الطوسي - رجال النجاشي) .

٦ - الأنوار في تاريخ الأئمة (فهرست الطوسي - رجال النجاشي) .

٧ - كتاب الجُمَل في الإمامة (رجال النجاشي) .

٨ - الردّ على محمد بن الأزهر في الإمامة . (رجال النجاشي) .

لم يُعرَف محمد بن الأزهر هذا . ولعلّ المقصود هو أبو جعفر محمد بن الأزهر الكاتب (٢٠٠-٢٧٩ هـ) أحد الأخباريين السُنّة ، توفّي في جمادى الأولى سنة ٢٧٩ هـ وهو في الثمانين من عمره^١ .

ب - الردّ على أهل السُنّة والجبريّة وأصحاب الصفات

٩ - الردّ على عيسى بن أبان في موضوع القياس^٢ (الفهرست) .

١٠ - نقض مسألة عيسى بن أبان في باب الاجتهاد^٣ (فهرست الطوسي - رجال النجاشي) .

١ - تاريخ بغداد ٢: ٨٣-٨٤ .

٢ - كان الشيعة وفقهاء الظاهرية من أصحاب الحديث والسُنّة يبطلون القياس في الفقه على خلاف أصحاب أبي حنيفة والزيدية . وكان الشيعة ينقلون أحاديث كثيرة عن أئمة الهدى عليهم السلام في إبطال القياس ، منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : القياس ليس من ديني (رجال الكشي ١٢٥) وقال : إنّ أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحقّ إلّا بُعداً . إنّ دين الله لا يصاب بالقياس (أصول الكافي ٢١) . وأوّل من عمل بالقياس والاجتهاد من الشيعة أبو عليّ محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي (أواسط القرن الرابع) ، والحسن بن أبي عقيل العمانيّ (النصف الأوّل من القرن الرابع) ويعرف هذان الشخصان بين فقهاء الإماميّة بالقديمين (روضات الجنّات ١٦٨ ، ٥٦٠ ، ٥٩٠) .

٣ - انظر: الملل والنحل ١٥٣ : مقالات الإسلاميين ٤٧٩-٤٨٥ .

كان أبو موسى عيسى بن أبان بن صدقة بن عدي بن مردانشاه (المتوفى في المحرم سنة ٢٢١هـ) من أهل مدينة فسا من بلاد فارس. وكان من قضاة أصحاب الرأي والقياس وفقهائهم، ومن أتباع الإمام أبي حنيفة. وألف عدداً من الكتب منها: إثبات القياس، واجتهاد الرأي. وهما اللذان ردّ عليهما أبوسهل.

١١ - كتاب في إبطال القياس (الفهرست).

١٢ - كتاب في الردّ على أصحاب الصفات^١ (الفهرست - فهرست الطوسي).

١ - قال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل: ٦٤-٦٥: «إعلم أنّ جماعة كثيرة من السلف كانوا يُثبتون لله تعالى صفاتٍ أزليّةً من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام، والعزة، والعظمة. ولا يفرّقون بين صفات الذات، وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سَوْقاً واحداً. وكذلك يُثبتون صفاتٍ خَبَرِيّةً مثل اليَدَيْنِ، والوجه؛ ولا يؤوّلون ذلك، إلّا أنّهم يقولون: هذه الصفات قد وردت في الشرع، فنسمّيها صفات خبريّة. ولَمّا كان المعتزلة ينفون الصفات، والسلف يُثبتون، سُمّي السلف: صِفَاتِيّةً، والمعتزلة: مُعْطَلّةً. فبالغ بعض السلف في إثبات الصّفات إلى حدّ التشبيه بصفات المُحدّثات. واقتصر بعضهم على صفات دلّت الأفعال عليها وماورد به الخبر، فافترقوا فيه فرقتين: فمنهم من أوّله على وجه يحتمل اللفظ ذلك؛ ومنهم من توقّف في التأويل، وقال: عرفنا بمقتضى العقل أنّ الله تعالى ليس كمثله شيء، فلا يُشبه شيئاً من المخلوقات ولا يُشبهه شيء منها، وقطعنا بذلك؛ إلّا أنّنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه، مثل قوله تعالى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، ومثل قوله: خَلَقْتُ يَدَيَّ، ومثل قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ، إلى غير ذلك، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها، بل التّكليف قد ورد بالاعتقاد بأنّه لا شريك له، وليس كمثله شيء؛ وذلك قد أثبتناه يقيناً. ثمّ إنّ جماعةً من المتأخّرين زادوا على ما قاله السلف؛ فقالوا: لا بدّ من إجرائها على ظاهرها، والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرّض للتأويل ولا توقّف في الظاهر؛ فوقعوا في التشبيه الصرف، وذلك على خلاف ما اعتقده السلف. ولقد كان التشبيه صرفاً خالصاً في اليهود، لا في كلهم، بل في القرائين منهم؛ إذ وجدوا في التوراة ألفاظاً تدلّ على ذلك. ثمّ الشيعة في هذه الشريعة وقعوا في غلوّ وتقصير. أمّا الغلوّ، فتشبيه بعض أئمّتهم بالإله تعالى وتقدّس. وأمّا التقصير، فتشبيه الإله بواحد من الخلق. ولَمّا ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلوّ والتقصير، ووقعت في الاعتزال، وتخطّت جماعة من السلف إلى التفسير الظاهر؛ فوقعوا في التشبيه. وأمّا السلف الذين لم يتعرّضوا للتأويل، ولا تهدفوا للتشبيه؛ فمنهم: مالك بن أنس

١٣ - كتاب الصفات (الفهرست - فهرست الطوسي).

١٤ - كتاب في الردّ على الجبريّة في باب المخلوق والاستطاعة^١ (فهرست الطوسي). في الفهرست : الردّ على من قال بالمخلوق. وفي رجال النجاشي : الردّ على المجبرة في المخلوق.

١٥ - كتاب في الصفات (رجال النجاشي) أو في الصدقات (؟) (فهرست الطوسي) ويبدو أنّه الكتاب المذكور في التسلسل ١٣.

ج - الردّ على اليهود ومنكري الرسالة

١٦ - كتاب تثبيت الرسالة. (الفهرست - فهرست الطوسي).

١٧ - كتاب في الاحتجاج في نبوة محمد ﷺ (رجال النجاشي).

١٨ - كتاب في الردّ على اليهود^٢ (فهرست الطوسي - رجال النجاشي)

→ إذ قال : الاستواء معلوم ، والكيفيّة مجهولة ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . ومثل أحمد بن حنبل ، وسفيان الثوري ، وداود بن عليّ الإصفهانيّ ، ومن تابعهم . حتّى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابيّ ، وأبي العباس القلايسيّ ، والحارث بن أسد المحاسبيّ . وهؤلاء كانوا من جملة السلف ؛ إلّا أنّهم باشروا علم الكلام ، وأبدوا عقائد السلف بحجج كلاميّة وبراهين أصوليّة . وصنّف بعضهم ، ودرس بعض ، حتّى جرى بين أبي الحسن الأشعريّ وبين أستاذه مناظرة في مسألة من مسائل الصلاح والأصلح فتخاصما . وانحاز الأشعريّ إلى هذه الطائفة ، فأيد مقالتهم بمناهج كلاميّة . وصار ذلك مذهباً لأهل السُنّة والجماعة . وانتقلت سمة الصفايّة إلى الأشعريّة . ولما كانت «المشبهة» و«الكلاميّة» من مُشَبَّهِي الصفات ، عددناهم فرقتين من جملة (الصفائيّة) . (الملل والنحل ٦٤-٦٥ ؛ مقالات الإسلاميين ٥٨٢ فما بعدها) .

١ - انظر : كثر الفوائد للكراجكيّ ٤٠-٤١ لتعرّف على الخلاف بين المجبرة والإماميّة في باب المخلوق والاستطاعة .

٢ - كانت أهمّ احتجاجات المسلمين على اليهود تدور حول المسائل الآتية : تشبيه الخالق بالمخلوق ، والقول بأنّ عزير ابن الله ، ونسخ الشرائع التي كان ينكرها اليهود ، وبعض المسائل الأخرى . (تلبس إبليس ٧٥-٧٦ ؛ الملل والنحل ١٦٣-١٦٧ ؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ١ : ٩٨ ؛ فما بعدها ؛ وغيرها) .

د- الردّ على المخالفين الآخرين

١٩- كتاب مجالس أبي سهل مع ثابت بن قرة (رجال النجاشي - فهرست الطوسي).
أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني الصائبي (٢٢١-٢٨٨هـ) فيلسوف ومنطيق
ورياضي معروف. كان من منجمي المعتضد العباسي في بغداد. وكان صديقاً
ومعاشراً لأبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي وابن أخته أبي محمد الحسن بن
موسى. وسرى في ترجمة أبي محمد أنه كان ممن يجتمع في دار أبي محمد
النوبختي مع المترجمين والعلماء الآخرين. وكان أبو محمد، وأبو سهل يطرحان
الأسئلة عليه وينظرانه في بعض المسائل الفلسفية والدينية. ويلاحظ بين كتب
ثابت بن قرة - مضافاً إلى الكتاب المذكور الذي يشير إلى هذه النقطة - كتاب يضم
أجوبته عن مسائل سألها إياه أبو سهل النوبختي^١.

٢٠- مجالسه مع أبي علي الجبائي في الأهواز^٢ (رجال النجاشي - فهرست
الطوسي).

٢١- نقض مسألة أبي عيسى الوراق في باب قَدَم الأجسام (رجال النجاشي)،
وإثبات الأعراض^٣ (فهرست الطوسي).

٢٢- الردّ على ابن الراوندي في باب الإنسان^٤ (رجال النجاشي - فهرست
الطوسي).

١- تاريخ الحكماء ١١٨.

٢- انظر ذيل الصفحة ١٢٤، والصفحة ١٤٥ من هذا الكتاب.

٣- الانتصار ١٥٠ و ١٥٢.

٤- انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري ٣٢٩-٣٣٣، للاطلاع على خلاف
المتكلمين حول الإنسان، ورأي ابن الراوندي في ذلك.

٢٣ - كتاب السبك في نقض كتاب التاج لابن الراوندي^١. (الفهرست - فهرست الطوسي).

٢٤ - نقض كتاب ابن الراوندي في باب اجتهد الرأي. (الفهرست - فهرست الطوسي).

٢٥ - نقض عَـبَثَ الحكمة لابن الراوندي^٢. (الفهرست - فهرست الطوسي).

٢٦ - نقض رسالة من تأليف الشافعي^٣. (الفهرست - فهرست الطوسي).

٢٧ - الردّ على أبي العتاهية في باب التوحيد، في شعره. (فهرست الطوسي - رجال النجاشي).

كان أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم المشهور بأبي العتاهية (١٣٠-٢١١ أو ٢١٣هـ) من شعراء الغزل المعروفين في عهد هارون ولديه الأمين والمأمون. ثمّ مال إلى الزهد بعد أن أمضى مدّة في الغزل، والمدح، والهجاء، واقترب من مشرب المتصوّفة تدريجاً. ولمّا كان شاعراً قادراً ذا شعر سهل بعيد عن التكلّف، فقد انتشرت أشعاره في الزهد والوعظ بين الناس، وأدّى ذلك إلى رسوخ أفكاره الصوفيّة والجبريّة في أذهان العامّة.

كان أبو العتاهية شيعيّ الفروع، جبريّ العقيدة، كما كان عدوّاً للقدريّة^٤. لذلك نظم في شعره أفكاراً في مجال الاعتقادات لا تنسجم مع عقائد الشيعة، فكان كتاب أبي سهل النويختي ردّاً على تلك الأفكار. قال صاحب كتاب تبصرة العوام:

١- انظر: ص ١١٩ من هذا الكتاب. ٢- انظر: ص ١١٩ من هذا الكتاب، أيضاً.

٣- القصد من هذا الكتاب رسالة ألفها الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ) في أصول الفقه على رأيه. وهذا الكتاب المعروف برسالة الإمام الشافعي أوّل كتاب صُفّي في أصول علم الفقه. وأعيد طبعه مراراً (معجم المطبوعات العربيّة، العمود ٤٧٠).

٤- تاريخ بغداد ٧: ١٤٧.

«أَجْمَعَتِ الْإِمَامِيَّةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَى لَافِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. وَلَهَا عَلَى ذَلِكَ أَدَلَّتُهَا الْقَاطِعَةُ مِنَ الْعَقْلِ، وَالْقُرْآنُ، وَالسُّنَّةُ. وَقَالَ خَصُومُهُمْ: إِنَّ طَائِفَةً مِنَ الشَّيْعَةِ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بِالْبَاطِلِ وَيَخْلُقُ الظُّلْمَ وَالْكَفْرَ وَالْفَوَاحِشَ وَالسُّفْهَ، كَمَا قَالَتِ الْمَجْبُورَةُ وَالْمُشَبَّهَةُ. وَنَحْنُ نَقُولُ: هَذَا افْتِرَاءٌ عَلَى الشَّيْعَةِ إِذْ لَمْ يَتَفَوَّهُوا بِهِ، وَلَمْ تَجِدْ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ. وَكُلٌّ مِنْ كَانَ لَهُ حِظٌّ مِنَ الْإِسْلَامِ لَا يُجِيزُ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ. وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ شَيْعِيًّا فِي الْفُرُوعِ، جَبْرِيًّا فِي الْإِعْتِقَادِ. وَهُوَ لَمْ يَكُنْ فَقِيهًا وَلَا عَالِمًا بِأَصُولِ الدِّينِ. وَكُلٌّ مَا قَالَهُ الشُّعْرَاءُ مِنَ الْكَلَامِ الْفَاسِدِ لَيْسَ عَيْبًا عَلَى الْآخَرِينَ. وَلَا تَجِدُ فَرْقَةً مِنَ الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا وَبَيْنَ أَفْرَادِهَا مِنْ لَهُ عَقِيدَةٌ فَاسِدَةٌ. بِخَاصَّةِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ، حَيْثُ إِنَّ مَعْظَمَ كُتُبِ الْأَصُولِ وَالْكَلَامِ وَالْفِقْهِ الَّتِي يَقْرَأُونَهَا مَزِيجَةٌ بِالْفَلَسَفَةِ وَاصْطِلَاحَاتِهَا، وَقَلَمًا تَشَمُّ مِنْهَا رَائِحَةُ الْإِسْلَامِ. وَالْعَجِيبُ أَنَّ الرَّاعِبَ - وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ بَيْنَ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ - وَالْفَخْرَ الرَّازِيَّ - وَهُوَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ - قَدْ فَسَّرَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَذَكَرَا فِي تَفْسِيرِهِمَا أَشْيَاءَ لَا يُقَرَّبُ بِهَا أَيُّ مُسْلِمٍ، فِي حِينٍ أَنَّ أَصْحَابَهُمَا يَزَوْنَ أَنَّهِمَا مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، وَأَنَّ كَلَامَهُمَا حَقَائِقُ. مِنْ هُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَمُنَّ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهُوَ ابْنُ سِينَا، وَالْفَارَابِيُّ، لِأَنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ - وَهُمَا مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ - كَانَا مُصَدِّرَ تِلْكَ الْحَقَائِقِ. وَمِنَ الْأَلْقَابِ الَّتِي أَضْفَاها أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ عَلَى الْفَخْرِ الرَّازِيِّ: حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْخَلَائِقِ. فَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ عَيْبًا عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ جَهْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ الْجَبْرِيِّ عَيْبٌ عَلَى أَهْلِ الْإِمَامَةِ!¹.

وَيُظْهِرُ مِنَ الْجُمْلَةِ الْآخِرَةِ فِي كَلَامِ الْمُؤَلَّفِ الْمَذْكُورِ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ كَانُوا يَنْسُبُونَ عَقَائِدَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ الْجَبْرِيَّةَ إِلَى الشَّيْعَةِ فَتَحَامَلُوا عَلَيْهِمْ بِسَبَبِهَا. لِذَلِكَ رَأَى أَبُو سَهْلٍ أَنَّ مِنَ الضَّرُورِيِّ رَدَّ ذَلِكَ وَدَحْضَ نَسْبَتِهَا إِلَى الشَّيْعَةِ الَّذِينَ تَبَنَّى أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مَذْهَبَهُمْ فِي الْفُرُوعِ.

و يرى ماسينيون في كتابه النفيس الذي ألفه حول سيرة الحسين بن منصور الحلاج أنّ نقض أبي سهل لكلام أبي العتاهية الذي توفي قبله بزمان بعيد، وكان غير مُلمّ بالاصطلاحات الفلسفية نوعاً ما، وسيلة استخدمها أبو سهل لمهاجمة المتصوّفة والحلاج الذي كان يستند إلى شعر أبي العتاهية، ليحول دون بثّ مثل هذه الأفكار^١. ولو صحّ هذا الرأي، فهو غير ذي بال. ويبدو أنّ الهدف الأساس الذي كان يبتغيه أبو سهل في دحض أفكار أبي العتاهية في باب التوحيد - كما يُستشفّ من كلام نبصرة العوام - دفع ما توهمه أهل السنّة إذ نسبوا أفكار أبي العتاهية إلى الشيعة.

هـ - الأصول والمسائل الكلامية

- ٢٨ - كتاب الخواطر^٢. (الفهرست - فهرست الطوسي)
- ٢٩ - كتاب المعرفة^٣. (الفهرست - فهرست الطوسي)
- ٣٠ - كتاب حدث العالم. (الفهرست - فهرست الطوسي - رجال النجاشي)
- ٣١ - كلام في باب الإنسان^٤. (الفهرست)
- ٣٢ - الحكاية والمحكي^٥. (الفهرست - فهرست الطوسي)

1 - Passion d'al-Hallâdj, p. 149.

٢- انظر: مقالات الإسلاميين ٤٢٧-٤٢٩، للاطلاع على خلاف المتكلمين في الخواطر.

٣- مقالات الإسلاميين ٥١-٥٣ و٤٧٢ و٤٧١؛ والفصل ٥: ١٠٨-١١٩.

٤- انظر: ص ١٢٤ من هذا الكتاب، ومقالات الإسلاميين ٣٢٩-٣٣٣، وإرشاد الطالبين ١٨٦-١٩٠.

٥- صنف عدد من متكلمي الفرق المختلفة كتباً بهذا العنوان، منهم: أبو محمد جعفر بن مبشر المعتزلي المتوفى سنة ٢٣٤هـ (الانتصار ٨١)، وأبو الفتح عثمان بن جني النحوي المعروف المتوفى سنة ٣٩٢هـ، الذي ردّ عليه الشريف المرتضى علم الهدى (فهرست الطوسي ٢٢٠)، وروضاة الجنّات (٤٦٦)، وابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ) الذي ردّ عليه الشيخ المفيد (فهرست

٣٣- الخصوص و العموم و الأسماء و الأحكام^١ (رجال النجاشي - فهرست الطوسي)

٣٤- كتاب في التوحيد (فهرست الطوسي - رجال النجاشي)

٣٥- كتاب الإرجاء^٢ (فهرست الطوسي - رجال النجاشي)

٣٦- النفي و الإثبات^٣ (فهرست الطوسي - رجال النجاشي)

٣٧- كتاب في استحالة رؤية الله تعالى^٤ (فهرست الطوسي - رجال النجاشي)

و من سوء الحظّ أنّه لم يبقَ من كتب أبي سهل النوبختي إلّا كتابان أو ثلاثة نقل عنها الآخرون ، و قد ذكرناها سابقاً . ولكن لما كان أبو سهل رئيس المتكلمين الشيعة ، وكانت داره محلاً لاجتماعهم^٥ ، و أقواله حجة بالنسبة إلى العلماء الآخرين من هذه الطائفة ، فقد كان يُستشهد بأرائه غالباً . و إذا ما توقّر أحد على دراسة الكتب الكلاميّة للشيعة بهذا القصد ، فإنّه يستطيع أن يلتقط قسماً منها عبر هذا الأسلوب . و نلاحظ أنّ العلامة الحلّي ، و الفاضل المقداد يشيران في كتابيهما : أنوار الملكوت ، و إرشاد الطالبين^٦ إلى رأي أبي سهل النوبختي في الإنسان ، و كان قد صنّف كتاباً في هذا الحقل^٧ ، و يدلّان على اتّفاقه مع جمهور الفلاسفة و المعتزلة في الموضوع

→ الطوسي ٣١٥ . و نسب النجاشي إلى الشيخ المفيد نقضاً على كتاب العنبي في هذا الباب ٢٨٦ . و لعله سهو) . و المقصود من الحكاية هنا هو أن تأتي بالقول على ما تسمعه من غيرك بلا زيادة و لا نقصان منه (مجمع البحرين ٢٢) . و حينئذ لا قدح في الحاكي إذا نقل حكاية ما . و إذا كانت هناك جريرة فهي على المحكي ، كما نلاحظ أنّ الشريف المرتضى لا ينحي باللائمة على ابن الراوندي في نقله أقوال أهل المذاهب لأنّه نقلها على سبيل الحكاية ، بيد أنّه يعدّ الجاحظ خاطئاً لأنّه يبدي رأياً و رغبة في حكاياته (الشافي في الإمامة ١٣) .

١- مقالات الإسلاميين ٤٤٥-٤٤٦ ، و شرح المقاصد ٢ : ١٦٨-١٧٣ ، ٤٨٣ ، و كنز الفوائد ١٩-٢٩ .

٢- انظر : ص ٥١ من هذا الكتاب . ٣- مقالات الإسلاميين ٤٤٦-٤٤٧ .

٤- ص ١٢٩ و ١٥٠ من هذا الكتاب . ٥- الفهرست ١٧٦ .

٦- ص ١٨٧ . ٧- انظر : التسلسل ٣١ من كتب أبي سهل .

المذكور.

أبو جعفر محمد

(أخو أبي سهل النوبختي)

كان لأبي سهل النوبختي أخ يُعَدُّ من متكلمي الشيعة ومصنفيهم. وكان يتبع أخاه أبا سهل في علم الكلام، وله كتب أيضاً. ومن المؤسف أن صاحب الفهرست إمّا أنه لم يعثر على عناوينها، أو أنها سقطت من إحدى نسخ الكتاب المذكور، وهي النسخة التي كُتبت عليها النسخ الأخرى^١.

وهذا الرجل المترجم له هو أبو جعفر بن محمد بن علي بن إسحاق. وهو ممن صدرت بحقه توقعات من قبل سفراء الإمام المهدي عليه السلام في أيام الغيبة الصغرى^٢. وكان كأخيه أبي سهل أديباً راعياً للشعراء، كما كان من العاملين في الديوان. ونشأ الشاعر المعروف ابن الرومي غدي نعمته، ولهذا الشاعر مراسلات شعرية معه، وكان يطلب منه صلة وخلعة. ويُسْتَشَفُّ من إحدى مدائحه أن أبا جعفر كان والياً على قرية النعمان ردحاً من الزمن. ونقرأ في ديوان ابن الرومي ثلاث مقطوعات شعرية في مدح أبي جعفر النوبختي وفيها يطلب الشاعر منه خلعة. ويذكر إكرام آل نوبخت له واحترامهم لصدافته وخدمته، ويعتب فيها على أبي جعفر لأنه لم يُجِبْه عن رسائله^٣.

١- الفهرست ١٧٧.

٢- الغيبة للشيخ الطوسي ٢٧٢.

٣- انظر: ديوان ابن الرومي ١: ١٢٨ و ١٤٢ (طبعة القاهرة، ١٩٢٧م) و ١٨١، ١٨٦، ٢٠٠ (طبعة كامل الجيلاني).

الفصل السابع

أبو محمد الحسن بن موسى

(توفي بين سنة ٣٠٠ و ٣١٠ هـ)

كان عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت والد أبي سهل إسماعيل - الذي نأسف إذ ليس في أيدينا ترجمته ، و مرّت بنا في الفصل السابق ترجمة ولديه : أبي سهل إسماعيل ، و أبي جعفر محمد - رئيساً لإحدى الفروع النوبختيّة . و كان لهذا الفرع و فرع آخر مثله أحفاد إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت (بنو عمّ عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت) لواء الصيت و التّفوذ و الاقتدار ، و كانوا يخطون خطواتهم نحو هدف واحد متعاضدين .

و كان لعلّي بن إسحاق بن أبي سهل - مضافاً إلى الولدين المذكورين - بنت لانعلم من أمرهما شيئاً ، و لكن ذكرها خلد في التاريخ بسبب ابنها أبي محمد الحسن بن موسى . فهو ابن أخت أبي سهل إسماعيل ، و أبي جعفر محمد .

١ - ترجمة أبي محمد الحسن بن موسى النوبختيّ

ليس في متناول أيدينا معلومات عن والده موسى ، و لا ندرى هل كان من آل

نوبخت أم أن ولده حسنًا انتسب إلى أخواله النوبختيين فصار نوبختيًا.

و نلاحظ بين النوبختيين رجالاً يُدعى موسى، و هو أبو الحسن موسى بن الحسن بن محمد بن عباس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت، المعروف بابن كبرياء النوبختي. و هو من المنجّمين و المصنّفين، و ستأتي ترجمته قريباً. و عاش هذا الرجل في أواخر الغيبة الصغرى. و كان معاصراً لأبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب الراوي لأخبار الحسين بن روح النوبختي (المتوفى سنة ٣٢٦هـ)^١، و كان حياً برزق في سنة ٤٠٠هـ^٢.

و قد ذكر العالم المعاصر السيّد هبة الدّين الشهرستاني في مقدّمته على كتاب فرق الشيعة المنسوب إلى أبي محمد الحسن بن موسى أنّ أبا محمد النوبختي هو ابن أبي الحسن موسى بن الحسن الملقّب بابن كبرياء. و أحسب أنّه و هم في ذلك؛ إذ لم تتطرق كتب الرجال إلى هذا الأمر مع علم أصحابها بسيرة أبي محمد الحسن بن موسى، و أبي الحسن موسى بن كبرياء. و نجد أنّ جميع مؤلّفيها يعرفون أبا محمد الحسن بن موسى على أنّه ابن أخت أبي سهل. يضاف إلى ذلك أنّ البعد الزمني يضعف هذا الاحتمال؛ لأنّ أبا محمد الحسن بن موسى مات في العقد الأوّل من القرن الرابع الهجري، أي: بين سنة ٣٠٠ و ٣١٠هـ كما أجمع عليه المؤرّخون. و كان قد أمضى أكثر عمره في النصف الثاني من القرن الثالث، أي: في عهد خاله أبي سهل النوبختي، في حين أنّ أبا الحسن موسى بن كبرياء كان يعيش بعد الفترة التي تلت وكالة أبي القاسم الحسين بن روح (بين سنة ٣٠٥ و ٣٢٦هـ) و نقل قسماً من أخباره للآخرين و منهم أبو نصر هبة الله بن محمد الكاتب. و هكذا كان من رجال أواسط القرن الرابع بل وأواخره.

و يبدو أنّ أبا محمد الحسن بن موسى مؤلّف كتاب فرق الشيعة، و كتاب الآراء

١- الغيبة للشيخ الطوسي ١٩٠، ٢٤٣، ٢٥١. ٢- رجال النجاشي ٣٠٨.

و الديانات، و كتب أخرى غيرهما إنما هو كالشيخ أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي ينتسب إلى آل نوبخت من جهة الأم فحسب. و إذا كان أبوه منهم فليس بأيدينا ما يدل على ذلك كما لم يذكره أحد.

و كان المترجم له من المتكلمين، و الفلاسفة، و الأدباء، و الملمين بالعقائد و الأديان و الملل و النحل. و كان مولعاً في كسب العلوم المختلفة دأبه دأب الكثيرين من علماء عصره الجامعين. و أمضى عمره في جمع الكتب و النسخ النفيسة. و دوّن كتباً كثيرة بخطه. و كانت داره محلاً لاجتماع العلماء و الفضلاء بسبب رغبته في كسب العلم و الأدب، فكان يجتمع فيها لفيف من مترجمي الكتب القديمة كأبي عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي، و أبي يعقوب إسحاق بن حنين (المتوفى سنة ٢٩٣هـ)، و أبي الحسن ثابت بن قرة (٢٢١-٢٨٨هـ) و غيرهم، و كانوا يتباحثون في مسائل علمية متنوعة^١.

و نقل أبو محمد نفسه لثابت بن إبراهيم الصائبي (٢٨٣-٣٦٩هـ) الطبيب المعروف، فقال له: «سألت أبا الحسن ثابت بن قرة عن مسألة بحضرة قوم، فكره الإجابة عنها بمشهدهم، و كنت حديث السنّ، فدافعني عن الجواب، فقلت متمثلاً:

أَلَا مَا لَيْلِي لَا تُرَى عِنْدَ مَضْجَعِي بَلِيلٍ وَلَا يَجْرِي بِهَا لِي طَائِرُ؟
بَلَى إِنَّ عُجَمَ الطَّيْرِ تَجْرِي إِذَا جَرَتْ بَلِيلِي، وَلَكِنْ لَيْسَ لِلطَّيْرِ زَاجِرُ

فلما كان من الغد لقيني في الطريق و سرت معه، فأجابني عن المسألة جواباً شافياً، و قال: زجرت الطير يا أبا محمد؟ فأخجلني، فاعتذرت إليه، و قلت: و الله يا سيدي ما أردتُك بالبيتين^٢.

يتبين من هذه الحكاية، و خبر ثابت بن قرة و اجتماعه في آخر عمره بأبي

عثمان الدمشقيّ وإسحاق بن حنين في دار أبي محمد النوبختي أن أبا محمد قد ذاع صيته، و علا كعبه على الرغم من الفارق السنّي بينه وبين ثابت بن قرّة وأمثاله، إذ كان ثابت و نظائره في البداية لا يابهون لأبي محمد لحدائث سنّه، ثمّ أذعنوا له من خلال حضورهم في داره للبحث في المسائل العلميّة. وكان أبو محمد معاصراً لعلماء آخرين غير الذين مرّ ذكرهم، وهم: أبو الأحوص داود بن أسد البصريّ، وخاله أبو سهل إسماعيل بن عليّ (٢٣٧-٣١١هـ)، وأبو عليّ محمد بن عبد الوهاب الجبائيّ (٢٣٥-٣٠٣هـ)، وأبو القاسم عبد الله بن أحمد الكعبيّ البلخيّ (المتوفى سنة ٣١٩هـ)، وابن الراونديّ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مملّك الإصفهانيّ، وأبو جعفر محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازيّ. وأخذ العلم عن بعضهم كأبي الأحوص البصريّ، وأبي سهل إسماعيل، وتباحث مع البعض الآخر كأبي جعفر بن قبة، وابن مملّك الإصفهانيّ، وأبي القاسم البلخيّ، والجبائيّ محاوراً، ودحض عقائد بعضهم ممّا لا تنسجم والمذهب الشيعيّ.

و كان أبو محمد أكثر النوبختيّين اهتماماً بمذاهب الفلاسفة مع أنّه كان متكلماً. واستطاع أن يلخّص بعض كتب الفلسفة القديمة مضافاً إلى اختلاطه بترجميها، ومطالعة كتب أرسطو. وألّف أيضاً كتباً في تفنيد بعض آراء الفلاسفة والمناطق. وكان في الكلام كخاله أبي سهل قريباً من المعتزلة، بخاصّة معتزلة بغداد؛ لذلك نشب نزاع بين الشيعة والمعتزلة حول عقيدته وانتسابه إلى إحدى الفرقتين^١. مع هذا لاشكّ في تشيّعهُ؛ لأنّ العقائد التي دافع عنها في كتبه الكلاميّة هي عقائد الشيعة نفسها، وعقائد خاله الجليل أبي سهل النوبختيّ، يضاف إليه أنّ معظم المؤلّفين القدماء كابن النديم، والمسعودي، والأشعريّ والخطيب

البغدادي، و ابن أبي الحديد، و الذهبي، و أصحاب الرجال الشيعة ذكروه في عداد الشيعة.

٢- مؤلفات أبي محمد النوبختي

كان أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي من الأدباء و رواة الأشعار^١، كما عُدَّ أستاذاً في الكلام و الفلسفة و النجوم و المعرفة بالملل و النحل و المقالات. و أُلّف في هذه العلوم قرابة أربعين كتاباً ليس في أيدينا إلا واحد منها يحوم الشكّ حول انتسابه إليه، و هو فرق الشيعة الذي لو ثبت أنّه له، فهو أحد الكتابين المستقلّين اللذين بقيا من آل نوبخت.

و فيما يأتي أسماء مؤلفاته مع موضوع كلّ منها اعتماداً على الفهرست، و فهرست الطوسي، و رجال النجاشي، و كتب أخرى غيرها:

أ- كتبه في الإمامة

١- الجامع^٢. (فهرست الطوسي - رجال النجاشي) و هو غير موجود في الفهرست.

٢- الحُجَج. (رجال النجاشي).

٣- الردّ على الواقعة. (رجال النجاشي).

٤- الردّ على يحيى بن الأصم^٣ في باب الإمامة (رجال النجاشي).

١- الموشح للمزباني ٢٧٤.

٢- لا محالة أنّ أبا محمد النوبختي نقض في أحد كتابيه هذين كتب الجاحظ في باب الإمامة. و لما كان

المسعودي أحد ناقضي كتب الجاحظ في هذا المجال أيضاً فقد عدّ أبا عيسى الوراق و أبا محمد

النوبختي في الناقضين لكتب الجاحظ في الإمامة بلا شرح و تفصيل في هذا الباب. (مروج الذهب ٢:

١٥٨ طبعة مصر).

٣- أبو زكريّا يحيى بن الأصم من رجال الخوارج. (الملل و النحل ١٠٣).

٥ - الردّ على جعفر بن حرب المعتزليّ في باب الإمامة (رجال النجاشي).

٦ - الموضح في حروب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام (رجال النجاشي).

ب - كتبه في المسائل الكلاميّة و الفلسفيّة

٧ - اختصار كتاب الكون و الفساد لأرسطو (الفهرست ، و رجال النجاشي).

و كتاب أرسطو هذا ترجمة حنين بن إسحاق من اليونانيّة إلى السريانيّة ، و عزّبه اثنان من معاصري أبي محمّد النوبختيّ و أصدقائه ، هما : إسحاق بن حنين ، و أبو عثمان الدمشقيّ . و في أقرب الاحتمالات اختصر أبو محمّد النوبختيّ ترجمة أحدهما ، إذ لم يرد في كتاب من الكتب أنّ أياً محمّد كان يعرف اليونانيّة حتّى يكون قد اختصر الكتاب المذكور من النصّ اليونانيّ .

٨ - الحجج الطبيعيّة المستخرجة من كتب أرسطو في ردّ من زعم أنّ السماء حيّة

و ناطقة .

كان لهذه العقيدة أنصارها بين عدد من الفلاسفة الدهريّين و أصحاب الفلك و النجوم . قال صاحب تبصرة العوامّ في هذا المجال نقلاً عنهم : « قيل : الكواكب ترى كلّ ما فوقها ، و ترى العلّة الأولى . و إنّ حركة الكواكب في الأفلاك تامّة و دائمة ، و كلّها حيّة ، و لا سبيل للتغيير إليها ، و هي ذات حياة واحدة . و قيل : المشتري فاعل العالم الأرضيّ و مدبّره بقوة فيه من العلّة الأولى . و يقولون : الكواكب و الأرض عاقلة . و الشمس و جملة الكواكب ترى و تسمع ما تحتها . و الأرض تحسّ ، و تسمع ، و ترى ، و تشرب و إن كانت ليست مثلنا^١ . و ذكر أبو محمّد النوبختيّ قول هذه الفرقة أيضاً في كتابه الآخر الآراء و الديانات . و أورد ابن الجوزيّ قسماً منه في كتاب تليس إبليس نقلاً عن الكتاب المذكور^٢ .

١ - تبصرة العوامّ ٣٦٠ : الفصل في الملل و الأهواء و النحل ٣٦ : ٣٧ .

٢ - تليس إبليس ٨٢ - ٨٣ .

- ٩ - الأرزاق والآجال والأسعار^١ (رجال النجاشي).
 - ١٠ - الاستطاعة على مذهب هشام بن الحكم. و يتفق أبو محمد النوبختي معه في هذا الباب أيضاً^٢. (رجال النجاشي).
 - ١١ - الاعتبار والتمييز والانتصار (رجال النجاشي).
 - ١٢ - كتاب في باب الإنسان^٣ (فهرست الطوسي - رجال النجاشي).
 - ١٣ - التنزيه و ذكر متشابه القرآن (رجال النجاشي).
 - ١٤ - حدث العالم^٤ (الفهرست - فهرست الطوسي - تاريخ الإسلام).
 - ١٥ - التوحيد الصغير (رجال النجاشي).
 - ١٦ - التوحيد الكبير (رجال النجاشي - الفهرست - فهرست الطوسي).
 - ١٧ - كتاب كبير في باب جزء لا يتجزأ (رجال النجاشي).
- ألف المتكلمون البحث في باب «جزء لا يتجزأ»^٥ منذ الوقت الذي ترجمت فيه الكتب اليونانية إلى العربية، وانتشرت بين الناس مقالات الفلاسفة القدماء كديمقراطيس^٦، و ابيقورس^٧. و أول من أجهر برأيه في هذا المجال هو المتكلم

١ - للتعرف على تفصيل هذا الموضوع انظر: مقالات الإسلاميين ٢٥٦-٢٥٨؛ الملل والنحل ٣٦؛ الفرق بين الفرق ٣٣٠-٣٣١؛ شرح نهج البلاغة ١: ٤٥٦؛ إرشاد الطالبين ١٤٢-١٤٦؛ شرح المقاصد ٢: ١٦٠-١٦٣؛ بحار الأنوار ج ٣ و غيرها.

٢ - انظر: مقالات الإسلاميين ٢٢٩ فما بعدها؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣: ٢٦-٤٢؛ كثر الفوائد ٤٠-٤٨؛ و للاطلاع على مذهب هشام في هذا الحقل، انظر: مقالات الإسلاميين ٤٢-٤٣؛ الملل والنحل: ١٤١.

٣ - ص ١٣٠ من هذا الكتاب؛ مقالات الإسلاميين ٤٢-٤٣؛ إرشاد الطالبين ١٨٦-١٩٠.

٤ - هذا الكتاب و كتاب التوحيد وردا معاً في الفهرست ١٧٧ و فهرست الطوسي ٩٩. (طبع كتاب حدث العالم في الفهرست: حدث الملل (؟) سهواً) بيد أن الذي يستفاد من تاريخ الإسلام للذهبي (f01. 45a) أنه كتاب مستقل.

الشيعة المعروف أبو محمد هشام بن الحكم فكان يقول تبعاً للفلاسفة القدماء :
الجزء يتجزأ أبداً ، و لا جزء إلا وله جزء ، و ليس لذلك آخر إلا من جهة المساحة ،
و أن لمساحة الجسم آخر ، و ليس لأجزائه آخر من باب التجزؤ^١ .

و أقر النظام المعتزلي هذا الرأي أيضاً و تبع هشام بن الحكم في هذه المقالة^٢ .
بيد أن متكلمي الشيعة لم يقرّوا به جميعاً ، فكان لفرقة منهم رأي يخالف هشاماً
و الفلاسفة القدماء و النظام . و هو أن لأجزاء الجسم غاية من باب التجزؤ ، و له
أجزاء معدودة لها كل و جميع ، و لورفع الباري كل اجتماع في الجسم لبقيت
أجزاؤه لا اجتماع فيها و لا يحتمل كل جزء منها التجزؤ^٣ .

و نحتمل بعامة أن أبا محمد النوبختي الذي كان ملماً بمقالات الفلاسفة
و مشربهم ، و كان يحذو حذو هشام في بعض العقائد قد ذكر في كتابه هذا مقالات
الناس المختلفة في حقل «الجزء لا يتجزأ» ، و دافع عن عقيدة هشام في هذا
السياق .

١٨ - مختصر الكلام في باب الجزء (رجال النجاشي) .

١٩ - الخصوص و العموم^٤ (رجال النجاشي) .

٢٠ - الردّ على أصحاب المنزلة بين المنزلتين في باب الوعيد . (رجال النجاشي) .

٢١ - إنكار رؤية الباري تعالى و الردّ على من ظنّ ذلك ممكناً^٥ . (رجال النجاشي) .

تاريخ الإسلام) .

٢٢ - كتاب في المرايا وجهة الرؤية فيها (رجال النجاشي) .

١ - مقالات الإسلاميين ٥٩ . ٢ - الفرق بين الفرق ٥٠ و ١١٣ .

٣ - مقالات الإسلاميين ٥٩ : الفصل في الملل و الأهواء و النحل ٥ : ٩٣-١٠٨ : شرح الإشارات
للخواجة الطوسي ، النمط الأول : شرح المقاصد ١ : ٢٩٣-٣١٣ ؛ و غيرها .

٤ - مقالات الإسلاميين ٤٤٥-٤٤٦ : عدّة الأصول للشيخ الطوسي ١٣١-١٥٢ .

٥ - انظر : مقالات الإسلاميين ٢١٣-٢١٧ .

٢٣ - الردّ على أبي عيسى الورّاق و نقض كتابه الغريب المشرقي^١.
(فهرست الطوسي).

٢٤ - الردّ على أهل التعجيز^٢. و هو نقض كتاب أبي عيسى الورّاق^٣ (رجال النجاشي).

٢٥ - الردّ على أبي الهذيل العلاف في باب نعيم أهل الجنة^٤ (رجال النجاشي - تاريخ الإسلام).

٢٦ - نقض على أبي الهذيل العلاف في باب المعرفة^٥ (رجال النجاشي).

١- ص ١١٣ من هذا الكتاب.

٢- التعجيز نسبة المعجز إلى الله تعالى. و أهل التعجيز عند المخالفين هم الذين كانوا يرون أنّ الله تعالى قادر على الجواهر فحسب لا على الجواهر والأعراض معاً. و كان أبو عمرو معمر بن عبّاد السُلَمي المعاصر لإبراهيم النّظام و العلاف و هو من المعتزلة يقول بهذه العقيدة. (مقالات الإسلاميين ١٩٢ و ٥٤٨: و كتاب التعريفات ٩٧) و كان معمر يزعم أيضاً أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق شيئاً من الألوان و لا طولاً و لا عرضاً و لا طمعاً و لا رائحة و لا خشونة و لا إملاساً و لا حسناً و لا قبيحاً و لا صوتاً و لا قوّة و لا ضعفاً و لا موتاً و لا حياة و لا نشوراً و لا مرضاً و لا صحّة و لا عافية و لا سقماً و لا عمىً و لا بكماً و لا بصراً و لا سمعاً و لا فضاحةً و لا فساداً للثمار و لا صلاحها، و أنّ كلّ ذلك فعل الأجسام التي وجدت فيها هذه الأعراض بطباعها. و توافقه الدهريّة في قولهم بوجود أشياء لا نهاية لها (الفصل في الملل و الأهواء و النحل ٤: ١٩٤). و مع أنّ ابن الراونديّ كان يطعن على كثير من عقائد معمر، لكنّه كان يوافقه في «أفعال الطباع» و كان مثله يقول: إنّ حركات الفلك و كلّ ما اشتمل عليه الفلك من ذي حركة أو سكون و تأليف و افتراق و مماسةً و مباينة فعل غير الله. (الاتصار ٥٤). و نحتمل بعامة أنّ أبا عيسى الورّاق كان كابن الراونديّ يشترك مع معمر في بعض هذه العقائد. و ألف كتاباً في هذا المجال نقضه أبو محمد.

٣- انظر: ص ١٠٧ من هذا الكتاب.

٤- حول خلاف المتكلّمين في «نعيم أهل الجنة» و رأي العلاف في ذلك، انظر: الملل و النحل ٣٥، و تبصرة العوالم ٤٣٠؛ و مقالات الإسلاميين ٤٧٥؛ و الفرق بين الفرق ١٠٢، و غيرها.

٥- للتعرف على خلاف المتكلّمين في باب المعارف، يُنظر: الفصل ٥: ١٠٨-١١٩. و للاطلاع على رأي العلاف في هذه المسألة يُنظر: كتاب الفرق بين الفرق ١١١-١١٢. و لمعرفة رأي الحسن بن موسى النوبختي، انظر: مقالات الإسلاميين ٥٢.

٢٧- نصره مذهب عمر بن عبّاد و الاحتجاج فيه ^١ (الفهرست - فهرست الطوسي).

٢٨- كتاب في خبر الواحد و العمل به ^٢ (رجال النجاشي).

ج - مناظراته و مسائله مع معاصريه

٢٩- أجوبته لأبي جعفر بن قبة ^٣ (رجال النجاشي).

٣٠- أجوبته الأخرى له (رجال النجاشي).

٣١- ردّ على الردّ الذي كان أبو عليّ الجبائيّ قد كتبه على المنجمين. قال

النجاشي: تجاهل أبو عليّ الجبائيّ في ردّه ^٤. و كان السيّد ابن طاووس يقتني هذا الكتاب ^٥.

٣٢- مسائله مع الجبائيّ في موضوعات مختلفة (رجال النجاشي).

١- لم أفق على عمر بن عبّاد رغم بحثي الكثير، و أظنّ أنّ تحريفه جاء من جهل النسخ. و المقصود هنا هو أبو عمرو معمر بن عبّاد السلميّ المعتزليّ المعروف الذي حرّف الناسخون اسمه في بعض الكتب أيضاً كما في إرشاد الطالبين ١٨٧. و قد دار الحديث فيه حول معمر و رأيه الخاصّ في الإنسان، لكنّ اسمه طُبِعَ محرّفاً بالشكل الآتي: عمر بن عبادة السلميّ المعتزليّ. و ذلك المذهب المذكور هو من مذاهب معمر الذي دافع عنه النوبختي. و يبدو أنّه يمثل رأيه في الإنسان، الذي كان عليه معظم متكلمي الشيعة تبعاً له و لجمهور المعتزلة و الفلاسفة. و منهم أبو إسحاق بن نوبخت مؤلف الياقوت، و أبو سهل النوبختي، و الشيخ المفيد، و الشريف المرتضى، و الخواجه نصير الدين الطوسي، و العلامة الحليّ. و لعلّ احتجاج أبي محمّد النوبختيّ هذا في نصر رأي معمر كان أحد الأسباب التي أدّت إلى عدّه معتزليّاً. للتعرف على مقايضة بين رأي معمر، و متكلمي الشيعة انظر: مقالات الإسلاميين ٣٣١-٣٣٢، و أنوار الملوك للعلامة الحليّ، و إرشاد الطالبين ١٨٧.

٢- حول خبر الواحد انظر: الانتصار ٥٢-٥٣، و التعريفات ٤٣، و مفاتيح العلوم للخوارزمي ٧. و حول شروط العمل به حسب عقيدة علماء الإمامية انظر: بحار الأنوار ١: ١٩٨-١٩٩؛ و عدّة الأصول ٤٠-٦٣؛ و رجال الاسترآبادي ١-٣؛ و روضات الجنّات ٥٦١ و ٥٩٠؛ و تبصرة العوام ٤٢٨.

٣- انظر: ص ١٢١ في هذا الكتاب. ٤- رجال النجاشي ٤٧.

٥- بحار الأنوار ١٤: ١٤٣.

- ٣٣- ردّ على المنجمين (رجال النجاشي).
 ٣٤- ردّ على ثابت بن قرة^٢ (رجال النجاشي).
 ٣٥- شرح مجالسه مع أبي عبد الله بن مُملّك^٣ (رجال النجاشي).
 ٣٦- مجالسه مع أبي القاسم البلخي (رجال النجاشي).

د-كتبه في الملل والنحل

- ٣٧- فرق الشيعة (رجال النجاشي - الفصول للشریف المرتضى - منهاج السنة).
 ٣٨- الآراء و الديانات (فهرست الطوسي - الفهرست - مروج الذهب - تاريخ الإسلام - شرح نهج البلاغة - معجم الأدباء - منهاج السنة).
 ٣٩- الردّ على أصحاب التناسخ (الفهرست - فهرست الطوسي).
 ٤٠- الردّ على الغلاة (رجال النجاشي - فهرست الطوسي^٤ - تاريخ بغداد).

- ١- حول خلاف المنجمين و ردّ أقوالهم من قبل المتكلمين، انظر: شرح نهج البلاغة ٢: ٧٢-٧٥؛ و بحار الأنوار ١٤: ١٣٨-١٤٠؛ و كتاب الياقوت لأبي إسحاق التوبختي و شرحه للعلامة الحلّي.
 ٢- يبدو أنّ ناصر خسرو قال في ردّ عقيدته التي ترى أنّ الأفلاك و الكواكب حيّة ناطقة. و كان أبو محمد التوبختي قد ألف كتاباً آخر في هذا المجال أيضاً: إنّ ثابت بن قرة الحرّاني الذي ترجم الكتب الفلسفيّة من اللغة اليونانيّة إلى اللغة العربيّة برهن على أنّ الأفلاك و الكواكب حيّة ناطقة. و قال: إنّ للنّاس حياة. و قوام الكلام أنّ جسد الإنسان أشرف الأجساد حلّت فيه أشرف الأنفس، و تلك النفس حيّة ناطقة. و هذه مقدّمة صادقة. ثمّ قال: و إنّ للأفلاك و الأنجم أجساداً هي في غاية الشرف و اللطافة و في ذروة النظافة و الطهارة، و هذه مقدّمة صادقة أخرى. و نتيجة هاتين المقدّمتين أنّ للأفلاك و الأنجم نفساً ناطقة. و هي حيّة ناطقة. و البرهان الذي أقامه هذا الفيلسوف هو أنّ ملائكة الأفلاك و الكواكب حيّة ناطقة». ديوان ناصر خسرو ٥٧٢، طبعة مكتبة طهران.
 ٣- أبو عبد الله محمد بن عبد الله مُملّك الإصفهانيّ أحد متكلمي الشيعة الكبار و من معاصري أبي عليّ الجبائيّ كان معتزليّاً، ثمّ تشيع. و له كتب في الإمامة و المسائل الكلاميّة الأخرى. (الفهرست ١٧٧؛ فهرست الطوسي^{٣٦٩}؛ و رجال النجاشي^{٢٦٩}؛ و مقالات الإسلاميين ٣٥٨).
 ٤- ورد عنوان الكتابين الردّ على التناسخيّة و الغلاة في فهرست الطوسي ٩٩ معاً. و لكن يستفاد من

- ٤١ - الردّ على فرق الشيعة إلا الإمامية (رجال النجاشي).
 ٤٢ - الردّ على أهل المنطق (رجال النجاشي - تاريخ الإسلام).
 ٤٣ - الردّ على المجسّمة (رجال النجاشي).

كتاب الردّ على الغلاة

هذا كتاب أبي محمّد النوبختي في تقرير مقالات الغلاة و ردّهم^١. نقل الخطيب البغدادي شيئاً منه عند ترجمة أبي يعقوب إسحاق بن محمّد بن أحمد بن أبان النخعي الأحمر الكوفي (المتوفى سنة ٢٨٦هـ) رئيس الفرقة الإسحاقية التي كانت من فرق الغلاة. وكان معاصراً لأبي محمّد النوبختي. واقتبس ابن الجوزي في تليس إبليس، وابن كثير في البداية و النهاية خلاصة للموضوعات التي نقلها الخطيب من الكتاب المذكور.

وكان إسحاق بن محمّد النخعي الكوفي أبرص، و سمّي بالأحمر لأنّه كان يطلي البرص بما يغيّر لونه. و كان هو و أصحابه الإسحاقية الذين كان يسكن جماعة منهم بالمدائن في عهد الخطيب البغدادي يعتقدون بألوهية الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. و ألّف إسحاق الذي كان يعدّ من المتكلّمين كتباً تدور حول عقائده، منها: كتاب الصراط^٢.

يقول الخطيب البغدادي: «... ثمّ وقع إليّ كتاب لأبي محمّد الحسن بن يحيى

→ الفهرست، و رجال النجاشي، و تاريخ بغداد، و تاريخ الإسلام أنّ كتاب الردّ على الغلاة كتاب مستقل.

١- كان المسعودي يقتني هذا الكتاب و ذكر أنّ اسمه هو الردّ على الغلاة و غيرهم من الباطنية (التشيه و الاشراف ٣٩٦).

٢- تاريخ بغداد ٦: ٣٧٨-٣٨١؛ و الملل و النحل ١٤٥؛ و الفصل ٤: ١٨٦؛ و رجال النجاشي ٥٣؛ و تليس إبليس ١٠٣؛ و البداية و النهاية (وقائع سنة ٢٨٦هـ).

النوبختي^١ من تصنيفه في الردّ على الغلاة. و كان النوبختي هذا من متكلمي الشيعة الإمامية، فذكر أصناف مقالات الغلاة، إلى أن قال: «وقد كان ممّن جوّد الجنون في الغلوّ في عصرنا: إسحاق بن محمد المعروف بالأحمر. و كان ممّن يزعم أنّ عليّاً هو الله، و أنّه يظهر في كلّ وقت، فهو الحسن في وقت الحسن، و كذلك هو الحسين، و هو واحد. و أنّه هو الذي بعث محمّداً ﷺ. و قال في كتاب له: لو كانوا ألفاً لكانوا واحداً. و كان راوية للحديث. و عمل كتاباً ذكر أنّه كتاب التوحيد، فجاء فيه بجنون و تخليط لا يُتوهّمان، فضلاً من أن يدلّ عليهما. و كان ممّن يقول: باطن صلاة الظهر محمّد ﷺ لإظهاره الدعوى. قال: و لو كان باطنها هو هذه النبي هي الركوع و السجود، لم يكن لقوله: «إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر» معنى؛ لأنّ النهي لا يكون إلّا من حيّ قادر».

و قال الخطيب بعد نقل كلام كتاب الردّ على الغلاة: «قد أورد النوبختي عن إسحاق في كتابه ممّا كان يرويه احتجاجاً لمقالته أشياء أقلّ منها يوجب الخروج عن الملة^٢».

كتاب الآراء و الديانات

و هو من أشهر كتب أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي و أكبرها و أنفسها. و من سوء الحظ أنّه مفقود. و موضوع هذا الكتاب شرح لمقالات الملل و النحل القديمة، و عقائد الفرق الدينية و آرائها، و المذاهب الفلسفية للمسلمين. و نقل النجاشي أنّه كتاب كبيرٌ حسنٌ يحتوي على معلومات كثيرة. و قد قرأه على الشيخ المفيد، و أجازة الشيخ في روايته عنه^٣. بيّد أنّ ابن النديم، و الشيخ

١- ذكر الخطيب أنّ اسم والد أبي محمد يحيى، في حين أجمع المؤرّخون و أصحاب كتب الرجال على أنّ اسمه موسى. و لعلّ الخطيب سها في هذا المجال أو أنّ يحيى كان اسماً لأحد أجداد أبي محمد.

٢- رجال النجاشي ٤٦.

٣- تاريخ بغداد ٦: ٣٨٠-٣٨١.

الطوسي، و الذهبي نقلوا أَنَّ أبا محمد لم يُتِمَّه^١.

و كان أبو محمد النوبختي من رجال النصف الثاني من القرن الثالث و أوائل القرن الرابع. و عصره كان عصر غليان الأفكار و الآراء المتنوعة، و مناظرات الفرق المختلفة و احتجاجاتها. و في تلك الفترة جمع بعض المتكلمين من شتى الفرق الكتب التي تدور حول آراء المذاهب و الملل و مقالاتها. و كانوا يدحضون آراء الفرق الأخرى و ينقضونها في سياق الدفاع عن عقائدهم. و كان قصب السبق يومئذ للمعتزلة أيضاً^٢، و أشهرهم:

يمان بن رباب الخارجي صاحب كتاب المقالات^٣، و زُرْقَانِ المعتزلي^٤ تلميذ إبراهيم بن سيار النظام صاحب كتاب المقالات، و محمد بن شبيب^٥ صاحب

١- الفهرست ١٧٧؛ و فهرست الطوسي ٩٩؛ و تاريخ الإسلام للذهبي f. 45 a (نسخة المكتبة الوطنية بباريس).
٢- مجموعة رسائل ابن تيمية ١: ٣٤٩.

٣- التنبيه والإشراف ٣٩٥؛ و الفهرست ١٨٢؛ و مقالات الإسلاميين ١١٩ و ١٢٠، و نقل فقرتين من كتابه المذكور؛ و الملل و النحل ١٠٣؛ و غيرها.

٤- كان زرقان من مشاهير المعتزلة، و من طبقة أبي جعفر الإسكافي، و الجاحظ، و جعفر بن مبشر. و كتابه من أشهر الكتب في الملل و النحل. و نقل منه كثيراً معظم المؤلفين بعده كالأشعري، و المقدسي، و أبي منصور البغدادي، و ابن حزم، و الشهرستاني، و ابن أبي الحديد. و شرّحه المتكلم المعتزلي المعروف أبو القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي. و شرّحه هذا كان يعدّ من أهمّ الشروح في هذا المجال. و نقل معظم المؤلفين أكثر موضوعاته في كتبهم. و كان لأحد مصنفَي غلاة الشيعة - و هو أبو القاسم علي بن أحمد الكوفي المتوفى سنة ٣٥٢هـ - كتاب بعنوان تحقيق ما ألفه الكعبي في المقالات (رجال النجاشي ١٨٨) و من سوء الحظّ أنّه ضاع - كما يبدو - ككثير من كتب المقالات. بيد أنّ كتاباً آخر له بعنوان الاستغاثة في بدع المحدثّة أو الإغاثة في بدع الثلاثة - و هو في البدع المنسوبة إلى الخلفاء الثلاثة - ما زال في متناول أيدينا.

٥- أبو بكر محمد بن عبد الله بن شبيب البصري من شيوخ المعتزلة كان يقول بالإرجاء، لذلك عُذّ من المرجئة القدريّة (التنبيه والإشراف ٣٩٥؛ الملل و النحل ١٠٣؛ مقالات الإسلاميين ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٩؛ الأنساب f. 329 b و غيرها).

النظام، وعباد بن سليمان الصيمري^١ صاحب هشام بن عمرو الفوطي، و محمد بن عيسى بُرغوث^٢. و هو من تلاميذ الحسين بن محمد النجار، و أبو عيسى محمد بن هارون الورّاق^٣، و أحمد بن الحسن بن سهل المصمعي^٤ المعروف بابن أخي زرقان، و أبو القاسم الكعبي البلخي الذي شرح مقالات زرقان، و أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ الأكبر^٥، و أبو محمد عبد الله بن محمد الخالدي^٦، و أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري صاحب كتاب مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين^٧، و غيرهم. و هؤلاء إما أنهم كانوا معاصرين لأبي محمد النوبختي أو أنهم سبقوه بقليل. و رأى أبو محمد أكثر كتبهم أو طالعها، ثم جمع كتابه الكبير في الآراء و الديانات، فاشتهر هذا الكتاب و سرعان ما غدا مرجعاً. بخاصة أن مؤلفه كان من

١- عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة، من طبقة زرقان، و أبي جعفر الإسكافي، و الجاحظ، و غيرهم (شرح نهج البلاغة ٤: ١٥٩؛ الانتصار ٩١، ٢٠٣؛ الفصل في الملل و الأهواء و النحل ٣: ٥٤؛ التنبيه و الإشراف ٣٩٥؛ الفرق بين الفرق ١٤٧، ١٤٨، ٢٦١).

٢- أبو عيسى محمد بن عيسى الملقب ببرغوث من أصحاب الحسين بن محمد النجار المعروف و أتباعه. و غالباً ما كتب النشاخ اسمه: محمد بن عيسى بن غوث. و هذا سهو لأنه كان بانياً لمذهب من فروع النجارية، و يسمى أصحابه: البرغوثية (انظر: الملل و النحل ١٩، ٦٣، ١٠٣. و الانتصار ١٣٣-١٣٤. و مقالات الإسلاميين ٢٣٥ و ٢٨٤؛ و التنبيه و الإشراف ٣٩٦؛ و الفرق بين الفرق ١٩٧؛ و شرح نهج البلاغة ١: ٢٩٥؛ و منهاج السنة ١: ٢٥٦).

٣- انظر: ص ١١٢-١١٣ من هذا الكتاب.

٤- ورد اسم هذا الشخص بالشكل المذكور أعلاه في كتاب التنبيه و الإشراف المطبوع، ص ٣٩٦. ولعله المسمعي المتكلم الذي كان يعيش قبل أبي بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣٢٠هـ، أو كان معاصراً له. و نقض الرازي المذكور. بعض كتبه. (الفهرست ٣٠٠ و ٣٠١؛ القفطي ٢٧٤ و ٢٧٥).

٥- انظر: ذيل ص ١٢٧ من هذا الكتاب؛ و وفيات الأعيان ١: ٢٨٥.

٦- أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الخالدي من المرجئة القدرية كمحمد بن شبيب البصري. (الملل و النحل ١٠٣؛ الفرق بين الفرق ١٩ و ٩٦؛ التنبيه و الإشراف ٣٩٦).

٧- و كان له كتاب آخر بعنوان مقالات غير الإسلاميين. و هو أكبر من كتابه مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين. و يدور حول مقالات الفلاسفة غير المسلمين (منهاج السنة ٣: ٧٢).

المتكلمين و الكتاب الفيلسفيين على مذهب الإمامية، في حين أن المؤلفين المذكورة أسماؤهم سلفاً لم ينتسبوا إلى الإمامية إلا أبا عيسى الوراق الذي ذكر عنه الشريف المرتضى أنه سعى كثيراً في تقرير عقائد الثنوية، و لذلك نُسب إلى الزندقة أيضاً.

و كان المؤرخ الأديب المتكلم الكبير أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي يقتني كتاب الآراء و الديانات، و نقل منه في مروج الذهب^١. و هو نفسه كان معاصراً لأبي محمد النوبختي، و له كتاب بعنوان المقالات في أصول الديانات.

و بلغت شهرة كتاب أبي محمد النوبختي في الملل و النحل و الآراء و الديانات أنه صار - مثله في ذلك مثل كتب زُرْقَان، و الوراق، و الكعبي - أحد الكتب المهمة في هذا الموضوع. و أصبح مؤلفه قدوة تامة في هذا العلم^٢.

و كان المؤلفون بعد أبي محمد النوبختي يقتنون كتابه كالمسعودي، و ابن الجوزي، و ابن أبي الحديد، و أوردوا منه في كتبهم^٣. و من حسن الحظ أن ابن الجوزي نقل أكثر من غيره. و يمكن أن نتعرف على محتويات كتاب الآراء و الديانات من خلال ما نقله ابن الجوزي. و فيما يأتي خلاصة للموضوعات المنقولة منه في مروج الذهب، و تليّس إبليس، و شرح نهج البلاغة:

١ - عقائد السوفسطائية و الدهرية (تليّس إبليس ٤٢، ٤٣).

٢ - عقائد الثنوية (تليّس إبليس ٤٧؛ شرح نهج البلاغة ١: ٢٧)

٣ - عقائد فلاسفة اليونان (تليّس إبليس ٤٨-٤٩).

١- مروج الذهب ٧: ١٥٧-١٥٨، الطبعة الأجنبية؛ التنبيه و الإشراف ٣٩٦.

٢- معجم الأدباء ٢: ٢٧٩.

٣- مروج الذهب ٧: ١٥٧-١٥٨، و التنبيه و الإشراف ٣٩٦، و تليّس إبليس ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٩، ٦٩.

٧٤، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٨، ٩١، و شرح نهج البلاغة ١: ٢٧، ٢٩٥، ٢٩٦. و ذكره ابن تيمية مراراً في

منهاج السنة (١: ١٦، ٢٠٣، ٣: ٧٢).

٤ - مذاهب الهند و آراؤها (مروج الذهب ٧ : ١٥٧-١٥٨ ؛ تليس إبليس ٦٩ ، ٧٤) .

٥ - مذاهب الصابئين و المجوس (تليس إبليس ٧٩ ، ٨١) .

٦ - آراء المنجمين و أصحاب الفلك (تليس إبليس ٨٢) .

٧ - عقيدة جهنم بن صفوان (تليس إبليس ٨٨) .

٨ - مذهب هشام بن الحكم في التشبيه و التجسيم (تليس إبليس ٩١ ؛ شرح نهج البلاغة ١ : ٢٩٥) .

٩ - عقائد مقاتل بن سليمان ، و نعيم بن حماد ، و داود الجواربي من متكلمي الشيعة (تليس إبليس ٩١) .

١٠ - عقيدة الفلاسفة الروافضيين (شرح نهج البلاغة ١ : ٢٩٦) .

و يستبين من ملاحظة هذه المعلومات الباقية من كتاب الآراء و الديانات أنَّ المؤلف الفاضل اهتم بجميع الآراء و العقائد و الأهواء و النحل . و وصف في كتابه هذا فلاسفة اليونان ، و الدهريين ، و المنجمين ، و البراهمة ، و عقائد المتكلمين و الملل الإسلامية . و نأسى عظيم الأسى حقاً إذ ضاع هذا الكتاب الثمين الذي كان من أقدم الكتب الإسلامية في باب الملل و النحل ، و لعلّه أقدم كتاب جامع للإمامية في هذا الباب ، بخاصة أنَّ مؤلفه كاتب ضليع و متكلم فلسفيّ المشرب .

كتاب فرق الشيعة

و هو أشهر كتب أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي . و يدور حول موضوع افتراق الشيعة فرقاً متعدّدة كالغلاة ، و الزيدية ، و الإمامية ، و حول مقالاتهم المختلفة . و لهذا الكتاب أهميّة خاصّة من الوجهة التاريخية ، و من حيث اشتها

مؤلفه الذي كان من متكلمي الشيعة أولي المشرب الفلسفي، و أفاد منه المؤلفون بعده كثيراً.

و كان بين مصنفي الشيعة أو المنسوبين إليهم - ممن سبق أبا محمد بخمسين سنة أو جاء بعده بخمسين سنة - رجال كتبوا حول فرق الشيعة أو مقالاتهم أو ما يقرب من ذلك. و يلاحظ في كتب المؤلفين المتأخرين ذكرهم أو ذكر بعض منقولاتهم أحياناً، و أشهر هؤلاء هم:

١ - أبو عيسى محمد بن هارون الوراق (المتوفى سنة ٢٤٧هـ) المتكلم المعروف. و قد مرّت ترجمته. و هو صاحب كتاب اختلاف الشيعة^١.

٢ - أبو القاسم نصر بن صباح البلخي من الغلاة، و من شيوخ رواية أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي صاحب كتاب الرجال، و أبي النضر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي (كلاهما من رجال النصف الأول من القرن الرابع). صنّف كتاباً بعنوان فرق الشيعة^٢. و نقل الكشي عنه مقالات الشيعة مراراً.

٣ - أبو طالب عبد الله بن أحمد الأنباري المتوفى سنة ٣٥٦هـ، و هو صاحب كتاب يحمل نفس العنوان: فرق الشيعة^٣.

٤ - أبو المظفر محمد بن أحمد النعمي صاحب كتاب المبهجة في فرق الشيعة و أخبار آل أبي طالب^٤.

٥ - سعد بن عبد الله بن أبي خلف النميري الأشعري القمي المتوفى سنة ٢٩٩هـ أو سنة ٣٠١هـ. كان من أخباري الشيعة و محدّثهم. و له الكتاب المشهور بصائر الدرجات. و هو من شيوخ رواية محمد بن جعفر بن قولويه، و أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه (والد الشيخ الصدوق، و المتوفى سنة

١ - رجال النجاشي ٢٦٣.

٢ - نفسه ٣٠٢.

٣ - نفسه ٦٢.

٤ - نفسه ٢٨١.

(٥٣٢٩هـ).

وكان المترجم له مصدراً لرواية عدد من أخبار الإمامية المهمة، ومؤلفاً لبعض الكتب المعتمدة. وله كتاب في تاريخ فرق الشيعة المختلفة ومقالاتهم، وورد ذكره في رجال النجاشي باسم فرق الشيعة^١، وفي فهرست الطوسي باسم مقالات الإمامية^٢. وكان العلامة المجلسي يفتنيه. وذكره بعنوان مقالات الإمامية والفرق وأسمائها وصنفها وقال: نقل منه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة، والنجاشي في رجاله^٣. وقامت المطبعة الحكومية بأسطنبول سنة ١٩٣١م بطبع كتاب بعنوان فرق الشيعة بتصحيح المستشرق الألماني هلموت ريتزر^٤، وعلى نفقة جمعية المستشرقين الألمان^٥. وصدر الكتاب بمقدمة في ترجمة أبي محمد النوبختي بقلم السيد هبة الدين الشهرستاني أحد مشاهير علماء الشيعة في العراق. ويحتوي الكتاب الذي طبع طبعة نفيسة على ١٣٤ صفحة من القطع الوزيري، عشر منها دليل الموضوعات، وثلاثون تضم مقدمة وجدولاً في شجرة نسب آل أبي طالب. وهذا الكتاب هو الكتاب الرابع الذي يطبع في سلسلة «نشریات إسلامية»^٦ بجهود ريتزر. أما الثلاثة الأولى فهي كتاب مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري بجزءيه. وقد صدر الجزءان. والثالث هو دليل هذين الجزئين وتوضيحاتهما، ولم يطبع بعد.

وطبع هذا الكتاب اعتماداً على مخطوطتين: الأولى ناقصة تعود إلى أ. ج. إليس^٧ أمين مكتبة الفرع الشرقي في المتحف البريطاني. والثانية كاملة وتعود إلى

١- رجال النجاشي ١٢٦. ٢- فهرست الطوسي ١٥٣.

٣- كشف الحجب والأستار ٥٤٢؛ بحار الأنوار ١: ٧، ١٣ (الطبعة الأولى).

4 - Hellmut Ritter.

5 - Deutsche Morgenl ndische Gesellschaft.

6 - Bibliotheca Islamica.

7 - A. G. Ellis.

مكتبة المرحوم الميرزا حسين النوري^١. و نسب الناشر المحترم، و السيّد شهرستانيّ هذا الكتاب إلى أبي محمّد النوبختيّ في حين أنّ اسم المؤلّف و عنوان الكتاب غير مذكورين فيه. و إنّما أورد كاتب النسخة العائدة إلى إليّس في ظهرها ما نصّه: «فيه مذاهب فرق أهل الإمامة و أسماؤها و ذكر مستقيهما من سقيهما و اختلافها، تأليف أبي محمّد الحسن بن موسى النوبختيّ». و عندما استنسخ علماء العراق من مخطوطة مكتبة المرحوم الميرزا النوريّ نسخاً مختلفة ظنّوا أنّ هذا الكتاب هو فرق الشيعة للنوبختيّ، و تداولوه بينهم بهذا العنوان. فهل يكفي القاسم المشترك في الموضوع بين النسخة المطبوعة الموجودة و بين محتويات الكتاب لنعدّه للنوبختيّ مع وجود النسخ الجديدة للكتاب، و من ثمّ نجزم بأنّ الكتاب له، و ليس لمؤلّف آخر بهذا الاسم، و له كتب في هذا الموضوع؟ و لا يسعنا أن نظمّن إلى صحّة هذه النسخة للأسباب التي سنذكرها، بل نحتمل أنّ الكتاب الموجود هو في الأصل مخطوطة أبي القاسم سعد بن عبد الله الأشعريّ القميّ التي كان يفتنيها العلامة المجلسيّ أيضاً، و ليس كتاب النوبختيّ.

زرتُ العلامة الفاضل الميرزا فضل الله شيخ الإسلام و أخاه العالم الميرزا أبو عبد الله في زنجان صيف ١٩٣١م، و هما من الشخصيّات الرفيعة و العلماء أوّلي البصيرة في عصرنا حقّاً. و أمضيت فترة قليلة في تلك المدينة، و أفدت منهما، و رأيت نسخة من كتاب فرق الشيعة عند شيخ الإسلام، و هي النسخة التي كان ريتّر مشغولاً بطبعها في أسطنبول. و قد سرّني ذلك كثيراً إذ كنتُ أسعى في جمع أخبار آل نوبخت بحماسة و رغبة عظيمة عدد سنين، بيّد أنّي تصفّحتها في فرصة أُتيحت

١- هو المرحوم الميرزا حسين بن محمّد تقّي النوريّ (١٢٥٤-١٣٢٠هـ) العالم المحدث المعروف مؤلّف كتاب نفّس الرحمن في فضائل سلمان، و مستدرک الوسائل و كتب نفيسة أخرى (للاطلاع على ترجمته انظر: كتاب أحسن الوديعه في تراجم أشهر مشاهير مجتهدى الشيعة لمؤلّفه محمّد مهدي الموسويّ الإصفهانيّ الكاظميّ ١: ٨٩-٩١).

لي عنده فلم أجد فيها و في مقدّمها اسماً لأبي محمد النوبختي، و فرق الشيعة . فأخبرته بشكّي في صحّة انتسابها إليه ، لكنّه لم يذهب إلى ما ذهبت إليه ، و ذكر أنّه يرجّح كونها له مع عدم وجود الأدلّة القاطعة ، و مع احتمال الشكّ في هذا المجال . وزاد شكّي بعد وصول نسخة أسطنبول المطبوعة و مطالعتها بدقّة ، فراسلتُ شيخ الإسلام بذلك ، فكتب إليّ رسالتين ذكر فيهما منشأ الشكّ ، و دعم رأيه الأوّل الذي ذهب فيه إلى أنّ النوبختي هو صاحب كتاب فرق الشيعة بقرائن سنشير إليها . غير أنّي لا أرى - غير معتدّ برأيي - هذه القرائن مُقنعة . و ثمة قرائن أُخرى تدعم نسبة الكتاب إلى الأشعري أكثر من نسبته إلى النوبختي .

هل كتاب «فرق الشيعة» المتداول من تأليف أبي محمد النوبختي؟

لم يبقَ من كتاب فرق الشيعة، في حدود اطلاعي، إلّا معلومات منقولة في كتاب الفصول المختارة من العيون و المحاسن و المجالس للشريف المرتضى ، و هو منتخب من كتاب العيون و المحاسن و المجالس لأستاذه الشيخ المفيد^١ . و كذلك نلاحظ ذكراً لهذا الكتاب في منهاج السنّة النبويّة^٢ لتقيّ الدين أبي العباس أحمد الدمشقيّ المعروف بابن تيميّة المتوفّى سنة ٧٢٨هـ .

و نجد في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ، و رجال الكشيّ أنّ مؤلّفيهما تَقَلّا من كتاب المقالات و الفرق لسعد بن عبد الله الأشعريّ مصرّحين باسمه أو غير مصرّحين ، كما أشار إلى ذلك العلامة المجلسي . و الفارق بينهما أنّ الشيخ الطوسيّ نقل من الكتاب المذكور بصراحة ، أمّا الكشيّ فلم يذكر مصدر الموضوع المنقول و سنده كما في النسخة الموجودة من رجاله . و سبب ذلك بلا شكّ هو تصرف

١- استنسخ لي شيخ الإسلام هذه الفقرة من كتاب الفصول .

٢- منهاج السنّة النبويّة، ٢: ١٠٥ .

الشيخ الطوسي في الكتاب . و قد اختصر «رجال الكشي» - الذي ضاعت نسخته الأصلية - على ذوقه ، و سمّاه اختيار رجال الكشي و إلا فإنه شك في نقلهم من كتاب سعد بن عبد الله .

و كان الشهرستاني أيضاً يكتني نسخة من فرق الشيعة المتداول ، و اقتبس منه بدون تصريح . و نقايس فيما يأتي بين ما نقله الشيخ المفيد عن أبي محمد النوبختي مصرحاً باسمه ، و ما نقله الشيخ الطوسي و الكشي عن سعد بن عبد الله الأشعري ، و ما نقله الشهرستاني عن فرق الشيعة بلا تصريح ، و بين ما ورد في كتاب فرق الشيعة المطبوع أملاً في علاج مشكلة انتساب الكتاب إلى مؤلفه الحقيقي .

فرق الشيعة المطبوع (ص ٧٨)

محمد بن نصير التميمي كان يدعى أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري ، و كان يقول بالتناسخ و الغلو^١ في أبي الحسن و يقول فيه بالربوبية و يقول بالإباحة للمحارم و تحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ، و يزعم أن ذلك من التواضع و التدلل أنه أحد الشهوات و الطيبات ، و أن الله عز وجل لم يحرم شيئاً من ذلك و كان يقوي أسباب هذا التميمي محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات .

الغيبة للطوسي (ص ٢٥٩)

قال سعد بن عبد الله :

كان محمد بن نصير التميمي يدعى أنه رسول نبي وإن علي بن محمد أرسله ، و كان يقول بالتناسخ و يغلو في أبي الحسن و يقول فيه بالربوبية ، و يقول بالإباحة للمحارم و يحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ، و يزعم أن ذلك من التواضع و الإخبات و التدلل في المفعول به ، و أنه من الفاعل إحدى الشهوات و الطيبات و أن الله عز وجل لا يحرم شيئاً من ذلك ، و كان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوي أسبابه و يعضده .

فرق الشيعة المطبوع (ص ٧٩)

فلما توفي قبل له في علته و قد كان اعتقل لسانه : لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال :

١ - في نسخة : و يغلو .

لأحمد، فلم يدروا من هو، فافترقوا بعده ثلاث فرق، فرقة قالت إنه أحمد ابنه، و فرقة قالت هو أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات، و فرقة قالت هو أحمد بن أبي الحسين محمد بن محمد بن بشر بن زيد، فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء.

(ص ٢٦٠)

قال سعد:

فلما اعتلَّ محمد بن نصير العلة التي توفي فيها قبل له، و هو مثقل اللسان: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد، فلم يدروا من هو، فافترقوا بعده ثلاث فرق، قالت فرقة إنه أحمد ابنه، و فرقة قالت هو أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات و فرقة قالت إنه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن زيد، فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء.

فرق الشيعة المطبوع (ص ٦٥-٦٦)

القطيعة و سُموا بذلك لأنَّ عبد الله كان أفتح الرأس. و قال بعضهم: كان أفتح الرُّجلين. و قال الرواة: نسبوا إلى رئيس من أهل الكوفة يقال له عبد الله بن فطيح.

اختيار رجال الكشي (ص ١٦٤-١٦٥)

القطيعة: و سُموا بذلك لأنَّ [عبد الله] كان أفتح الرأس. و قال بعضهم: كان أفتح الرُّجلين. و قال بعضهم: إنهم نسبوا إلى رئيس من أهل الكوفة يقول [كذا] له عبد الله بن فطيح.

فرق الشيعة المطبوع (ص ٧٠-٧١)

البشيرة^١: أصحاب محمد بن بشير مولى بني أسد من أهل كوفة، قالت إنَّ موسى بن جعفر لم يمت و لم يحبس و إنَّه حيٌّ غائب و إنَّه القائم المهدي و إنَّه في وقت غيبته استخلف على الأمر [كذا] محمد بن بشير و جعله وصيه و أعطاه خاتمه و علَّمه جميع ما يحتاج إليه رعيته (من أمر دينهم و دنياهم) و فوَّض إليه أموره و أقامه مقام نفسه، فمحمد بن بشير الإمام بعده.

(هذا القسم غير موجود في «فرق الشيعة» المطبوع).

و إنَّ محمد بن بشير لما توفي أوصى إلى ابنه سميع بن محمد بن بشير، فهو الإمام

المفترض الطاعة على الأمة إلى وقت خروج موسى و ظهوره، فما^١ يلزم الناس من حقوقه في أموالهم و غير ذلك ممّا يتقرّبون به إلى الله عزّوجلّ، فالفرض عليها أدائه إلى هؤلاء إلى قيام القائم.

و زعموا أنّ عليّ بن موسى و من ادّعى الإمامة من ولد موسى بعده فغير طيّب الولادة، و نفّوهم عن أنسابهم و كفّروهم في دعواهم الإمامة و كفّروا القائلين بإمامتهم و استحلّوا دماءهم و أموالهم، و زعموا أنّ الفرض من الله عليهم إقامة الصلوات الخمس و صوم شهر رمضان و أنكروا الزكاة و الحجّ و سائر الفرائض، و قالوا بإباحة المحارم من الفروج و الغلمان، و اعتلّوا في ذلك بقول الله عزّوجلّ: «و يزوّجهم ذكراً و إناثاً» و قالوا بالتناسخ و أنّ الأئمة عندهم واحد، إنّما هم منقلبون من بدن إلى بدن، و المواساة بينهم واجبة في كلّ ما ملكوه من مال، و كلّ شيء أوصى به رجل منهم في سبيل الله فهو لسميع بن محمّد و أوصيائه من بعده، و مذاهبهم مذاهب الغالية المفوّضة في التفويض.

اختيار رجال الكشيّ (ص ٢٩٧-٢٩٨)

كان محمّد بن بشير من أهل الكوفة من موالى بني أسد و له أصحاب قالوا إنّ موسى بن جعفر لم يمّت و لم يحبس و إنّّه غاب و استتر و هو القائم المهديّ، و إنّّه في وقت غيبته استخلف على الأمة محمّد بن بشير و جعله وصيّ و أعطاه خاتمه و علّمه جميع ما يحتاج إليه رعيّته في أمر دينهم و دنياهم و فوّض إليه جميع أمره و أقامه مقام نفسه، فمحمّد بن بشير الإمام بعده.

حدّثني محمّد بن قولويه، قال: حدّثني سعد بن عبد الله القميّ، قال: حدّثني محمّد بن عيسى بن عبيد عن عثمان بن عيسى الكلّابيّ أنّه سمع محمّد بن بشير يقول: الظاهر من الإنسان آدم و الباطن أزلّي. و قال: إنّّه يقول بالاثنتين، و إنّ هشام بن سالم ناظره عليه فأقرّ به و لم ينكره، و إنّ ابن بشير لمّا مات أوصى إلى ابنه سميع بن محمّد، فهو إمام مفترض الطاعة على الأمة إلى وقت خروج موسى بن جعفر و ظهوره، فيما يلزم النّاس من حقوقه في أموالهم و غير ذلك ممّا يتقرّبون به إلى الله تعالى؛ فالفرض عليه أدائه إلى أوصياء محمّد بن بشير إلى قيام القائم.

و زعموا أنّ عليّ بن موسى و كلّ من ادّعى الإمامة من ولده و ولد موسى مبطلون كاذبون غير طيّبي الولادة، فنّفّوهم عن أنسابهم و كفّروهم لدعواهم الإمامة، و كفّروا القائلين بإمامتهم، و استحلّوا دماءهم و أموالهم، و زعموا أنّ الفرض عليهم من الله تعالى

١- في نسختين أخريين: فيما.

إقامة الصلوات الخمس و صوم شهر رمضان، و أنكروا الزكاة و الحجّ و سائر الفرائض، و قالوا بإباحة المحارم و الفروج و الغلمان، و اعتلّوا في ذلك بقول الله تعالى: «و يزوجهم ذُكراناً و إناثاً» و قالوا بالتناسخ، و الأئمة عندهم واحداً واحداً إنّما هم منقلبون من قرن إلى قرن، و المواساة بينهم واجبة في كلّ ما ملكوه من مالٍ أو خراج أو غير ذلك. كلّ ما أوصى به رجل في سبيل الله فهو لسميع بن محمّد و أوصيائه من بعده، و مذاهبهم في التفويض مذاهب الغلاة من الواقعة^١.

فرق الشيعة المطبوع (ص ٢٠)

إن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم و والى عليّاً عليه السلام، و كان يقول و هو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي ﷺ في علي عليه السلام بمثل ذلك، و هو أوّل من شهّر القول بفرض إمامة علي عليه السلام و أظهر البراءة من أعدائه و كاشف مخالفه، فمن هناك قال من خالف الشيعة إنّ أصل الرّفص مأخوذ من اليهودية.

اختيار رجال الكشّي (ص ٧١)

ذكر بعض أهل العلم

أنّ عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم و والى عليّاً عليه السلام، و كان يقول و هو على يهوديته في يوشع بن نون وصيّ موسى بالعلوّ، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي عليه السلام مثل ذلك. و كان أوّل من أشهر القول بفرض إمامة علي و أكفرهم و أظهر البراءة من أعدائه و كاشف مخالفه، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيع و الرّفص مأخوذ من اليهودية.

فرق الشيعة المطبوع (ص ٧٨)

محمّد بن نصير التميميّ كان يدّعي أنّه نبيّ بعثه ابو الحسن العسكري، و كان يقول بالتناسخ و العلوّ في أبي الحسن، و يقول فيه بالربوبية، و يقول الإباحة للمحارم و تحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، و يزعم أنّ ذلك من التّواضع و التّذلل و أنّه أحد

١- نقل الكشّي بعد هذه الفقرة التي كان سعد بن عبد الله الأشعريّ القميّ صاحب فرق الشيعة أحد وسائط روايتها، شرحاً آخر في ذيلها تحدّث فيه عن عقائد أصحاب محمّد بن بشير و شبهها بمقالات المجسّمة و العليويّة و الخطّابيّة، و شرح قتل محمّد بن بشير. و هو ما لا نجده في «فرق الشيعة» المطبوع.

الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئاً من ذلك، وكان يقوّي أسباب هذا النبريّي محمّد بن موسى بن الحسن بن الفرات.

اختيار رجال الكشّي^١ (ص ٣٢٣)

محمّد بن نصير الفهرّي النبريّي وذلك ادّعى أنّه نبيّ رسول وأنّ عليّ بن محمّد العسكري أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلوّ في أبي الحسن، ويقول فيه بالزبويّة؛ ويقول بإباحة المحارم، ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويقول أنّه من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وإنّ الله لم يحرم شيئاً من ذلك وكان محمّد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوّي أسبابه ويعضده.

فرق الشيعة المطبوع (ص ٧٩-٩٤)

فافترق أصحابه [أي اصحاب الإمام الحسن بن عليّ] بعده أربع عشرة فرقة؛ ففرقة منها قالت إنّ الحسن بن عليّ حيّ لم يمُت وإنّما غاب وهو القائم، ولا يجوز أن يموت، ولا ولد له ظاهر؛ لأنّ الأرض لا تخلو من إمام، وقد ثبتت إمامته، والرواية قائمة أنّ للقائم غيبتين؛ فهذه الغيبة إحداهما، وسيظهر ويُعرف ثمّ يغيب غيبةً أخرى^٢. وقالت الفرقة الثانية إنّ الحسن بن عليّ مات وعاش بعد موته، وهو القائم المهديّ؛ لأنّنا رويناه أنّ معنى القائم هو أن يقوم من بعد الموت ويقوم ولا ولد له، ولو كان له ولد لصحّ موته ولا رجوع، لأنّ الإمامة كانت تثبت لخلفه ولا أوصى لأحد، فلا شكّ أنّه القائم. والحسن بن عليّ قد مات لا شكّ في موته ولا ولد له ولا خلف ولا أوصى إذ لا وصيّة له ولا وصيّ

١- هذه الفقرة هي التي نقلها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن سعد بن عبد الله بصراحة (انظر: ص ١٧٥-١٧٦ من هذا الكتاب). بعد هذا الذي نقلناه عن كتاب أبي القاسم الأشعريّ، نذكر فيما يأتي ما نقله الشيخ المفيد عن أبي محمّد النوبختي بصراحة مع ما يقابله من كتاب فرق الشيعة المطبوع، وكتاب الملل والنحل للشهرستانيّ. وينبغي الالتفات إلى أنّ موضوعات كتاب فرق الشيعة مفصلة، لأنّ مؤلّفه صَنَّف كتاباً مستقلاً في هذا المجال، في حين أنّ ما نقله الشيخ المفيد والشهرستانيّ كان موجزاً، وكان هدفهما فقط هو ذكر عدد فرق الشيعة بعد وفاة الإمام الحادي عشر عليه السلام في سياق موضوعات أخرى.

٢- نلاحظ في كتاب فرق الشيعة بعد هذه المطالب شرحاً لمؤلّف الكتاب حول التشابه بين بعض مقالات هذه الفرق ومقالات الواقفة.

و أنه قد عاش بعد الموت^١.

وقالت الفرقة الثالثة: إنَّ الحسن بن عليّ توفيّ، والإمام بعده جعفر، و إليه أوصى الحسن، و منه قبل الإمامة، و عنه صارت إليه^٢ و قالت الفرقة الرابعة: إنَّ الإمام بعد الحسن جعفر، و إنَّ الإمامة صارت إليه من قبل أبيه لا من قبل أخيه محمد و لا من قبل الحسن، و لم يكن إماماً و لا الحسن أيضاً؛ لأنَّ محمداً توفيّ في حياة أبيه، و توفيّ الحسن و لا عقب له، و أنه كان مدّعيّاً مبطلاً. و الدليل على ذلك أنَّ الإمام لا يموت حتّى يوصي و يكون له خلف، و الحسن قد توفيّ و لا وصيّ له و لا ولد، فادّعاؤه الإمامة باطل، و الإمام لا يكون من لا خلف له ظاهر معروف مشار إليه، و لا يجوز أيضاً أن يكون الإمامة في الحسن و جعفر؛ لقول أبي عبد الله جعفر بن محمد و غيره من آبائه: إنَّ الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن و الحسين، فدلّنا ذلك على أنَّ الإمامة لجعفر و أنّها صارت إليه من قبل أبيه لا من قبل أخويه. و أمّا الفرقة الخامسة فإنّها رجعت إلى القول بإمامة محمد بن عليّ المتوفّي في حياة أبيه، و زعمت أنَّ الحسن و جعفر ادّعيا ما لم يكن لهما و أنّ أباهما لم يشر إليهما بشيء من الوصيّة و الإمامة، و لا روي عنه في ذلك شيء أصلاً و لا نصّ عليها بشيء يوجب إمامتهما، و لا هما في موضع ذلك و خاصّة جعفر، فإنّ فيه خصالاً مذمومة و هو بها مشهور، و لا يجوز أن يكون مثلاً في إمام عدل. و أمّا الحسن فقد توفيّ و لا عقب له، فعلمنا أنَّ محمداً كان الإمام قد صحت الإشارة من أبيه إليه، و الحسن قد توفيّ و لا عقب له و لا يجوز أن يموت إمام بلا خلف^٣، فلمّا بطل عندنا أن تكون الإمامة تصلح لمثل جعفر و بطلت عمّن لا خلف له لم يبق إلّا التعلّل بإمامة أبي جعفر محمد بن عليّ أخيهما، إذ لم يظهر منه إلّا الصّلاح و العفاف، و إن له عقباً قائماً مع ما كان من أبيه من الإشارة بالقول ممّا لا يجوز بطلان مثله، فلا بدّ من القول بإمامته و أنه القائم المهديّ أو الرجوع إلى القول ببطلان الإمامة أصلاً، و هذا ممّا

١- في فرق الشيعة شرح مضاف في ردّ عقيدة هذه الفرقة، و شبهها بالواقفة.

٢- في فرق الشيعة أيضاً تفصيل مضاف إلى ما ذكر، في تعزيز هذه الفرقة من قبل عليّ بن طاحن الخزّاز و أخت فارس بن حاتم بن ماهويه القروينيّ. و هذه الفقرة الثانية موجودة في الملل و النحل أيضاً (ص ١٢٨-١٢٩) ممّا يدلّ على الاقتباس من فرق الشيعة الموجود مع فارق واحد، و هو أنَّ الشهرستانيّ ذكر فارس بن حاتم نفسه، لا أخته. و هذا سهو لأنّ فارس بن حاتم قتله أحد أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام بأمر الإمام نفسه (رجال الكشيّ ٣٢٥). و من قُتل قبل وفاة الإمام الحادي عشر عليه السلام - أي: قبل سنة ٢٦٠هـ - فلا يمكن أن يشارك جعفرأ في ادّعائه.

٣- يتلوه شرح في فرق الشيعة حول فسق جعفر.

لا يجوز.

وقالت الفرقة السادسة: إِنَّ للحسن بن عليّ ابناً سَمَاهُ مُحَمَّدًا، وَ دَلَّ عَلَيْهِ، وَ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ تَوْفِي وَ لَا خَلْفَ لَهُ، وَ كَيْفَ يَكُونُ إِمَامًا قَدْ ثَبِتَتْ إِمَامَتُهُ وَ وَصِيَّتُهُ وَ جَرَتْ أُمُورُهُ عَلَى ذَلِكَ وَ هُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ الْخَاصِّ وَ الْعَامِّ ثُمَّ تَوْفِي وَ لَا خَلْفَ لَهُ، وَ لَكِنْ خَلْفُهُ قَائِمٌ وَلَدَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بَسْنِينٌ، وَ قَطَعُوا عَلَى إِمَامَتِهِ وَ مَوْتَ الْحَسَنِ وَأَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدًا، وَ زَعَمُوا أَنَّهُ مُسْتَوْرٌ لَا يُرَى، خَائِفٌ مِنْ جَعْفَرٍ وَ غَيْرِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَ أَنَّهَا إِحْدَى غِيَابَاتِهِ، وَ أَنَّهُ هُوَ الْإِمَامُ الْقَائِمُ، وَ قَدْ عَرَفَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ وَ نَصَّ عَلَيْهِ وَ لَا عَقَبَ لِأَبِيهِ غَيْرُهُ، فَهُوَ الْإِمَامُ لَا شَكَّ فِيهِ.

قالت الفرقة السابعة: بَلْ وَلَدَ لِلْحَسَنِ وَلَدٌ بَعْدَهُ بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، وَ إِنَّ الَّذِينَ ادَّعَوْا لَهُ وَلَدًا فِي حَيَاتِهِ كَاذِبُونَ مَبْطُلُونَ فِي دَعْوَاهُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ لَمْ يَخْفَ كَمَا لَمْ يَخْفَ غَيْرُهُ، وَ لَكِنَّهُ مَضَى وَ لَمْ يُعْرِفْ لَهُ وَلَدٌ.

وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكْبُرَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَ يَدْفَعُ الْبَيَانَ وَ الْمَقُولَ وَ الْمُتَعَارَفَ... الخ.

قالت الفرقة الثامنة: إِنَّهُ لَا وَلَدَ لِلْحَسَنِ أَصْلًا^١... وَ لَكِنْ هُنَاكَ حَبْلٌ قَائِمٌ قَدْ صَحَّ فِي سِرِّيَّةٍ لَهُ وَ سَتَلَدَ ذَكَرًا إِمَامًا مَتَى مَا وَلَدَتْ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَمْضِيَ الْإِمَامُ وَ لَا خَلْفَ لَهُ فَتَبْطُلُ الْإِمَامَةُ وَ تَخْلُو الْأَرْضُ مِنَ الْحِجَّةِ^٢.

قالت الفرقة التاسعة: إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ صَحَّتْ وَفَاةُ أَبِيهِ وَ جَدَّهِ وَ سَائِرُ آبَائِهِ، فَكَمَا صَحَّتْ بِالْخَبَرِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ مِثْلُهُ فَكَذَلِكَ صَحَّ أَنَّهُ لَا إِمَامَ بَعْدَ الْحَسَنِ، وَ ذَلِكَ جَائِزٌ فِي الْعُقُولِ وَ التَّعَارُفِ، كَمَا جَازَ أَنْ تَنْقَطِعَ النُّبُوَّةُ فَلَا يَكُونُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيٌّ فَكَذَلِكَ جَازَ أَنْ تَنْقَطِعَ الْإِمَامَةُ. وَ رَوَوْا عَنِ الصَّادِقِينَ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حِجَّةٍ إِلَّا أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بِمَعَاصِيهِمْ فَيَرْفَعُ عَنْهُمْ الْحِجَّةَ إِلَى وَقْتٍ، وَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَ لَيْسَ فِي قَوْلِنَا هَذَا بَطْلَانُ الْإِمَامَةِ...

قالت الفرقة العاشرة: إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَيِّتَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ كَانَ الْإِمَامَ بِوَصِيَّةٍ مِنْ أَبِيهِ إِلَيْهِ وَ إِشَارَتِهِ وَ دَلَالَتِهِ وَ نَصَّ عَلَى اسْمِهِ وَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا حَضَرَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ أَوْصَى إِلَى غُلَامٍ لِأَبِيهِ صَغِيرٍ كَانَ فِي خِدْمَتِهِ وَ يُقَالُ لَهُ «نَفِيسٌ»، وَ كَانَ ثَقَّةً أَمِينًا عِنْدَهُ، وَ دَفَعَ إِلَيْهِ الْكُتُبَ وَ الْعُلُومَ وَ السِّلَاحَ وَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ، وَ أَوْصَاهُ إِذَا حَدَّثَ بِأَبِيهِ حَدَّثَ الْمَوْتَ يُوَدِّي ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى أَخِيهِ جَعْفَرٍ، [وَ نَفِيسٌ] دَعَا جَعْفَرًا وَ أَوْصَى إِلَيْهِ وَ دَفَعَ إِلَيْهِ جَمِيعَ مَا

١- في فرق الشيعة شرح يدور حول قول هذه الفرقة في ردٍّ من قال بوجود ابن مستور للإمام الحادي عشر، وَ رَدَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ قِبَلِ الْمُتَعَقِّدِينَ بِوُجُودِهِ.

٢- لا وجود لهذه الفرقة في الملل والنحل، لكن صاحبها يشير إليها عند ذكر الفرقة التالية.

استودعه أبو جعفر محمد بن عليّ أخوه الميّت في حياة أبيه .

قالت الحادية عشرة منهم : لا ندرى ما نقول في الإمام [بعد الحسن] ، هو من ولد الحسن أم من إخوته ، فقد اشتبه علينا الأمر إنّنا نقول إنّ الحسن بن عليّ كان إماماً وقد توفّي وإن الأرض لا تخلو من حجة ، و نتوقف و لا نقدم على شيء حتى يصح لنا الأمر و يتبين .

و قالت الفرقة الثانية عشرة ، و هم الإمامية^١ ...

لا وجود لهذه الفرقة في كتاب فرق الشيعة . ولما كان أكثر من ثلاث عشرة فرقة غير موجود في النسخة الحاضرة ، فإنّ هذه الفرقة قد سقطت من أصل النسخة .

العيون و المحاسن (نقلًا عن أبي محمد نوبختي)

افترق أصحابه [أي أصحاب الإمام الحسن بن عليّ] بعده أربع عشرة فرقة : قالت فرقة ممّن دانت بإمامة الحسن إنّهم حيّ لم يمّت ، و إنّما غاب و هو القائم المنتظر .

و قالت فرقة أخرى : إنّ أبا محمد مات و عاش بعد موته ، و هو القائم المهديّ . و اعتلّوا في ذلك بخبر زوّه أنّ القائم سُمّي بذلك لأنّه يقوم بعد الموت .

قالت فرقة أخرى : إنّ أبا محمد توفّي لا محالة ، و إنّ الإمام من بعده أخوه جعفر بن عليّ و اعتلّوا في ذلك بالرواية عن أبي عبد الله أنّ الإمام هو الذي لا يوجد منه ملجأ إلا إليه . قالوا : فلمّا لم نر للحسن ولداً ظاهراً التجأنا إلى القول بإمامة جعفر أخيه .

و رجعت فرقة ممّن كانت تقول بإمامة الحسن عن إمامته عند وفاته . و قالوا : لم يكن إماماً و كان مدّعياً مبطلاً ، و أنكروا إمامة أخيه محمد ، و قالوا : الإمام جعفر بن عليّ بنصّ أبيه عليه . و قالوا : و إنّما قلنا بذلك لأنّ محمداً مات في حياة أبيه ، و الإمام لا يموت في حياة أبيه ، و الحسن لم يكن له عقب و الإمام لا يخرج من الدنيا حتّى يكون له عقب .

و قالت فرقة أخرى : إنّ الإمام محمد بن عليّ أخو الحسن بن عليّ ، و رجعوا عن إمامة الحسن ، و ادّعوا حياة محمد بعد أن كانوا ينكرون ذلك .

و قالت فرقة أخرى : إنّ الإمام بعد الحسن ابنه المنتظر ، و إنّ عليّ بن الحسن ، و ليس كما نقوله القطعية إنّهم محمد بن الحسن ، و قالوا بعد ذلك بمقالة القطعية في الغيبة و الانتظار حرفاً بحرف .

قالت فرقة أخرى : إنّ القائم بن الحسن ولد بعد أبيه بثمانية أشهر ، و هو المنتظر ، و أكذبوا من زعم أنه ولد في حياة أبيه ، و لا يجوز مكابرة العيان .

١- يلاحظ في فرق الشيعة أنّ هذه الفرقة جاءت على أساس تعداد الفرقة الثانية عشرة . و لا يُشبهه كلام المؤلف كلام الشيخ المفيد الذي نقله عن النوبختي .

قالت فرقة أخرى: إنَّ أبا محمَّد مات من غير ولد ظاهر، ولكن عن جبل في بعض جواريه. والقائم بعد الحسن محمول به ما ولدته أمه بعد و أنَّها تجوز أن تبقى مائة سنة حاملاً به فإذا ولدته ظهرت ولادته.

قالت فرقة أخرى إنَّ الإمامة قد بطلت بعد الحسن، و ارتفعت الأئمة، و ليس في الأرض حجة من آل محمَّد، و إنما الحجة الأخبار الواردة عن الأئمة المتقدمين و زعموا أنَّ ذلك سايخ إذا غضب الله على العباد فجعله عقوبة لهم.

قالت فرقة أخرى: إنَّ محمَّد بن عليّ أخا الحسن بن عليّ كان الإمام في الحقيقة مع أبيه عليّ و أنَّه لمَّا حضرته الوفاة وصَّى إلى غلام له «نفس» و كان ثقةً أميناً و دفع إليه الكتب و السلاح، و وصَّاه أن يسلمه إلى أخيه جعفر، فسلمه إليه. و كانت الإمامة في جعفر بعد محمَّد على هذا الترتيب.

قالت فرقة أخرى: قد علمنا أنَّ الحسن كان إماماً، فلمَّا قبض التيس الأمر علينا فلا ندري: جعفر كان الإمام بعده أو غيره، و الَّذي يجب علينا أن نقطع على أنَّه لا بدَّ من إمام و لا يُقدَّم على القول بإمامة أحدٍ بعينه حتَّى تبين لنا ذلك. فقال الجمهور منهم بإمامة ابنه القائم المنتظر^١...

و قالت فرقة أخرى إنَّ الإمام بعد الحسن ابنه محمَّد، و هو المنتظر، غير أنَّه قد مات و سيحيا و يقوم بالسيف فيملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً^٢. و قالت الفرقة الثالثة عشرة مثل مقالة الفطحية... فزعموا أنَّ الحسن بن عليّ توفي، و أنَّ: كان الإمام بعد أبيه و أنَّ جعفر بن عليّ [بن محمَّد بن عليّ] الإمام بعده (جاء في فرق الشيعة شرح لمقالة هذه الفرقة و تشابهها مع الفطحية، و هو يختلف عمَّا ذكره الشيخ المفيد).

و قالت الفرقة الرابعة عشرة منهم: إنَّ أبا محمَّد عليه السلام كان الإمام بعد أبيه، و إنَّه لمَّا حضرته الوفاة نصَّ على أخيه جعفر بن عليّ بن محمَّد بن عليّ، فكان الإمام من بعده بالنص عليه و الوراثة له، و زعموا أنَّ الَّذي دعاهم إلى ذلك ما يجب على العقل من وجوب الإمامة مع فقدهم لولد الحسن و بطلان دعوى من ادَّعى وجوده فيما زعموا من الإمامة^٣.

١- جعل الشيخ المفيد هذه الفرقة في رأس سائر فرق الشيعة. و ذكرها قبلها كلّها و كلامه هو كلام

النويختي عادةً. و يختلف عمَّا جاء في فرق الشيعة المطبوع.

٢- لا وجود لهذه الفرقة في الملل و النحل أيضاً.

٣- لا وجود لهذه الفرقة في الملل و النحل أيضاً.

الملل و النحل للشهرستاني (ص ١٢٩-١٣١)

و أمّا الذين قالوا بإمامة الحسن، اختلفوا بعد موته إحدى عشرة فرقة؛ الفرقة الأولى قالت: إنّ الحسن لم يمت، و هو القائم. و لا يجوز أن يموت و لا ولد له ظاهراً؛ لأنّ الأرض لا تخلو من امام و قد ثبت عندنا أنّ القائم له غيبتان، و هذه إحدى الغيبتين، و سيظهر و يُعرف ثمّ يغيب غيبةً أخرى. الثانية قالت: إنّ الحسن مات لكنّه يجيء و هو القائم؛ لأنّا رأينا أنّ القائم هو القيام بعد الموت، فنقطع بموت الحسن لا شكّ فيه و لا ولد له فيجب أن يجيء بعد الموت. الثالثة قالت: إنّ الحسن قد مات و أوصى إلى جعفر أخيه، و رجعت إمامة جعفر.

الرابعة قالت: إنّ الحسن قد مات و الإمام جعفر، و إنّنا كنّا مخطئين في الائتمام به إذ لم يكن إماماً، فلمّا مات و لا عقب له بنتنا أنّ جعفر كان محقّقاً في دعواه، و الحسن مبطلاً.

الخامسة: قالت إنّ الحسن قد مات و كنّا مخطئين في القول به، و إنّ الإمام كان محمد بن عليّ أخو الحسن و جعفر. و لمّا ظهر لنا فسق جعفر و إعلانه به و علمنا أنّ الحسن كان على مثل حاله إلّا أنّه كان يستتر عرفنا أنّهما لم يكونا إمامين، فرجعنا إلى محمد و وجدنا له عقباً، و عرفنا أنّه كان هو الإمام دون أخويه.

السادسة قالت: إنّ للحسن ابناً، و ليس الأمر على ما ذكروا أنّه مات و لم يُعقب. ولد قبل وفاة أبيه بستين فاستتر خوفاً من جعفر و غيره من الأعداء، و اسمه محمد، و هو الإمام القائم المنتظر.

السابعة قالت: إنّ له ابناً، و لكنّه ولد بعد موته بثمانية أشهر. و قول من ادّعى أنّه مات و له ابن باطل؛ لأنّ ذلك لم يخف.

الثامنة قالت: صحت وفاة الحسن و صحّ أن لا ولد له، و بطل ما ادّعى من الحبل في سرية له، و ثبت أنّ لإمام بعد الحسن، و هو جائز في المعقول أن يرفع الله الحجة عن أهل الأرض لمعاصيهم، و هي فترة و زمان لإمام فيه، و الأرض اليوم بلا حجة كما كانت الفترة قبل مبعث النبيّ.

العاشرة قالت: نعلم أنّ الحسن قد مات، و لا بدّ للناس من إمام، و لا يخلو الأرض من حجة، و لا ندري من ولده أو غيره^١.

بعد أن فرغنا من نقل المعلومات الواردة في كتاب المقالات و الفرق لأبي القاسم سعد بن عبد الله الأشعريّ، و الواردة في كتاب فرق الشيعة لأبي محمد النوبختيّ كما نقلها الشيخ المفيد، و ما يقابلها في كتاب فرق الشيعة المطبوع، نذكر

١- لا وجود لهذه الفرقة في الملل و النحل أيضاً.

فيما يأتي الملاحظات المستنبطة من المقايسة بينها :

١ - لاشك أن المعلومات الموجودة في كتاب الغيبة و رجال الكشي مأخوذة من كتاب أبي القاسم الأشعري القمي ؛ لأنه بالإضافة إلى ما ذكره العلامة المجلسي الذي كان يقتني الكتاب فإن الشيخ الطوسي عندما ينقل منه ، يقول : « قال » ، و لا يقول : « أخبرني » أو « حدثني » . و هذا يدل على أنه نقل منه مباشرة و لم ينقل عنه مُعَنَّأً . أمّا الكشي ، فمع أنه عدّ سعد بن عبد الله الأشعري أحد وسائط الرواية في نقل ما يدور حول أصحاب محمد بن بشير ، إلا أنه لم يصرّح باسم أحد في نقل ما يحوم حول أصحاب عبد الله بن سبأ ، و اكتفى بقوله : عن أحد الفضلاء . و نلاحظه ينقل لفظ الأشعري نفسه فيما يخص محمد بن نصير النميري . و يتبين لنا من مقايسة هذه المعلومات بالمعلومات التي أخذها الشيخ الطوسي من كتاب سعد بن عبد الله أنه نقل من كتاب الأشعري أيضاً . يضاف إلى ذلك أن تصرّف الشيخ الطوسي في كتاب رجال الكشي يجعلنا لا نعلم على وجه التحديد ما كان عليه أصل الكتاب ، و ماذا سقط منه أو بُدِّل فيه .

٢ - إذا أنعمنا النظر في كتاب فرق الشيعة المطبوع - الذي يؤسفنا أن ليس في أيدينا نسخة قديمة منه - وجدنا أنه مضافاً إلى ما فيه من التحريفات و الأخطاء يبدو كأنه نسخة مستعملة كتبها شخص من أصل الكتاب لنفسه . و يحتمل سقوط بعض الموضوعات من أصل النسخة ، و لعلّ هذا البعض هو سلسلة الرواة أو مصادر الأخبار و أسنادها . و إنّ الموضوعات التي نقلها الشيخ الطوسي ، و الكشي من سعد بن عبد الله لا تختلف عمّا جاء في كتاب فرق الشيعة المطبوع إلا قليلاً كما يتبين ذلك من الجدول السابق . و إذا كان هناك اختلاف يسير في زيادة لفظ أو إسقاطه فلا يكون مدعاةً للتعجب كثيراً ؛ لأنّ الألفاظ المضافة أو الساقطة لم تؤثر على أصل الموضوع نقصاً و زيادةً ، إذ إنّ معظمها جمل مترادفة تكرر الموضوعات السابقة نفسها بعبارات أخرى ، أو تتحدّث عن مضمون الكتاب الأصلي بألفاظ غير ألفاظه .

و كان هذا التصرف مألوفاً من قبل الناقلين أو الناسخين . كما أننا لو قايستنا بين ما نقله الشيخ الطوسي و ما نقله الكشي عن كتاب سعد بن عبد الله في ما يخص محمد بن نصير النميري لوجدنا أنّ كلاهما قد تصرف في أصل الكتاب حسب ذوقه . يضاف إلى ذلك أنّ الناسخين يعملون أذواقهم الخاصة في أغلب الأوقات فينقلون مضمون ما جاء في المخطوطات، و قلما ينقلون الألفاظ الواردة فيها بعينها . و قد لاحظت ذلك في أربع مخطوطات من كتاب سياست نامه للخواجه نظام الملك كانت بيدي لمقابلتها و طبع واحدة منها . و على الرغم من أنّ مضمونها واحد لكن عباراتها متباينة، فلم أقف على عبارة المؤلف الأصلية .

و إذا كانت المعلومات الواردة هي لسعد بن عبد الله الأشعري، و كانت المعلومات المنقولة من كتاب فرق الشيعة المطبوع هي ذاتها المذكورة للأشعري فما يحملنا على أن لنعّد الكتاب الموجود المطبوع من مؤلفات سعد بن عبد الله، و نعدّه من كتب أبي محمد النوبختي، في حين لا قرينة عندنا أو إشارة تدلّ على انتسابه إلى النوبختي؟

لقد كان أبو القاسم الأشعري، و أبو محمد النوبختي متعاصرين، و ماتا في العقد الأول من القرن الرابع الهجري . فإذا كان أحدهما مطلعاً على كتاب الآخر، و كان الكتاب الحالي للنوبختي، فكيف نفسر التماثل القائم بين ما جاء في كتاب النوبختي و ما نقل عن الأشعري؟ و هل أخذ النوبختي المعلومات الواردة في كتاب الأشعري نصّاً بلا ذكر السند، و بادراً إلى ذلك العمل الذي يمثل نوعاً من السرقة الأدبية مع ما كان عليه من العلم و الاطلاع و الإحاطة بالكلام و الحكمة و الأدب و الملل و النحل، أو أخذ الأشعري ما جاء في كتاب النوبختي نصّاً و امتنع عن ذكر اسمه و كتابه على خلاف ما هو مألوف، و هو الذي كان من فقهاء الشيعة و محدّثيهم الثقات، و كان مصدراً لنقل كثير من رواياتهم، و كلاهما كان معروفاً لدى علماء الإمامية؟

و على فرض صحّة أحد الشّقين ، فلا بدّ أن نعدّ الشخص الذي ارتكب هذا العمل سارقاً . و تنتزّه ساحة النوبختيّ و الأشعريّ - اللّذين كانا من ذوي الفضل و الشأن - عن هذا الافتراء المستقبح . و إذا نسبنا كتاب فرق الشيعة إلى الأشعريّ ، فلا نشعر بالحاجة إلى الفرضين المتقدّمين^١ .

و ننقل فيما يأتي نصّاً القرائن التي ذكرها شيخ الإسلام الزنجانيّ في رسالته التي بعثها إليّ ، و استدلّ بها على أنّ الكتاب الحالي من تأليف النوبختيّ . ثمّ نبدي رأينا فيها :

قال : « إنّ ما نقله الكشّي من هذا الكتاب (كتاب أبي القاسم الأشعريّ) في ترجمة محمّد بن بشير الأسديّ هو نفس ما جاء في هذا الكتاب (فرق الشيعة المطبوع) كما يبدو . و يستبين من الموازنة بين الاثنين أنّ اختلافاً بيّناً ملحوظ بين اللفظين ، بخاصّة إنّ في آخر عبارة الكشّي فقرة مضافة غير موجودة في فرق الشيعة . و هكذا فإنّ العبارة المنقولة في كتاب الغيبة للشيخ الطوسيّ في ترجمة محمّد بن نصير النميريّ تختلف عن عبارة هذا الكتاب أيضاً . و لما كان أبو محمّد النوبختيّ و سعد بن عبد الله القميّ الأشعريّ متعاصرين فيمكن أن نفهم من عبارتهما أنّ كتاب سعد متأخّر عن كتاب النوبختيّ ؛ لأنّ المعروف هو أنّ التصرّف يحصل غالباً في الكتاب المتأخّر حين ينقل صاحبه من الكتاب المتقدّم عليه . و هذا هو الملحوظ في الفقرتين المنقولتين عن سعد بن عبد الله بالنسبة إلى عبارة كتاب فرق الشيعة . و السبب الآخر للشكّ هو الاختلاف في ترتيب عدد الفرق الأربع عشرة الذي حكاه الشيخ المفيد عن الحسن بن موسى النوبختيّ مع الترتيب الموجود في هذا الكتاب المطبوع . و ظهر لي هنا أنّ الشيخ المفيد قد تصرّف في عبارة الكتاب و لم ينقل

١ - يتبيّن من ملاحظة المعلومات المتقدّمة حول الفرق أنّ الكشّي قد اقتبس كتاب سعد نفسه ما عدا الذي ذكره حول وجه تسمية الفطحية و أحوال عبد الله بن سبأ و محمّد بن نصير النميريّ .

نصّها لطولها . فقد قدّم الفرقة الإماميّة الأصلية الواردة في كتاب النوبختي (يقصد الكتاب المتداول هذا اليوم) على أنّها الفرقة الثانية عشرة ، لأهمّيّتها . و قرّر مقالانها من عنده حسب مذهب الإماميّة . ثمّ ذكر الفرق الأخرى ملخصاً و متصرفاً وفقاً للسياق الموجود في كتاب النوبختي . و إذا تأملنا فيه ، عرفنا ذلك عند أوّل وهلة . علماً أنّ الشيخ المفيد يعمد في أسلوبه إلى الإيجاز و إيصال المعنى المطلوب لا الإطالة بنقل ألفاظ الآخرين بحذافيرها ، كما يُستشفّ ذلك من سائر رسائله و كتبه . و سقطت أيضاً فرقة من النسخة الموجودة عندي من فرق الشيعة . و الفرقة الثالثة عشرة في كتاب فرق الشيعة هي الفرقة الرابعة عشرة في كتاب الفصول ، و الفرقة الثالثة عشرة ساقطة من كتاب الفصول ... و يفيد سياق التعبير في الكتاب الحالي أنّ النَّفس هو نفس شخص متكلّم مثل النوبختي لا نفس فقيه و محدّث مثل سعد بن عبد الله الأشعريّ .»

أما ملاحظاتي فهي :

في الاختلاف اليسير الموجود بين العبارات التي نقلها الكشيّ و الشيخ الطوسيّ من كتاب أبي القاسم الأشعريّ ، و بين الفقرة المذكورة في رجال الكشيّ حول محمّد بن بشير الأسديّ المضافة إلى كتاب فرق الشيعة المطبوع ، ألا يمكن أن نتمسك بنفس القرائن التي أوردها شيخ الإسلام حول تصرّف الشيخ المفيد في العبارة ، و نقول : إنّ الشيخ الطوسيّ ، و الكشيّ - كما ذكرنا سلفاً دليل ذلك - قد نهجا ذات الأسلوب في نقل عبارة سعد بن عبد الله ، و أضاف الكشيّ من عنده أشياء بعد نقله من كتاب سعد بن عبد الله ؟

إذا ظنّ شيخ الإسلام أنّ سعد بن عبد الله قد أخذ حقّاً من كتاب فرق الشيعة للنوبختيّ مصرّحاً بذلك أو غير مصرّح ، فلا يليق بالشيخ الطوسيّ و الكشيّ أن لا يراجعا كتاب أبي محمّد النوبختيّ - مع غاية شهرته - في هذا الموضوع على

الأقل، في حين كانا يحسبانه مصدراً للأشعري، و ينقلان هذه الموضوعات عن سعد بن عبد الله، في حين ليس في أيدينا أي شيء يدل على أن كتاب النوبختي كان قبل كتاب الأشعري. وقد توفي الأشعري سنة ٢٩٩ أو ٣٠١ هـ، وكانت وفاة النوبختي بين سنة ٣٠٠ و ٣١٠ هـ، وكلاهما عاش في أيام الغيبة الصغرى، وعاصر افتراق الشيعة أربع عشرة فرقة. فما هو الداعي إلى اعتماد أحدهما على الآخر في نقل الحوادث الواقعة في عصرهما؟ وما الذي يدفع سعد بن عبد الله إلى نقل عبارة النوبختي ذاتها و ينسبها إلى نفسه دون أن يشير إلى مصدرها، و لا يلتفت الآخرون إلى ذلك بخاصة الشيخ الطوسي الذي كان من الملمين بعلم الرجال و مصنفات الشيعة، و كان قد رأى معظم كتب الإمامية؟

أما الاختلافات الموجودة بين لفظ الشيخ المفيد في العيون و المحاسن، و لفظ كتاب فرق الشيعة المطبوع، و عدم ترتيب الفرق الأربع عشرة في الكتابين، فهما دليان واضحان على أن فرق الشيعة المطبوع هو للأشعري لا للنوبختي؛ لأن التشابه الموجود بين الموضوعات التي نقلها الكشي و الشيخ الطوسي، و بين كتاب فرق الشيعة غير موجود بين لفظ الشيخ المفيد و لفظ مؤلف الكتاب المذكور، إذ يضاف إلى غاية الاختصار الملحوظ في كتاب الشيخ المفيد، و عدم تشابه ألفاظهما أن عدد الفرق يختلف بين الاثنين أيضاً، و أن الشيخ المفيد أضاف بعض الموضوعات في كتابه. و نشير فيما يأتي إلى الفروق المهمة بين لفظ الشيخ المفيد، أي: لفظه المنقول من كتاب فرق الشيعة، و بين لفظ الكتاب نفسه:

١ - الموضوعات المنقولة في كتاب العيون و المحاسن حول الفرق الأولى (الفرقة الثانية عشرة في كتاب فرق الشيعة المطبوع) أي: الفرقة الإمامية الاثني عشرية، تختلف تماماً عن عما هو مذكور في كتاب فرق الشيعة لفظاً و موضوعاً، و لا تتشابهان أبداً.

٢ - في ذكر الفرق الرابعة (الثالثة في كتاب فرق الشيعة) التي ذهبت إلى إمامة

جعفر بعد وفاة أخيه الإمام العسكري عليه السلام ، ينقل الشيخ المفيد حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام لا وجود له في كتاب فرق الشيعة . و الحديث هو : الإمام هو الذي لا يوجد منه ملجأ إلا إليه .

٣ - يختلف لفظ الشيخ المفيد و لفظ صاحب فرق الشيعة تماماً في حديثهما عن الفرقة الخامسة (الفرقة الرابعة في كتاب فرق الشيعة) . و على الرغم من نقل مضمون واحد ، لكن لا تشم رائحة النقل من كتاب فرق الشيعة أبداً . و هكذا الأمر بالنسبة إلى الفرقة الآتية .

٤ - عندما تحدث الشيخ المفيد عن الفرقة السابعة (الفرقة السادسة عند النوبختي) ذكر أن اسم الولد الذي نُسب إلى الإمام الحادي عشر عليه السلام - و يعتقد أصحاب هذه الفرقة أنه الإمام القائم بعده - عليّ ، في حين ذهب النوبختي إلى أن اسمه محمد ، و ذكره الشهرستاني بهذا الاسم أيضاً . يضاف إلى ذلك أن لفظ الشيخ المفيد يختلف عن لفظ فرق الشيعة من حيث المضمون . و كذلك نلاحظ اختلافاً بين لفظ الشيخ المفيد الذي هو لفظ النوبختي نفسه عادةً و بين لفظ فرق الشيعة عند ذكر الفرق الأخرى و تستبين هذه النقطة أيضاً من ملاحظة المعلومات المتقدمة حول الفرق .

أمّا السَّبَب بين بعض عبارات النوبختي و عبارات الكتاب الحالي عند عرض عقائد الفرق الشيعية الأربع عشرة و مقالاتها فمرجعه إلى أن أصحاب كتب الملل و النحل كانوا ينقلون مقالات الفرق المختلفة غالباً بعباراتهم التي كانوا يقرّرون فيها عقائدهم . و لذلك كانت ألفاظهم تظلّ في كتب المقالات و الفرق و الملل و النحل . فلا بدّ أن نحمل الشبه الموجود بين بعض عبارات النوبختي و عبارات فرق الشيعة المطبوع في نقل مقالات الفرق على هذا الأساس .

هذه هي ملاحظاتي حول فرق الشيعة المطبوع ، و ذكر القرائن التي تدعم نسبته إلى أبي القاسم سعد بن عبد الله الأشعريّ القميّ . و أهدف من وراء هذا التفصيل

في الموضوع المذكور إلى أن ألفت نظر القراء الكرام إلى القَدَح الموجود في نسبة ذلك الكتاب إلى النوبختي. ولعل أحدهم يملك أدلة أخرى تدعم نسبة الكتاب إلى النوبختي أو تدحضها فينشر ذلك و يميّط اللثام عن هذا الموضوع المهم من الوجهة التاريخية .

و أما ما يراه شيخ الإسلام الزنجاني أن منحى مؤلف كتاب فرق الشيعة منحى كلامي، لذلك فإن نسبته إلى أبي محمد النوبختي المتكلم أقرب من نسبته إلى أبي القاسم الأشعري الفقيه، فلا أحسب أنه دليل قاطع على ذلك؛ لأن الفقهاء يومئذ كانوا ينتهجون هذا الأسلوب أحياناً في مقابل خصومهم طوعاً أم كرهاً، و كان ذلك العصر عصر المجادلات و المناظرات . و نجد أن الشيخ الصدوق تحدّث في القسم الأول من كتابه كمال الدين و تمام النعمة كمتكلم في ردّه على آراء الخصوم و مناقشتهم .

فرق الشيعة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام

يُفهم من كتاب فرق الشيعة الحالي، و العبارات المنقولة عن النوبختي أن الشيعة انقسموا بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى أربع عشرة فرقة . و لكن كان هناك من طرح مقالة في الإمامة و يجمع حوله الأنصار، كما ظلّ النزاع قائماً حول خليفة الإمام الحادي عشر، ممّا أدّى إلى ظهور فرق جديدة أخرى . و بلغ عددها في عصر المسعودي مؤلف مروج الذهب عشرين فرقة . و ذكر المسعودي مقالاتها في كتابين من كتبه هما المقالات في أصول الديانات و سرّ الحياة^١ .

و نلاحظ من بين الفرق الإحدى عشرة التي ذكرها الشهرستاني - و هي مجمعة

١- مروج الذهب ٢: ٣٤٦ (طبعة مصر).

على إمامة الإمام الحادي عشر عليه السلام^١ - تسع فرق تشبه الفرق المذكورة في كتاب فرق الشيعة، وكتاب العيون و المحاسن. وفيه فرقتان مضافتان هما الفرقة التاسعة، و الفرقة الحادية عشرة، و فيما يأتي نصّ مقالاتهما:

التاسعة: قالت: إنّ الحسن قد مات و صحّ موته. و قد اختلف الناس هذا الاختلاف، و لا ندرى كيف هو. و لا نشكّ أنّه قد ولد له ابن، و لا ندرى قبل موته أو بعد موته، إلّا أنّنا نعلم يقيناً أنّ الأرض لا تخلو من حجّة، و هو الخلف الغائب، فنحن نتولّاه و نتمسّك باسمه حتّى يظهر بصورته.

الحادية عشرة: فرقة توقّفت في هذه المخاطبات و قالت لاندري على القطع حقيقة الحال لكنّا نقطع في الرضا و نقول بإمامته في كلّ موضع اختلفت الشيعة فيه، فنحن من الواقفيّة في ذلك إلى أن يُظهر الله الحجّة و يظهر بصورته، فلا يشكّ في إمامته من أبصره، و لا يحتاج إلى معجزة و كرامة و بيّنة، بل معجزته اتّباع الناس بأسرهم إيّاه من غير منازعة و مدافعة.

و إذا أضفنا هاتين الفرقتين إلى الفرق الأربع عشرة المذكورة فإنّ عدد الفرق الشيعيّة، بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام، يبلغ ستّ عشرة فرقة. و إذا ضمّمنا إليها رأي أصحاب الحلاج، و الرأي المنسوب إلى أبي سهل النوبختيّ، و الرأي القائل بثلاثة عشر إماماً، فإنّ عددها يقترب ممّا ذكره المسعوديّ. و لكن لا يُعلّم ما إذا كانت هذه الفرق هي نفس الفرق التي ذكر المسعوديّ مقالاتها في كتابه، و لعلّ عددها زاد على ذلك بسبب التشكّك العجيب الذي طرأ على الشيعة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام، و ربما كان بعضها غير الفرق المذكورة في كتب المسعوديّ، بيد أنّ

١- ذكر الشهرستانيّ الإماميّة على حدة، و لم يذكر الفرق العاشرة و الثانية عشرة اللتين كانتا تنكران إمامة الإمام العسكري عليه السلام، و هما مذكورتان في كتاب فرق الشيعة. و ذكر الفرق الثامنة ضمن فرقة أخرى. و لم يتطرّق إلى الفرق الثالثة عشرة و الرابعة عشرة. كما أنّ الفرق الثالثة عشرة غير موجودة في كتاب فرق الشيعة.

إشارة المسعودي تُشعر بأنّ عدد فرق الشيعة قد بلغ في عهده عشرين فرقة في الأقلّ.

إنّ الفرق التي أخذنا تفصيل مقالاتها من كتب عديدة و سنقدّم فهرساً بها فيما يأتي ، هي غير التجمّعات التي مثلها أصحاب الهلاليّ ، و البلاليّ ، و الشلمغانيّ ، و النميريّ ، و الغلاة الآخرون ، ممّن سنشير إلى عقائدهم لاحقاً . و فيما يأتي فهرس بفرق الشيعة بعد وفاة الإمام العسكريّ (عليه السلام) مع إشارة إلى المصادر التي ذكرتها :

١ - الإماميّة الاثنا عشرية (الفرقة الأولى في العيون و المحاسن ، و الثانية عشرة في فرق الشيعة).

٢ - القائلون بحياة الإمام العسكريّ (عليه السلام) و غيبته و رجعته بوصفه المهديّ (فرق الشيعة ١ ؛ العيون و المحاسن ٢ ؛ الملل و النحل ١ ؛ غيبة الطوسيّ ١٤١ ؛ كمال الدين ٢٤).

٣ - المعتقدون بوفاة الإمام العسكريّ (عليه السلام) و قيامه بعد وفاته (فرق الشيعة : ٢ ؛ العيون و المحاسن ٣ ؛ الملل و النحل ٢ ؛ غيبة الطوسيّ ٦٢ ، ١٤٢).

٤ - فرقة من الجعفرية ، تذهب إلى وفاة الإمام العسكريّ (عليه السلام) و إمامة أخيه جعفر بنصّ منه (فرق ٣ ؛ العيون ٤ ؛ الملل ٣ ؛ غيبة الطوسيّ ١٤٣).

٥ - فرقة أخرى من الجعفرية تعتقد بإمامة جعفر بنصّ من الإمام الهاديّ (عليه السلام) ، و ترى بطلان إمامة أخيه العسكريّ (عليه السلام) (فرق ٦ ؛ العيون ٥ ؛ الملل ٤).

٦ - المحمّديّة و هم المعتقدون بإمامة محمّد بن الإمام عليّ الهاديّ الذي كان قد مات في حياة أبيه . و يزّون أنّ الإمام العسكريّ (عليه السلام) و جعفرأ قد ادّعيا الإمامة ، و ينتظرون قيام محمّد بوصفه المهديّ و القائم (فرق ٥ ؛ العيون ٦ ؛ الملل ٥ ؛ غيبة الطوسيّ ٦٠ و ١٢٩ ، كمال الدين ٦٣).

٧ - القائلون بإمامة ولد للإمام العسكريّ (عليه السلام) يُدعى محمّداً (يسمّيه الشيخ المفيد عليّاً نقلاً عن النوبختي). وُلد قبل وفاة أبيه بعامين ، و اختفى خوفاً من جعفر

و الأعداء الآخرين (فرق ٦؛ العيون ٧؛ الملل ٦).

٨ - المنكرون وجود ولد للإمام العسكري عليه السلام في حياته، إذ يعتقدون أن ولداً وُلد له بعد وفاته بثمانية أشهر، و يزعمون غيبته و ينتظرون رجعته (فرق ٧؛ العيون ٨؛ الملل ٧).

٩ - المنكرون وجود ولدٍ للإمام العسكري عليه السلام أصلاً. و يعتقد هؤلاء أن إحدى إماء الإمام عليه السلام حملت بولد يزعمون أنه الإمام بعد أبيه متى ولدت حتى لو كان بعد مائة سنة. (فرق ٨؛ العيون ٩؛ غيبة الطوسي ٦١. و ذكر الشهرستاني هذه الفرقة ضمن الفرقة الثامنة).

١٠ - المعتقدون بانقطاع الإمامة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام بسبب معصية الناس و غضب الله عليهم (فرق ٩؛ العيون ١٠؛ الملل ٨؛ غيبة الطوسي ٥١، ٦٣، ١٤٥).

١١ - الفرقة النفيسية القائلة بإمامة محمد نجل الإمام الهادي عليه السلام في حياته، و المعتقدة بإمامة أخيه جعفر بعده بنص من محمد نقله نفيس غلام الإمام الهادي عليه السلام. و هذه الفرقة تنكر إمامة الإمام العسكري عليه السلام (فرق ١١؛ العيون ١١. و لا وجود لهذه الفرقة في الملل و النحل و غيبة الطوسي).

١٢ - الشكاكون في الإمامة. و يعتقدون بوفاة الإمام العسكري عليه السلام و عدم خلوه الأرض من حجة، لكنهم ينتظرون وضوح أمر الإمامة. (فرق ١١؛ العيون ١٢؛ الملل و النحل ١٠؛ غيبة الطوسي ١٦٣).

١٣ - القائلون بوجود ولد مننظر للإمام العسكري عليه السلام يدعى محمداً، بيد أنهم يذهبون إلى وفاته و بعثه بعد ذلك (فرق: ليس لهم ذكر؛ العيون ١٣؛ الملل: لا وجود لهم فيه؛ غيبة الطوسي ٦٠).

١٤ - المعتقدون بوفاة الإمام العسكري عليه السلام المنتظرون قيام ولده الغائب. و يرى هؤلاء أن الأرض لا تخلو من حجة، و لكنهم يمترون في أن الولد المذكور ولد قبل

وفاة أبيه أو بعدها (الملل ٩).

١٥ - الفطحية و يذهبون إلى وفاة الإمام العسكري عليه السلام وإمامة جعفر بعده (فرق ١٣؛ العيون ١٤؛ الملل: لا وجود لهم فيه؛ غيبة الطوسي ٦٢-١٤٥).

١٦ - جماعة اشتبه عليهم الأمر هل كان للإمام العسكري عليه السلام ولد أم لا؟ و هؤلاء ينتظرون وضوح المسألة. لكنهم كانوا قد قبلوا وجوده (غيبة الطوسي ١٦ و ١٤٤).

١٧ - الواقعة في الإمامة. كانوا يقولون: الحقيقة خافية علينا، وإذا ظهر اختلاف بين الشيعة في مسألة فإننا نفرع إلى رجل من آل محمد (الرضا من آل محمد)^١، حتى يظهر الله حجته على الخلق، و حين يظهر هذا الشخص فلا حاجة إلى المعجزة والكرامة لقبول إمامته إذ إن أتباع الناس إياه معجزة بلا نزاع (الملل ١١).

١٨ - القائلون بثلاثة عشر إماماً، و هؤلاء يعتقدون بوفاة الإمام الثاني عشر وإمامة ولد له^٢. (غيبة الطوسي ١٤٧).

١٩ - أصحاب الحلّاج الذين يزّون أنّ الإمامة قد خُتِمت بعد الإمام الثاني عشر، و أنّ القيامة قد أُرِقت^٣.

٢٠ - أتباع عقيدة نسبها صاحب الفهرست إلى أبي سهل النوبختي^٤.
تشابه مقالات هذه الفرق العشرين كثيراً، و لذلك لم يفرّق بينها المؤلّفون القدماء. يضاف إلى ذلك أنّ معظم هذه الفرق قد اندثر بسبب قلة أتباعها، و لم يبقَ

١ - كان أنصار العلويين يرفعون هذا الشعار عندما لم يحدّدوا شخصاً منهم بعينه، كما أنّ الحلّاج في بادئ أمره دعا الناس إلى إمامة شخص بهذا الاسم دون أن يصرّح به (قسم من كتاب المنتظم لابن الجوزي في حاشية صلة تاريخ الطبري ص ٥٠ Pssion d'al-Hallâdj نقلًا عن أنساب الأشراف للبلاذري)
راجع: كتاب كمال الدين ٧١ و غيره للوقوف على استعمال هذا الشعار.

٢ - هؤلاء هم غير القائلين بثلاثة عشر إماماً أحدهم زيد بن علي، مثل أبي نصر هبة الله بن محمد. (انظر: ص ١٣٩-١٣٨ من هذا الكتاب).
٣ - ص ١٣٩-١٣٨ من هذا الكتاب.

٤ - ص ١٣٩ من هذا الكتاب.

منها إلا الإمامية الاثنا عشرية الذين نبغ فيهم متكلمون و رواة و فقهاء و سياسيون كبار، فنشطوا على مرّ الأيام، و لم تصمد أمامهم فرقة تذكر. و من هنا يرون أنّ انقراض الفرق الأخرى و بقاءهم أحد الأدلة على حقانية مقالاتهم.

الفصل الثامن

أبو إسحاق إبراهيم مؤلف كتاب «الياقوت» (النصف الأول من القرن الرابع)

الكتاب الوحيد المستقل الذي تركه أحد كبار الأسرة النوبختية الكثيرين ، و لا ريب في انتسابه إليه هو كتاب الياقوت . و قد ألّفه أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت . و كان في عداد أشهر الكتب الكلاميّة ، و قام جماعة من العلماء بشرحه و الاستناد إلى أقواله .

بيد أنّنا لا نجد في كتب التاريخ و التراجم ذكراً لمؤلفه الجليل الذي كان من متكلمي الشيعة القدماء . و لعلّ كتابه من أقدم الكتب الكلاميّة المتوفّرة المأثورة عن هذه الفرقة . و العجيب حقّاً أن لا يذكره أحد المؤلّفين بمن فيهم الشيعة .

وصل إلينا كتاب الياقوت في ضمن الشرح الذي كتبه عليه العلامة الحسن بن المطهر الحلبيّ (٦٤٨-٧٢٦هـ) بعنوان أنوار الملكوت في شرح الياقوت . و نقل الشارح كتاب الياقوت كلّّه في شرحه . و سبق العلامة الحلبيّ في شرحه المؤرّخ و المتكلم المعتزليّ المعروف عزّ الدّين عبد الحميد بن أبي الحديد (٥٨٦-٦٥٦هـ)^١ إذ كان له

١- ذكرنا في ص ٤٨ و ٦٩ من هذا الكتاب، تبعاً لصاحب فوات الوفيات و غيره، أنّ وفاة ابن أبي الحديد

شرح عليه أيضاً^١. و لكن لا أثر اليوم لهذا الشرح ، و لم ينقل أحد منه شيئاً فيما أعلم .

و عندما ينقل مؤلفو الكتب الكلامية قولاً عن مؤلف الياقوت فإنهم يذكرونه باسم (ابن نوبخت) ، إلا العلامة الحلبي فإنه يذكره باسم (الشيخ أبو إسحاق) . كما يذكره في مقدمة كتاب أنوار الملوك ، التي سننقلها نصاً باسم (الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت) . و هذه الكنية و الاسم موجودان في مقدمة النسخ الثلاث التي رأيتهما من كتاب أنوار الملوك بصيغة واحدة ، فلا اختلاف بينها^٢ .

و لا أدري لماذا ذكر الميرزا عبد الله الأفندي في رياض العلماء^٣ أن اسمه إسماعيل ، على الرغم من تصريح العلامة الحلبي باسمه . و كذلك تبعه بعض المؤلفين الجدد من الشيعة في العراق و سورية^٤ ، فذكروا أن اسمه إسماعيل بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت . و لا نعرف المصدر الذي رجع إليه صاحب رياض العلماء . و لما كان مؤلف كتاب الياقوت - كما سنرى - من الذين عاشوا بعد الغيبة الصغرى ، و كان معاصراً للإمام أبي الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ) و أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (المتوفى سنة ٣٢٠هـ) - أي من رجال النصف الأول من القرن

→ كانت في سنة ٦٥٥هـ ، ثم تبين لنا بعد التحقيق أنها كانت سنة ٦٥٦هـ . و نقل ابن الفوطي في كتاب الحوادث الجامعة ٣٣٦ شعراً له في رثاء أخيه القاضي موفق الدين أبي المعالي القاسم بن أبي الحديد الذي توفي في جمادى الآخرة من تلك السنة ، و ذكر أنه عاش بعده أربعة عشر يوماً . و نقل هندوشاه النخجواني في كتاب تجارب السلف الفارسي حكاية عن لقاء ابن أبي الحديد بالخواجه نصير الدين الطوسي بعد دخول التتر بغداد ، مما يدل على أنه كان حياً عندما غزاها هولاكو في ٤ صفر ٦٥٦هـ .

١- شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٧٥ : روضات الجنات ٤٢٣ .

٢- مخطوطة المكتبة الرضوية بمشهد المقدسة ، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي ، مخطوطة صديقي الفاضل الميرزا فضل الله شيخ الإسلام . و قد تفضل علي باستنساخ نسخة منها و إرسالها إلي .

٣- تاريخ تأليفه سنة ١١١٦هـ . و كان مؤلفه من معاصري العلامة المجلسي الثاني ، و توفي في الفترة

الواقعة بين سنة ١١٣٠ و ١١٤٠هـ . ٤- منهم صاحب كتاب الشيعة و فنون الإسلام ٤٨ .

الرابع - فلا يمكن أن يكون حفيداً لأبي سهل بن نوبخت . من هنا نحذو حذو العلامة الحلبي في ذكر اسمه، ولا ندع ذلك أبداً ما دمنا لانملك دليلاً على نقضه ، بخاصة أن العلامة المجلسي يسميه في بحار الأنوار^١ : الشيخ إبراهيم . و نستبعد أن يكون العلامة أقل اطلاعاً من صاحب رياض العلماء في هذا المجال ، و لم يعثر على هذه النقطة و هو الذي كان مطلعاً اطلاعاً واسعاً على كتب الشيعة و مصادرها ، و كانت له مكتبة كبيرة .

عصر مؤلف «الياقوت»

يمكننا من خلال مطالعة كتاب الياقوت أن نعرف العصر الذي كان يعيش فيه مؤلفه على وجه التخمين .

أولاً: أورد مؤلف الكتاب مبحث الإمامة بعد مبحث النبوة في آخر كتابه تبعاً لأبي سهل النوبختي ، و ذكر مسألة الغيبة في ذلك المبحث . و تناول الإشكالات التي وجهها أهل السنة إلى الشيعة في هذا المجال و في اختلاف الشيعة أنفسهم في الفتاوى و الأحكام ، و أجاب عنها .

و هذا يدل على أن المؤلف كان يعيش بعد عصر الغيبة و بعد العصر الذي كان الخلاف فيه قائماً بين علماء الشيعة حول عدد الأئمة . و هذا العصر - كما أشرنا من قبل - لم يتقدم على النصف الأول من القرن الرابع ، بل كان مقارناً لأواخر حياة أبي سهل اسماعيل بن علي النوبختي^٢ .

ثانياً: نقض المؤلف في كتابه آراء الأشاعرة و رئيسهم الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ) مرّات عديدة . و هو وإن لم يصرّح باسم الأشعري لكنه ذكر فقرات من مقالاته الخاصة التي تفرد بها و لم يُبديها قبله أحد ،

بخاصّة مسألة «إثبات الصفات القديمة»^١، و «الكسب»^٢، و «الكلام النفساني»^٣. وهي من مقالاته و موضوعاته الخاصّة. و ردّ عليه الشيخ أبو إسحاق، و عدّ «الكسب» و «الكلام النفساني» هذياناً.

كانت ولادة أبي الحسن الأشعريّ سنة ٢٦٠هـ. و كان حتّى الأربعين من عمره تقريباً يحضر درس أبي عليّ الجبائيّ، أي حتّى أوائل القرن الرابع. و كان من أتباعه في الاعتزال، ثمّ فارقه بعد ذلك التاريخ، و بثّ مقالاته الخاصّة به، و أنشأ المذهب الأشعريّ.

و يتبيّن من هذا أنّ الأشاعرة لم يكونوا ينشطون حتّى زهاء سنة ٣٠٠هـ، بل إلى مدّة بعدها، و لم ينشروا آراءهم الخاصّة فبرّد عليها أحد. و من الأدلّة على ذلك أنّنا نلاحظ في فهرس الكتب الكلاميّة لأبي سهل النوبختيّ و أبي محمّد الحسن بن

١- «المسألة التاسعة» من «المقصد الخامس»، من متن كتاب الياقوت. قال الشيخ المفيد في كتاب أوائل المقالات: «و أحدث رجلٌ من أهل البصرة يعرف بالأشعريّ قولاً خالف فيه جميع ألفاظ الموحدّين و معانيهم فيما وصفناه. و زعم أنّ الله عزّ و جلّ صفات قديمة و أنّه لم يزل بمعنى لا هي هو و لا غيره، من أجلها كان مستحقّاً للوصف بأنّه عالم حيّ قادر سميع بصير متكلمّ مريد. و زعم أنّ الله وجهاً قديماً و سمعاً قديماً و بصرأ قديماً و يديّن قديمين، و أنّ هذه كلّها أزليّة قديمة. و هذا قول لم يسبقه إليه أحد من منتحلي التوحيد فضلاً عن أهل الإسلام». و قد تفضّل الأخ شيخ الإسلام الزنجانيّ باستنساخ هذه الفقرة و إرسالها إليّ. انظر: الملل و النحل ٦٦-٦٧.

٢- المسألة الثالثة، المقصد السابع: كان بعض علماء الكلام يرى أنّ عجائب هذا الفنّ ثلاث: القول بالطفرة عن النّظام (الملل و النحل ٣٨)، و القول بالأحوال عن أبي هاشم الجبائيّ (نفسه ٥٧)، و القول بالكسب عن أبي الحسن الأشعريّ (نفسه ٦٨-٦٩). و قال أحد الشعراء في ذلك:

مِمَّا يُقَالُ وَ لَا حَقِيقَةُ تَحْتَهُ مَعْقُولَةٌ تَدُنُو إِلَى الْأَنْفِهَامِ
الْكَسْبُ عِنْدَ الْأَشْعَرِيِّ، وَ الْحَالُ عِنْدَ هَاشِمِيٍّ، وَ طُفْرَةُ النِّظَامِ!

(منهاج السّنة ١: ١٢٧)

و لعلّ الصحيح في عجز البيت الثاني هو (البهشميّ) مكان (الهاشميّ)، و ذلك منسوب إلى أبي هاشم. و البهشميّة اسم لفرقة كانت تنبئ عقائده (انظر: الملل و النحل ٥٤، و الأنساب للسمعانيّ ١٩٦ f).

٣- المسألة السادسة، المقصد الخامس، الملل و النحل ٦٨.

موسى كتاباً أو إشارة في ردّ عقائد الأشعرى، في حين كان معاصراً لهما. و لعله لم ينشر آراءه كما ينبغي في حياتهما التي لم تتجاوز سنة ٣١١ هـ. وفي أقرب الاحتمالات أنه قام بذلك في الفترة الأخيرة من عمره، أي: بين سنة ٣١٠ و ٣٢٤ هـ.

و يبدو أن أبا إسحاق النوبختي ردّ على عقائد الأشعرى بعد تلك الفترة. و إذا لم يكن عصره بعد عصر الأشعرى فإنه أدرك الفترة الأخيرة من عمره. و يُستشف من إشارات العلامة الحلّي في أنوار الملوك أن عصر أبي إسحاق كان متقدماً على عصر الشريف المرتضى علم الهدى (٣٥٥-٤٣٦ هـ)، و أبي الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي (المتوفى سنة ٤٣٦ هـ). و هذان المتكلمان الكبيران وافقا أبا إسحاق في بعض آرائه، و خالفاه في بعضها الآخر.

ثالثاً: سنرى فيما نذكره من شرح أن مؤلف الياقوت قام بنقض القول المشهور لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي في اللذة. و لهذا لا يمكن أن يكون عصره متقدماً على عصر محمد بن زكريا الذي توفي سنة ٣٢٠ هـ.

إن إيجاز كتاب الياقوت، و صعوبة فهمه، و غاية اختصاره، كل أولئك دليل على قديمه. و يظهر أنه صُنّف قبل كتب الشيعة الكلاميّة المفصّلة. و هو من النماذج التي احتذاها الشيخ المفيد، و الشريف المرتضى، و الشيخ الطوسي في كتبهم.

و كان في الأسرة النوبختية رجلٌ يسمّى إبراهيم. و هو والد أحمد بن إبراهيم، و أبي جعفر عبد الله بن إبراهيم. و كان أحمد بن إبراهيم كاتباً عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح. و كان حياً مع أخيه حين وفاة الشيخ أبي جعفر العمري النائب الثاني للإمام المهديّ عليه السلام في سنة ٣٠٤ أو ٣٠٥ هـ^١. و لكن هل كان إبراهيم هذا هو مؤلف كتاب الياقوت نفسه؟ و الجواب هو ربّما كان ذلك، و لكن هذا نستبعده؛ لأنّ

عصره متقدّم على سنة ٣٠٤ و ٣٠٥ هـ. ولا يُعَلِّم ما إذا كان حياً أيام انتشار مقالات الأشعريّ و شيوع مذهبه حتّى يستنّى له أن يؤلّف كتاب الياقوت يومئذٍ و ينقض أقوال الأشاعرة.

كتاب أنوار الملكوت

أول من شرح كتاب الياقوت، فيما أعلم، هو ابن أبي الحديد المعتزليّ. و يبدو أنّ هدفه من وراء ذلك هو دعم أفكاره الاعتزاليّة و دحض بعض مقالات الإماميّة في المسائل الكلاميّة، كما هو دأبه في شرح نهج البلاغة و شرح كتاب الذريعة إلى أصول الشريعة^١ للشريف المرتضى علم الهدى، بيّد أنّنا لانجد لهذا الشرح من أثر. و الشرح الذي وصل إلينا - من حسن الحظّ - هو شرح العلامة الحلبيّ المسمّى أنوار الملكوت في شرح الياقوت. و فيما يأتي قسم من مقدّمة الكتاب المذكور الذي صُنّف سنة ٦٨٤ هـ:

«... و قد صنّف العلماء في ذلك كثيراً من المبسوطات و أطنبوا القول فيه بكتب مختصرات و مطوّلات، إلّا أنّهم لم يَسَلِّمُوا من زيغ في تلك الإيرادات و لم يخلصوا من خطأ في بعض الاعتقادات. و قد صنّفنا في ذلك كتباً متعدّدة أوضحنا فيها سبيل الرشاد، و هدّينا إلى طريق السداد، نرجو فيها ذخراً للمعاد. و قد صنّف شيخنا الأقدم و أستاذنا الأعظم أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت قدّس الله روحه الزكيّة و نفسَه العليّة مختصراً سمّاه الياقوت. قد احتوى من المسائل على أشرفها و أعلاها، و من المباحث على أجلّها و أسناها، إلّا أنّه صغير الحجم كثير العلم مستصعب على الفهم في غاية الإيجاز و الاختصار، بحيث يعجز عن حلّه أوّلو الأنظار. فرأينا أن نضع هذا الكتاب الموسوم بأنوار الملكوت في شرح الياقوت على

ترتيبه و نظمه ، مُوضَّحاً لِمَا التَّبَسَّ من مشكلاته ، مُبَيِّناً لِمَا استبهم من معضلاته ، مع زيادات لم توجد في هذا الكتاب .

و لم يقتصر العلامة الحلي في شرح كتاب اليافوت - كما قال - على ترتيب الكتاب الأصلي و نظمه فحسب ، بل نقل عبارات المؤلف نفسها في البداية ثم شرحها . و رفض في بعض المواضع رأي المؤلف القريب من مشرب المعتزلة ، و أورد في مقابله رأيه الذي يمثل عصارة اجتهادات متكلمي الشيعة بعد الشيخ أبي إسحاق ، كالشيخ المفيد ، و الشريف المرتضى ، و الشيخ الطوسي ، و الخواجه نصير الدين الطوسي و أمثالهم .

إن كتاب اليافوت ، فيما أعلم ، أقدم كتاب كلامي موجود للشيعة . و ننقل فيما يأتي فهرساً لموضوعاته بالنحو الذي أورده العلامة الحلي في أنوار الملكوت نصاً ، ليتبين ترتيب المباحث الكلامية لمتكلمي الشيعة يومئذ :

المقصد الأول في النظر ، و فيه ثلاث عشرة مسألة :

المسألة الأولى : في ماهية النظر .

المسألة الثانية : في وجوبه .

المسألة الثالثة : في أنه مفيد للعلم .

المسألة الرابعة : في أن وجوبه عقلي .

المسألة الخامسة : في أنه أول الواجبات .

المسألة السادسة : في الدليل .

المسألة السابعة : في أن الدليل السمعي هل يفيد اليقين أم لا

المسألة الثامنة : في ضبط الاستدلال بالدلائل السمعية .

المسألة التاسعة : في حد العلم .

المسألة العاشرة : في تقسيم العلم .

المسألة الحادية عشرة : في أن العلم بالدليل مغاير للعلم بالمدلول و الدلالة .

المسألة الثانية عشرة : في أنَّ النظر يولد العلم .

المسألة الثالثة عشرة : في أنَّ المعارف مقدورة لنا .

المقصد الثاني في الجوهر ، و العرض ، و الجسم ، و فيه عشر مسائل :

المسألة الأولى : في تعريف الجوهر ، و العرض ، و الجسم .

المسألة الثانية : في الجزء الذي لا يتجزئ .

المسألة الثالثة : في تماثل الأجسام .

المسألة الرابعة : في جواز خلوّ الأجسام عن الطعوم و الألوان و الروائح .

المسألة الخامسة : في أنَّ الأجسام مرئية .

المسألة السادسة : في إثبات الخلاء .

المسألة السابعة : في تعريف الحركة .

المسألة الثامنة : في تعريف السكون .

المسألة التاسعة : في أنَّ حصول الحركة و السكون ليس بمعنى .

المسألة العاشرة : في استحالة الانتقال و البقاء على الأعراض .

المقصد الثالث في أحكام الجواهر و الأعراض ، و فيه أربع مسائل :

المسألة الأولى : في حدوث الأجسام .

المسألة الثانية : في إبطال التسلسل .

المسألة الثالثة : في شُبّه الخصوم و الردّ عليها .

المسألة الرابعة : في أنَّ العالم لا يجب أن يكون أبدياً .

المقصد الرابع في الموجودات ، و فيه سبع مسائل :

المسألة الأولى : في أنَّ الوجود نفس الماهية .

المسألة الثانية : في أنَّ المعدوم ليس بشيء .

المسألة الثالثة : في قسمة الوجود إلى القديم و المحدث .

المسألة الرابعة : في أنَّ القديم لا يستند إلى المؤثر .

المسألة الخامسة: في انقسام الموجود إلى الواجب و الممكن .

المسألة السادسة: في خواصّ الواجب لذاته تعالى .

المسألة السابعة: في خواصّ الممكن لذاته .

المقصد الخامس في إثبات الصانع و توحيده و أحكام صفاته ، و فيه تسع عشرة

مسألة :

المسألة الأولى: في إثباته .

المسألة الثانية: في أنّه تعالى قادر .

المسألة الثالثة: في أنّه تعالى عالم .

المسألة الرابعة: في أنّه تعالى حيّ .

المسألة الخامسة: في أنّه تعالى سميع بصير .

المسألة السادسة: في أنّه تعالى مريد .

المسألة السابعة: في أنّه تعالى متكلم .

المسألة الثامنة: في أنّه تعالى غنيّ .

المسألة التاسعة: في نفي المعاني و الأحوال .

المسألة العاشرة: في أنّه تعالى ليس بجسم و لا جوهر و لا عرض .

المسألة الحادية عشرة: في أنّه تعالى ليس بمتحيّز .

المسألة الثانية عشرة: في أنّه تعالى ليس حالاً في غيره .

المسألة الثالثة عشرة: في أنّه تعالى يستحيل قيام الحوادث بذاته تعالى .

المسألة الرابعة عشرة: في أنّه استحالة رؤيته تعالى .

المسألة الخامسة عشرة: في أنّه تعالى قادر على كلّ مقدور .

المسألة السادسة عشرة: في أنّه تعالى عالم بكلّ معلوم .

المسألة السابعة عشرة: في أنّه تعالى واحد .

المسألة الثامنة عشرة: في أنّه يبطال الماهيّة .

المسألة التاسعة عشرة: في أنَّ كلامه تعالى حادث .

المقصد السادس في استناد صفاته إلى وجوبه تعالى ، وفيه خمس مسائل :

المسألة الأولى: في أنَّ المؤثر واجب الوجود لذاته .

المسألة الثانية: في استناد سلب العرضية و الجسمية عنه تعالى إلى الوجوب .

المسألة الثالثة: في أنَّه تعالى ليس له صفة زائدة على الماهية .

المسألة الرابعة: في أنَّه يستحيل عليه التغير .

المسألة الخامسة: في أنَّه تعالى مبتهج بذاته .

المقصد السابع في العدل ، وفيه خمس مسائل :

المسألة الأولى: في التحسين و التقبيح .

المسألة الثانية: في أنَّ الله تعالى لا يفعل القبيح .

المسألة الثالثة: في أنا فاعلون .

المسألة الرابعة: في أنَّه تعالى لا يريد القبيح .

المسألة الخامسة: في المتوَلَّدات .

المقصد الثامن في الآلام و الأعواض ، وفيه ثماني مسائل :

المسألة الأولى: في الوجه الذي يقبح له الألم .

المسألة الثانية: في الوجه الذي يحسن به الألم .

المسألة الثالثة: في الوجه الذي يحسن منه تعالى فعل الألم به .

المسألة الرابعة: في إبطال قول البكرية و التناسخية .

المسألة الخامسة: في إثبات العوض على الله تعالى .

المسألة السادسة: في الانتصاف .

المسألة السابعة: في انقطاع العوض .

المسألة الثامنة: في أنَّ العوض (لا يسقط) بالهبة و الإبراء .

المقصد التاسع في أفعال القلوب و نظائرها ، و فيه اثنتا عشرة مسألة :

المسألة الأولى : في العلم .

المسألة الثانية : في جواز تعلّق العلم بمعلومات .

المسألة الثالثة : في اختلاف العلوم باختلاف المعلومات .

المسألة الرابعة : في مباحث متعلّقة بالإرادة .

المسألة الخامسة : في إبطال كلام النفس .

المسألة السادسة : في حدّ اللذة و الألم .

المسألة السابعة : في ماهيّة القدرة .

المسألة الثامنة : في أنّ القدرة قبل الفعل .

المسألة التاسعة : في تعلّق القدرة بالضدّين .

المسألة العاشرة : في متعلّق القدرة .

المسألة الحادية عشرة : في أنّ القدرة غير موجبة للفعل .

المسألة الثانية عشرة : في أنّ القدرة غير باقية .

المقصد العاشر في التكليف ، و فيه أربع مسائل :

المسألة الأولى : في شروطه .

المسألة الثانية : في ماهيّة الإنسان .

المسألة الثالثة : في بيان حسن التكليف .

المسألة الرابعة : في استحالة تكليف ما لا يُطاق .

المقصد الحادي عشر في الألفاظ ، و فيه خمس مسائل :

المسألة الأولى : في حدّه .

المسألة الثانية : في وجوبه .

المسألة الثالثة : في أنّه لا يجوز فعل اللطف بالقبح .

المسألة الرابعة : في أنّه تعالى لا يحسن منه العقاب عند منع اللطف .

المسألة الخامسة : في الأصلح في الدنيا .

مسائل أربع في التوحيد

المسألة الأولى : في كونه عالماً في الأزل .

المسألة الثانية : في كونه تعالى قادراً في الأزل .

المسألة الثالثة : في كونه حياً أزلياً .

المسألة الرابعة : في الجواب عن كلام هشام .

المقصد الثاني عشر في اعتراضات الخصوم في التوحيد والعدل والجواب

عنها ، وفيه ست مسائل :

المسألة الأولى : في الاعتراض على القدرة و الجواب عنه .

المسألة الثانية : في تحقيق معنى كونه تعالى سميعاً بصيراً .

المسألة الثالثة : في كونه تعالى مريداً .

المسألة الرابعة : في إبطال قدم الكلام .

المسألة الخامسة : في إبطال دليل الأشاعرة في الرؤية .

المسألة السادسة : في جواب شبهة المجبرة في التحسين و التقبيح .

المقصد الثالث عشر في الوعد والوعيد ، وفيه إحدى عشرة مسألة :

المسألة الأولى : في أنّ وجوب الثواب و العقاب سمعيّ .

المسألة الثانية : في إبطال الإحباط .

المسألة الثالثة : في أنّ عقاب الفاسق منقطع .

المسألة الرابعة : في إثبات الشفاعة .

المسألة الخامسة : في عدم وجوب قبول التوبة .

المسألة السادسة : في أنّ التوبة واجبة .

المسألة السابعة : في أنّ التوبة يصحّ من قبيح دون قبيح .

المسألة الثامنة : في أنّ المؤمن لا يكفر .

المسألة التاسعة : في الفاسق يسمّى مؤمناً و بيان ماهيّة الإيمان .

المسألة العاشرة : في إثبات الصراط و الميزان و غيرهما من السمعيّات .

المسألة الحادية عشرة : في اعتراضات الخصوم على مسائل الوعد و الوعيد .

المقصد الرابع عشر في النبوات ، و فيه عشرون مسألة :

المسألة الأولى : في جواز البعثة .

المسألة الثانية : في شرائط المعجز .

المسألة الثالثة : في إثبات نبوة محمد ﷺ .

المسألة الرابعة : في جواز الكرامات .

المسألة الخامسة : في أنّ الأنبياء أشرف من الملائكة .

المسألة السادسة : في الاعتراضات على النبوة و الجواب عنها .

المسألة السابعة : في الإعادة و أحكامها .

المسألة الثامنة : في بقاء الجواهر .

المسألة التاسعة : في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

المسألة العاشرة : في الآجال .

المسألة الحادية عشرة : في الأسعار .

المسألة الثانية عشرة : في الأرزاق .

المسألة الثالثة عشرة : في بيان عصمة الأنبياء .

المسألة الرابعة عشرة : في الردّ على اليهود .

المسألة الخامسة عشرة : في الردّ على النصارى .

المسألة السادسة عشرة : في الردّ على المنجمين .

المسألة السابعة عشرة : في إبطال قول الثنويّة .

المسألة الثامنة عشرة : في الردّ على المجوس .

المسألة التاسعة عشرة : في الردّ على عبدة الأصنام .

المسألة العشرون : في الردّ على الغلاة .

المقصد الخامس عشر في الإمامة ، و فيه : اثنتا عشرة مسألة :

المسألة الأولى : في أنّها واجبة .

المسألة الثانية : في وجوب العصمة .

المسألة الثالثة : في باقي صفات الإمام .

المسألة الرابعة : في وجوب النصّ .

المسألة الخامسة : في جواب الاعتراضات على ما تقدّم .

المسألة السادسة : في تعيين الإمام .

المسألة السابعة : في الجواب عن اعتراضات الخصوم .

المسألة الثامنة : في النصّ الخفيّ .

المسألة التاسعة : في تتبّع اعتراضات الخصوم .

المسألة العاشرة : في نصوص دالة على إمامته .

المسألة الحادية عشرة : في إمامة باقي الأئمة الاثني عشر .

المسألة الثانية عشرة : في حكم المخالفين .

و يبدو أنّ كتاب الياقوت لم يكن كثير الاشتهار بين الشيعة حتّى عصر العلامة الحلّي مع وجود شرح ابن أبي الحديد . و زاد الاهتمام به و بمؤلّفه بعد انتشار كتاب أنوار الملوك ، و أصبح الاقتباس منه و شرح موضوعاته و نقل أقوال مؤلّفه أموراً مألوفة . و من ذلك ما قام ابن أخت العلامة الحلّي - و هو السيّد عميد الدين عبد المطلب الحسينيّ الحلّي (٦٨١-٧٥٤هـ) - من شرح الكتاب المذكور . و قضى بين المؤلّف الأصليّ أبي إسحاق و الشارح ، أي : العلامة الحلّي^١ .

و نظم الشيخ شهاب الدين إسماعيل بن الشيخ شرف الدين أبي عبد الله

العُودِيّ العامليّ كتاب الياقوت في أرجوزة. و كان هذا الشيخ من أدباء جبل عامل و شعرائه. و عاش قبل سنة ١٠٩٧هـ، و هي سنة تأليف كتاب أمل الآمل^١. و كان أحد علماء الشيعة قد رتب مختارات من شرح الياقوت^٢.

كتاب الابتهاج

كان للشيخ أبي إسحاق النوبختي كتاب آخر في أحد المباحث الكلاميّة تحت عنوان الابتهاج، أشار إليه المؤلف نفسه في كتاب الياقوت. و ذكر العلامة الحلّي أنّ الكتاب لم يصل إليه.

موضوع الكتاب إثبات اللذة و السرور والابتهاج للباري تعالى. و هو الموضوع الذي نفاه المتكلمون جميعاً، و جهد الفلاسفة في إثباته. و وافقهم الشيخ أبو اسحاق على ذلك خلافاً لمتكلمي الشيعة و غيرهم. قال الفلاسفة: «و اعلم أنّ كلّ خير مؤثّر و إدراك المؤثّر من حيث هو مؤثّر حبّ له، و الحبّ إذا أفرط سُمّي عشقاً. و كلّما كان الإدراك أتمّ و المدرك أشدّ خيريّة كان العشق أشدّ. و الإدراك التامّ لا يكون إلّا مع الوصول التامّ، و يكون ذلك على ما مرّ لذة تامّة و ابتهاجاً تاماً. فإذا العشق الحقيقيّ هو الابتهاج بتصوّر حضور ذاتٍ ما هي المعشوقة. ثمّ لما كان الشوق عندنا من لوازم العشق و ربّما يشتبه أحدهما بالآخر أشار إلى الشوق أيضاً، و ذكر أنّه الحركة إلى تتميم هذا الابتهاج. و لا يتصوّر ذلك إلّا إذا كان المعشوق حاضراً من وجه، غائباً من وجه. ثمّ أثبت العشق الحقيقيّ للأوّل تعالى لحصول معناه هناك، فإنّه الخير المطلق و إدراكه لذاته أتمّ الإدراكات... فإذا يجوز أن يكون

١- أمل الآمل ٤٢٨ (ذيل رجال الاسترآبادي) و ص ٧ (ذيل رجال أبي علي). و ورد فيهما اسم الشاعر سهواً على أنّه أحمد، في حين جاء في مخطوطة أمل الآمل العائدة لي - التي تمّ استنساخها من النسخة المكتوبة بخطّ المؤلّف سنة ١٢٠٥هـ، و في كتاب الحجب و الأستار ٣٨ أنّ اسمه: إسماعيل.

٢- بحار الأنوار ٢٦: ١٧٣.

إدراك الغير موجباً للحبّ وإدراكه تعالى غير موجب له . و الجواب : إنّ الحبّ ليس هو الإدراك فقط، بل هو إدراك المؤثر من حيث هو مؤثر . وإدراك الكمال إنّما يوجب حبّه لكون الكمال مؤثراً . ولما كان الكمال وإدراكه موجودين للأول تعالى حكموا بثبوت الحبّ هناك^١ .

هذا القول - أعني : إثبات السرور واللذة لله تعالى - هو قول الفلاسفة كما أشرنا ، سيّد أنهم استعملوا كلمة «الابتهاج» مكان «اللذة» و «السرور» المتداولتين المستعملتين في الإنسان غالباً . و لم يوافقهم جمهور المتكلّمين في هذا الموضوع ، وكانوا يزّون أنّ إثبات ذلك بمنزلة إثبات النقص لله تعالى ، و يقولون إنّ اللذة من توابع اعتدال المزاج و لا تصحّ نسبتها إلى الله تعالى الذي لا ينسب إليه المزاج . يضاف إلى ذلك أنّنا إذا اعتبرنا اللذة قديمة أو حادثة ، فهي في الحالة الأولى تتنافى مع الأزليّة الإلهيّة ، و في الحالة الثانية تجعل الله تعالى محلاً للحوادث .

على الرغم من هذا الاعتراض الذي أبداه معظم المتكلّمين فإنّ الفلاسفة و عدداً من أهل الكلام أجابوا عن الاعتراضات المتقدّمة و قاموا بإثبات السرور و الابتهاج ، بل الغمّ و الألم لله تعالى بالأدلة العقلية و النقلية . و كان أبو شعيب - و هو من قدماء المعتزلة - يرى استناداً إلى بعض الآيات القرآنيّة أنّ السرور و الغمّ و الغيرة و الأسف أمور ثابتة لله تعالى ، بيد أنّ سائر المتكلّمين كانوا يؤوّلونها بوجوه أخرى . و كان حجة الإسلام الإمام محمّد الغزاليّ - أحد متكلّمي الأشاعرة - يجيز إثبات اللذة لله تعالى^٢ . و كان لابن أبي الحديد الذي شرح كتاباً آخر للشيخ أبي إسحاق النوبختيّ - هو كتاب اليافوت - رأي في مبحث اللذة و الألم و نسبتها إلى البارئ تعالى ، و كتب رسالة أخرى في هذا الموضوع^٣ لكنّها ليست في متناول

١ - شرح الإشارات ، النمط الثامن ، نصير الدين الطوسيّ .

٣ - نفسه ١ : ٤٧٥ .

٢ - شرح نهج البلاغة ١ : ٢٩٧ .

أيدينا. و نحتمل أن هذه الرسالة شرح لكتاب الابتهاج، و من قبيل ردّ آرائه. و نقل أبو إسحاق النوبختي في كتاب الياقوت، في مبحث اللذة و الألم و إثبات الابتهاج لذات الباري تعالى، قول أبي بكر محمد بن زكريا بن يحيى الرازي الطبيب و الفيلسوف المعروف الذي توفي - في أصحّ الأقوال - سنة ٣٢٠هـ، في باب اللذة و ردّ عليه. و مع أن اسم الرازي غير مذكور في كتاب الياقوت إلا أن العلامة الحلي أشار في شرح الكتاب إلى نسبة ذلك الرأي إليه. و كان الرازي الذي يُعدّ من أنصار فورون اللذي^١ في هذا الرأي قد أخذه من الفلاسفة الإغريق الشكاكين في القرن الثالث قبل الميلاد، و هو مذكور في الكتب الأخرى باسمه أيضاً^٢.

و نقض ناصر خسرو في كتاب زاد المسافرين أقوال محمد بن زكريا مراراً، و قال في ردّ رأيه في اللذة: «قال هذا الرجل [محمد بن زكريا] في بداية مقالته: إنّ اللذة الحسيّة ليست إلّا الراحة من المشقة، و المشقة ليست إلّا الخروج من الطبيعة، و اللذة ليست إلّا الرجوع إلى الطبيعة، و الرجوع إلى الطبيعة ليس إلّا الخروج من المشقة»^٣.

و لا يتفق هذا الرأي مع رأي الفلاسفة الأوائل و متكلمي المعتزلة؛ لأنّ هؤلاء يقولون: «الألم إدراك المنافر أو المنافي و اللذة إدراك الملائم»^٤. و قال أبو إسحاق النوبختي في كتاب الياقوت: «الألم إدراك المنافي و اللذة إدراك الملائم، و ليس الخلاص من الألم كلذة المبصر مبتدأ لصورة جميلة».

الشقّ الأول من هذا الكلام تعريف للذة و الألم حسب رأي جمهور الفلاسفة و المعتزلة. و الشقّ الثاني منه قول محمد بن زكريا الذي ردّ عليه أبو إسحاق بدليل

1 - Pyrrhon.

٢- مختصر الدول ٧٧: القفطي ٢٦٠؛ زاد المسافرين ٢٣١-٢٤٤.

٣- زاد المسافرين ٢٣١. ٤- التعريفات ٨٣، ١٥: مجمع البحرين ٢٤٨.

أتى به . و ذكر أنّ اللذة قد تظهر بدون أن يسبقها ألم ، كما لو أريت صورة جميلة لأحد بدون أن يُمنى بألم الشوق سابقاً فإنه يلتذ برؤيتها ، و حينئذٍ ليس في هذه الصورة لذّة الراحة من الألم و الخلاص منه .

و كان محمّد بن زكريّا قد كتب مقالة مستقلّة في شرح اللذة و أراد أن يثبت أنّ اللذة قسم من أقسام الراحة ، داخلة في ذيله^١ . و لم تُرق هذه المقالة متكلّمي عصره و فلاسفته ، حتّى نقضها في حياته الفيلسوف و الشاعر الفارسيّ أبو الحسن شهيد بن حسين البلخيّ الذي سبق الشاعر الرودكيّ ، أي : قبل سنة ٣٢٩هـ ، و توفيّ - على قولٍ - سنة ٣٢٥هـ ، و كان يتّبع المتكلّم المعتزليّ المعروف أبا القاسم عبد الله بن أحمد الكعبيّ البلخيّ في الفلسفة . و كتب ابن زكريّا نقضاً على نقض شهيد البلخيّ^٢ .

إنّ ذكرنا للرأي محمّد بن زكريّا في باب اللذة و ردّه من قبل أبي إسحاق النوبختيّ دليل آخر على أنّ مؤلّف كتاب الياقوت كان ممّن عاش بعد زمان ابن زكريّا أو في الأقلّ كان من معاصريه في القسم الأخير من حياته .

١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ٣١٥؛ زاد المسافر ٢٣٥.

٢- الفهرست ٣٠١؛ القفطيّ ٢٧٥.

الفصل التاسع

أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل (المقتول سنة ٣٢٢هـ)

و نجله أبو الفضل يعقوب

كان لأبي سهل إسماعيل بن علي المتكلم المعروف ولد آخر غير أبي الحسين عليّ الذي مرّت بنا ترجمته في ذيل سيرة أبيه المذكورة في الفصل السادس، وأصبح أشهر من أخيه بسبب نفوذه في جهاز الخلافة و تدخّله في الأعمال الديوانيّة و الإداريّة .

و من المؤسف أنّ تعيين نسب عدد من آل نوبخت و زمانهم أمر عسير، كما أنّ التحقيق الصحيح في ذلك يبدو متعذراً . و يعود ذلك إلى قلة المعلومات المفصلة المنظّمة حول ترجمة أشخاص عديدين منهم، و إلى تعدّد الأسماء المشتركة في هذه الأسرة، فالطريق مفتوح للحدس و التخمين و الوقوع في الخطأ . من هنا لانظمئنّ إلى أنّنا سنكون مصونين من الخط في إلحاق نسب بعض الأشخاص غير المشهورين من آل نوبخت بالمشاهير الذين سبقوهم، مع عنائنا الكبير، و تدقيقنا، و احتياطنا في البحث . و لن يتيسّر تحديد صحّة أو سقم بعض هذه الفقرات التي نظّمناها من وحي الاضطراب حدساً و ظناً إلا بالحصول على معلومات أخرى .

و حينئذٍ تكتمل هذه الرسالة التي هي بمنزلة التمهيد لبحث مفصل في هذا الموضوع، و تصحح أخطاؤها بمساعدة العلماء الآخرين و جهودهم .

و كان بين آل نوبخت رجل آخر يُدعى إسحاق بن إسماعيل بن نوبخت و هو من أصحاب الإمام أبي الحسن عليّ بن محمد الهادي عليه السلام (٢١٤-٢٥٤هـ)^١ و من الطبيعي أنّ هذا الرجل لا يمكن أن يكون أباً يعقوب إسحاق بن إسماعيل بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت المقتول سنة ٣٢٢هـ المترجم له في هذا الفصل؛ لأنّ المدّة الواقعة بين وفاة الإمام العاشر عليه السلام و قتل أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل قرابة سبعين سنة. و من المستحيل أن يكون الولد من أصحاب الإمام عليه السلام في حين كان عمر أبيه أبي سهل إسماعيل سبع عشرة سنة عند وفاة الإمام عليه السلام (كانت ولادة أبي سهل إسماعيل سنة ٢٣٧هـ كما مرّ بنا).

و إسحاق بن إسماعيل بن نوبخت هذا الذي عدّه مؤلّفو كتب الرجال من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام لا يمكن أن يكون إلّا إسحاق بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت، و هو ابن إسماعيل نديم أبي نواس و جامع ديوانه و أخباره، و قد استعرضنا سيرته في سياق ترجمة أولاد أبي سهل بن نوبخت. و كان لإسحاق بن إسماعيل هذا ولد أيضاً يُدعى يعقوب، ذكره المرزبانيّ باسم يعقوب بن إسحاق بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت. و كان معاصراً للمتكلّم المعروف أبي محمد الحسن بن موسى (المتوفى في إحدى السنوات الواقعة بين سنة ٣٠٠ و سنة ٣١٠هـ) و نقل عنه أبو محمد خبراً حول أبي نواس كان يعقوب قد سمعه من جدّه إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت^٢. و يبدو أنّ يعقوب بن إسحاق هذا هو الذي روى خبراً صغيراً من أخبار الإمام الرضا عليه السلام^٣. و لمّا كان المرزبانيّ قد ذكر نسبه كلّهُ،

١- رجال الاسترآباديّ ٥١: رجال التفريشيّ ٣٩ و غيرهما، نقلاً عن رجال الطوسيّ.

٢- المناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٩٥: ٥.

٣- الموشح ٢٧٤.

فلا يبقى شك في أنه من فرع آخر من فروع آل نوبخت - أي : من أولاد إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت - لا من أعقاب أبي سهل إسماعيل بن عليّ و أخلافه . و كلّهم أولاد إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت . و من الطبيعيّ أنّنا ينبغي أن ننتبه إلى أنّ يعقوب بن إسحاق بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت هو غير أبي الفضل يعقوب بن إسحاق بن أبي سهل إسماعيل بن عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت الذي سنشير إلى ترجمته في ذيل هذا الفصل ؛ لأنّ موضوع هذا الفصل هو أبو الفضل يعقوب بن إسحاق ابن أبي يعقوب إسحاق . وسنذكر أنّه كان من عمّال السلاطين و كتابهم ، و من الذين مدحهم البحتريّ الشاعر المشهور .

و كان لإسحاق بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت - الذي كان من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام - ولدان آخران غير يعقوب المارّ ذكره . أحدهما : عليّ بن إسحاق بن إسماعيل الذي روى طرّفًا من أخبار أبي نواس^١ ، و هو غير عليّ بن إسحاق بن أبي سهل والد المتكلّم الشهير أبي سهل إسماعيل ، و إن كان اسم جدّه إسماعيل . و الآخر : الحسن بن إسحاق الكاتب الذي كان ولداه أحمد و محمّد قد تقارن زمانهما مع بداية الغيبة الصغرى ، و ممّن كانا قد رأيا الإمام القائم عليه السلام قبل الغيبة^٢ .

و بعد ذكر هذه المقدّمات التي رأينا ضرورة بيانها رفعاً للخلط و الالتباس ، نستعرض فيما يأتي ترجمة أبي يعقوب إسحاق بن أبي سهل إسماعيل بن عليّ بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت الذي كان من مشاهير الكتاب في البلاط العبّاسيّ ، و ممّن مدحهم البحتريّ .

إنّ أوّل مرّة ذكر التاريخ فيها إسحاق بن إسماعيل هي سنة ٣١٢ هـ . أي : بعد وفاة أبيه أبي سهل إسماعيل بسنة . بيد أنّ الثابت هو أنّ إسحاق و ابنه أبا الفضل يعقوب

١- أخبار أبي نواس ١ : ١٥٦ .

٢- كمال الدين و تمام النعمة ٢٤٦ .

كانا من ذوي الشأن و النفوذ و من أعيان البلاط و العاملين في الدواوين قبل هذا التاريخ بمدة ، لأنّ البحرّي الذي مات سنة ٢٨٣ أو ٢٨٤ هـ كان قد مدحهما . و يُستشفّ من إحدى مدائح البحرّي أنّ أبا يعقوب إسحاق بن إسماعيل كان مكلفاً بمهمة في أطراف العواصم^١ و قنّسرين ، إذ طهر حدود قنّسرين من رجلٍ معتدٍ و أراح الرعية منه ، و جمع الناس بعد فُرقتهم و عاملهم بالعدل و الإنصاف و كان البحرّي أحدهم ، فقال في قصيدة له مشيراً إلى ذلك :

إِنَّ الْعَوَاصِمَ قَدْ عَصِمْنَ بِأَبِيضٍ	مَاضٍ كَصَدْرِ الْأَبْيَضِ الْمَسْلُولِ ^٢
أَعْطَى الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِيِّ وَرَدَّ مِنْ	نَفْسِ الْوَحِيدِ وَ مَنَّةِ الْمَخْذُولِ
عَرَّ الذَّلِيلَ وَ قَدْ رَأَى تَشَدُّ مِنْ	وَطْءٍ عَلَى نَفْسِ الْعَزِيزِ ثَقِيلِ
وَ رَحِضَتْ قَنَسْرِينَ حَتَّى أُنْقِيَتْ	جَنَبَاتُهَا مِنْ ذَلِكَ الْبَرْطِيلِ
وَ كَمَعَتْ شِدْقُ الْأَكْلِ الدَّرْبِ الشَّنْبَا	حَتَّى حَمَيْتْ جُزَارَةَ الْمَأْكُولِ
أَحْكَمَتْ مَا ذَبَّرَتْ بِالتَّقَرُّبِ	و التَّبْعِيدِ وَ التَّصْعِيبِ وَ التَّسْهِيلِ
لَوْلَا التَّبَائِنُ فِي الطَّبَائِعِ لَمْ يَقُمْ	بُنْيَانُ هَذَا الْعَالَمِ الْمَجْبُولِ
قَوْلٌ يُتَرَجِّمُهُ الْفِعَالُ وَ إِنَّمَا	يُتَفَهَّمُ التَّنْزِيلُ بِالتَّأْوِيلِ
مَاذَا نَقُولُ وَ قَدْ جَمَعَتْ شَتَاتَنَا	وَ أَتَيْنَا بِالْعَدْلِ وَ التَّعْدِيلِ ^٣ !

و هذه المهمة التي نأسف أننا لانعلم متى تحققت و ما هو موضوعها كانت - حسب ما تنفيده القرائن - في أواخر عمر البحرّي الذي كان يعيش يومئذ في أطراف العواصم ، و توفي في حلب أو منبج سنة ٢٨٣ أو ٢٨٤ هـ . و ليس لدينا اطلاع على حياة أبي يعقوب إسحاق منذ وفاة البحرّي حتّى سنة

١ - كانت العواصم مجموعة فلاح بين حلب و أنطاكية ، و هي واقعة بين أراضي المسلمين و المناطق الخاضعة لنفوذ النصارى . و كانت ملجأ للمسلمين عند عودتهم من جهاد النصارى .

٢ - هذه الأبيات من قصيدة في مدح أبي يعقوب إسحاق . و قد ذكرنا قسماً منها في الصفحات الأولى من

٣ - ديوان البحرّي ١٧٨-١٧٩ .

الكتاب .

٣١٢ هـ . و عندما أقال المقتدر العباسي أبا القاسم عبد الله بن أبي عليّ محمد بن يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقانيّ من الوزارة سنة ٣١٣ هـ ، و عيّن مكانه أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخصيبّي يوم الخميس ، الحادي عشر من شهر رمضان تلك السنة ، صادر الوزير الجديد ممتلكات الوزير السابق و ممتلكات عمّاله و كتابه ، و منهم أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي الذي سُجن و حُكم عليه بدفع غرامة^١ .

ثمّ عزل المقتدر الخصيبّي عن الوزارة في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣١٤ هـ ، و عيّن مكانه أبا الحسن عليّ بن عيسى الجراح مرّة أخرى ، و نصب أبا القاسم عبد الله بن محمد الكلواذانيّ نائباً له .

و في حوار دار بين الخصيبّي و عليّ بن عيسى حول الشؤون الماليّة في بداية الوزارة الثانية لعلّي بن عيسى طلب الوزير الجديد من الخصيبّي الأموال التي كانت قد صودرت في أيام وزارته ، فقال الخصيبّي إنّ نسخة ممّا كتبه الأشخاص المصادرة أموالهم ، و الذين تكفّلوا بدفع الغرامة اللّازمة إنّما هي عند هشام بن عبد الله متصدّي ديوان المصادر . فدفع هشام قائمة بأسماء العمّال و الكتاب الذين تكفّلوا بدفع غرامة - و كانوا قد أودعوا تعهداً خطيّاً في هذا المجال - إلى عليّ بن عيسى . و من هؤلاء العمّال أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي الذي كان مسؤولاً عن أموال النهروانات^٢ قبل الوزارة الثانية لعلّي بن عيسى ، و كان في ذمّته مال كثير على ما أفاده تقرير هشام بن عبد الله ، و لم يدفع إلّا مبلغاً ضئيلاً منذ تعيين عليّ بن عيسى وزيراً إلى أن جاء الوزير الجديد من الشام إلى العراق^٣ .

١- تجارب الأمم ٥: ١٤٤ .

٢- النهروانات هي النهروان الأعلى ، و النهروان الأوسط ، و النهروان الأسفل و كانت واقعة شرق السواد على ضفاف دجلة بين بغداد و واسط .
٣- تاريخ الوزراء للصائبي ٣١٢ .

يستبين من هذا الكلام أنَّ إسحاق بن إسماعيل ، بعد أن كان سجيناً في عهد الخصيبى - أي : في رمضان سنة ٢١٣هـ - و صودرت أمواله ، تولى مسؤولية أموال النهروانات ، و ظلَّ في منصبه حتَّى أواخر وزارته التي لم تَدُم أكثر من أربعة عشر شهراً .

و حدثت جفوة بين المقتدر و خادمه و صاحب شرطته مؤنس المظفر سنة ٣١٥هـ . و كان مؤنس قد نُصب والياً على الروم ، و امتنع عن المثل أمام المقتدر لتوذيعة بسبب الجفوة المذكورة . و التَفَّ حوله عسكر السلطان العبَّاسيَّ و جميع قاداته و حواشييه و غلماناه فاضطرَّ المقتدر إلى استعطافه ، بيَّد أنَّ جماعة من عسكره ظلُّوا على تمردهم . و من أسباب ذلك أنَّ عليَّ بن عيسى كان قد أحال دفع نفقاته و نفقات بطانته إلى أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختيَّ ، لكنَّه لم يدفعها إليهم . و لا حقَّ عليَّ بن عيسى إسحاق بن إسماعيل و قبض عليه فسجنه هو و كاتبه أحمد بن يحيى جلخت و جماعة من أصحابه . ثمَّ عزله بعد أن أخذ منه تعهداً بدفع ٥٠٠٠٠ دينار من المال الذي كان في ذمَّته^١ ، و كان يومئذٍ على مال واسط . و في يوم الثلاثاء الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٣١٦هـ عزل المقتدر عليَّ بن عيسى ، و نصب مكانه الكاتب الحَسَن الخطَّ و الأديب البليغ المعروف أبا علي محمد بن عليَّ بن مُقَلَّة الذي لم يتجاوز الرابعة و الأربعين من عمره آنذاك . و أمره - كخطوة أولى - أن يردع مسؤولي الدواوين عن المطالبة بالمصادرات و الغرامات ، و أن يُعيد عدداً من العاملين إلى مناصبهم التي كانوا قد قُصلوا منها . و من هؤلاء أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختيَّ الذي كان عليَّ بن عيسى قد عزله ، فأقرَّه على أموال واسط^٢ .

و منذ هذا التاريخ حتَّى سنة ٣٢٠هـ التي نُصب فيها القاهر العبَّاسي حاكماً ،

١- تجارب الأمم ٥ : ١٦٠ .

٢- صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي ١٣٦ .

لا نمتلك معلومات حول سيرة إسحاق بن إسماعيل غير أنَّ الذي تفيدته القرائن هو أنَّ حكومته كانت تسير نحو التقدّم تدريجاً، إلى أن قُتل المقتدر فأصبح من بعده من ذوي النفوذ والاعتدار في البلاط .

و بعد قتل المقتدر في ٢٨ شوال سنة ٣٢٠هـ أراد مؤنس المظفرّ و سائر رجال البلاط أن ينصبوا أحداً مكانه . و كان رأي مؤنس أن يخلفه ولده أبو العباس أحمد ، بيد أنَّ إسحاق بن إسماعيل لم يوافقهُ على ذلك و لم يستحسن الرجوع إلى ما كانوا عليه بعد أن تخلّصوا من شرّ المقتدر الذي كانت له أمّ و خالة و خدم كثيرون على حدّ تعبيره . و ذكر أنَّ عليهم أن يختاروا من يدبّر حاله و حالهم . و أصرّ على ذلك حتّى أقنع مؤنساً بالعدول عن أبي العباس أحمد ، و اختيار أبي منصور محمّد نجل المعتضد بعد إضفاء لقب «القاهر» عليه^١ .

استهلّ القاهر عمله بمصادرة ممتلكات المقتدر و أمّه . و أجبر أمّه على تسليم أموالها جميعاً للدويان ، و أوكّل أبا الحسين عليّ بن عبّاس النوبختيّ في بيعها . فامتنعت من ذلك و قالت : إنّه كان قد وقف هذه الأموال على الكعبة و الأمصار الإسلاميّة و الضعفاء و المساكين ، فلا يحقّ للقاهر أن يسلبها صفة الوقف . أمّا أملاكي فإنّي أضعها تحت تصرّف عليّ بن عبّاس النوبختيّ لبيعها . و شهد القاضي عمر بن محمّد و غيره برفع الوقفيّة عن تلك الأملاك بحضور القاهر . و أوكّل القاضي عليّ بن عبّاس النوبختيّ ببيعها . كما خولّ أبا طالب النوبختيّ ، و أبا الفرج أحمد بن يحيى جلخت ، و أبا يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختيّ ببيع العقارات التي كانت قد صودرت من أمّ المقتدر ببغداد^٢ .

و عندنا تقلّد القاهر الأمر ، استوزر أبا عليّ محمّد بن عليّ بن مقلّة الذي كان في

١- تجارب الأمم ٥ : ٢٤٢ ، و سائر كتب التاريخ في وقائع سنة ٣٢٠هـ .

٢- تجارب الأمم ٥ : ٢٤٥ .

مهمّة ببلدة فارس . و أشار عليه مؤنس أن يُنيب عنه أبا القاسم الكلواذانيّ ريثما يصل إلى بغداد .

وصل أبو عليّ قادماً من شيراز في العاشر من ذي القعدة سنة ٣٢٠هـ ، و تسلّم مقاليد الوزارة . و تغيّر على الكلواذانيّ لبعض الأسباب فأوقفه و صادر أمواله . و قبض على جماعة من الكتاب و العمال ، أحدهم إسحاق بن إسماعيل النوبختيّ ، و أوكل أمرهم جميعاً إلى أبي عبد الله محمّد بن خلف النيرمانيّ الذي كان من عمّاله الحاذقين ليطلبهم بالأموال التي كانت في ذمتهم ، فخاف إسحاق بن إسماعيل و من معه على أنفسهم لاشتهار محمّد بن خلف بالغلظة و الشدّة ، ففكّروا في الخلاص منه .

لجأ إسحاق النوبختيّ إلى أبي جعفر محمّد بن شيرزاد الذي كان من العاملين في الديوان و من أصدقائه القدماء فتحدّث أبو جعفر مع ابن مقلة بشأنه . فقال ابن مقلة إنّه مضطرّ إلى إبقائه في السجن ؛ لأنّه كان قد قصّر في أداء مالٍ كان عليه أن يدفعه إلى هارون بن غريب^١ في عهد المقتدر ، و ذكر أنّه لا يطلقه لئلاّ يفعل ما فعله سابقاً . ثمّ سيّر مع أبي جعفر حاجباً من حجاب الوزارة و بعث بهما إلى إسحاق . و مذ وقعت عين إسحاق على الحاجب ، صاح و أخذ بتلابيب أبي جعفر ، و طلب منه أن يذهب إلى مؤنس و أن لا يتركه حتّى يخلّصه من مخالف ذلك المجنون ، أي : محمّد بن خلف النيرمانيّ . فذهب أبو جعفر إلى مؤنس و ألحّ عليه إلحاحاً شديداً ، فأرسل أحد رجال البلاط إلى أبي عليّ بن مقلة ليطلق إسحاق ، أو ينقذه من محمّد بن خلف ثمّ يشخصه إليه . فلم يَر أبو عليّ بُدّاً من أن يستجيب لطلب مؤنس ، و يهتمّ بموضوع إسحاق . و استطاع أبو عبد الله البريديّ خلال ذلك أن يخلّص نفسه و إخوته من قبضة محمّد بن خلف ، و أن ينقذ إسحاق بن إسماعيل من محنته

١- ابن خال المقتدر و أحد أمرائه .

أيضاً، فخرج الجميع من سجنهم في يوم واحد^١. و بعد مضيّ مدّة استدعى ابنُ مقلّة إسحاق، و أخذ منه تعهداً خطيّاً أن يدفع ٢٠٠٠ دينار إلى الديوان في كلّ شهر. و عليه أن يعمل بتعهده كما كان يفعل في عهد المقتدر. كما أخذ تعهداً خطيّاً من أولاد البريديّ بدفع ٤٥٠٠ دينار^٢.

لم تدم وزارة ابن مقلّة في عهد القاهرة أكثر من تسعة أشهر و ثلاثة أيّام، إذ وزر من بعده: أبو جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله بن وهب في غرة شعبان سنة ٣٢١هـ. فاعتقل أبا جعفر محمّد بن شيرزاد الذي كان قد سعى في خلاص إسحاق من السجن، و كانت له منّة عليه، و طالبه بمال كثير. فهبّ إسحاق لإغاثة صديقه القديم أبي جعفر بن شيرزاد شكراً له على صنيعه، و توسّط له عند أبي جعفر الوزير. فأنقذه من سجنه و أرسله إلى بيته بعد أن أودع تعهداً خطيّاً بخطّ ابن شيرزاد على أن يدفع ٢٠٠٠٠ دينار^٣.

و كان لإسحاق النوبختيّ نفوذ كبير في عهد وزارة أبي جعفر محمّد بن القاسم و تأثير عظيم في قلب الوزير. يضاف إلى ذلك أنّه لما كان متولّياً أمر أملاك واسط و حوالّي الفرات، و كان من أعيان بغداد و أصحاب الأملاك و الثروة الطائلة فيها، فقد نافس كبار عصره - بما فيهم السلطان العباسيّ - في الثراء. من هنا كان يعدّ ملاذاً للمعزولين و المغضوب عليهم كغيره من بعض أفراد الأسرة النوبختيّة في عصره، فكان يصلح بينهم و بين الوزير.

و من أشهر الأسر التي كانت ضالعة في شؤون الحكومة يومئذٍ و كان لها شأنها الكبير لكفاءتها و كياستها هي أسرة البريديّ التي كانت تتولّى أمر أموال البصرة و الأهواز منذ مدّة، بخاصّة أنّ كعبهم علا كثيراً في وزارات ابن مقلّة؛ لأنّ أحدهم

٢- نفسه ٥: ٢٥٣.

١- تجارب الأمم ٥: ٢٤٦-٢٤٩.

٣- نفسه ٥: ٢٧٠.

و هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن يعقوب بن إسحاق البريدي كان قد سعى كثيراً في نصب ابن مقله وزيراً للمقتدر سنة ٣١٦هـ على رغم علي بن عيسى . و استحصل منه أمراً بخراج الأهواز ، و أمراً ببعض أعمالها الأخرى لأخويه أبي يوسف يعقوب ، و أبي الحسين علي ، و ذلك بعد إعطائه رشوة مقدارها ٢٠٠٠٠ دينار . و كان أبو عبد الله المذكور متهوراً مكاراً داهية . و صودرت أمواله و أموال إخوته مرتين عندما عُزل ابن مقله من الوزارة خلال فترتين متواليتين . الأولى في سنة ٣١٨هـ حين فرض عليه المقتدر الإقامة الجبرية ببغداد ، و طالب الإخوة الثلاثة بدفع ٤٠٠٠٠٠ دينار ، و هدفه من ذلك أن يدفعوا مقداراً منه في الأقل ، لكنهم دفعوه كله و عادوا إلى مناصبهم . أمّا الثانية فكانت في سنة ٣٢١هـ بعد فرار ابن مقله و استتاره في عصر القاهرة . و لما اختفى ابن مقله خوفاً من القاهرة ، أخفى البريديون أنفسهم أيضاً . و ولّى أبو جعفر محمد بن القاسم أحد أصدقائهم على الأهواز و البصرة . و توسط إسحاق بن إسماعيل النوبختي بينهم و بين الوزير و أخذ منه الأمان فخرجوا من مخبتهم . ثم حثّ الوزير على أن يتحدّث مع السلطان العباسي بشأنهم و يُعلمه أنّ المصلحة تقتضي إرجاعهم إلى البصرة و الأهواز . فقبل الوزير ذلك و تحدّث مع السلطان ، و رغب القاهرة في تحصيل مالٍ أكثر من قبله فاستجاب القاهرة و وعده بالعمل في أوانه .

و استشار السلطان أحد أطباء البلاط ، فعزم على عزل أبي العباس الخصيب من الوزارة ، و القبض على أبي جعفر الوزير ، و أولاد البريدي ، و إسحاق النوبختي . بيد أنّه قرّر في البداية أن يجبر الوزير على أخذ من كانوا قد تعهّدوا بدفع الأموال ، لئلا تضيع الأموال التي كان الوزير قد وعد بأخذها ، و ذلك بدعوتهم إلى داره ، و إذا ما نُفذت الخطة فإنّه يحبس الوزير .

أرسل القاهرة أحد خدمه إلى دار أبي جعفر الوزير ليقبض على أولاد البريدي و إسحاق النوبختي الذين كان يظنّ أنّهم فيها . و كان أولاد البريدي على علمٍ بهذا

الأمر بواسطة جواسيسهم فاختبأوا قبل وصول مبعوث القاهرة. و ذهب الخادم إلى دار إسحاق فطفق يفتشها بحجة أن القاهرة قد أخبر بوجود عدد من الجواري المغنيات و العازفات على العود فيها^١. و أمره أن يركب معه و يتوجه إلى السلطان. و بعد أن علم إسحاق بالأمر، و كان لا يظن أن الهدف من ذلك إيذاؤه شخصياً، أمر جواريه أن لا يحلن دون الخادم في طلب العازفات، و يدعنه ينجز مهمته. ثم توجه إلى دار الوزير، فجاء الخادم إليها مباشرة، و قبض عليه و أودعه السجن.

و أرسل السلطان العباسي مأمورين آخرين لتفتيش دور أولاد البريدي و إسحاق النوبختي. ففتشوا دور إسحاق في النوبختية و ضفاف دجلة، فاستسلم حرمه و أولاده، و قبض على كاتبه أبي عبد الله أحمد بن علي الكوفي، و كلف القاهرة علي بن عيسى بتوكلي أعمال واسط و الأراضي التي تروى من الفرات، بدل إسحاق النوبختي^٢.

إن أبا يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي بنصبه القاهرة و إجباره مؤنساً على ذلك، إنما كان يسعى في دمه. ذلك أنه لقي حتفه على يد القاهرة الناصر للجميل بعد سنتين، إذ قتله شر قتلة و جحد حق نعمة من له فضل عظيم عليه.

و كان أبو منصور محمد القاهرة - قبل تقلده الأمر - يريد أن يشتري جارية تسمى «رتبة» كانت معروفة بجمالها و حسن غنائها. لكن إسحاق النوبختي غلا في ثمنها و اشتراها، فاستاء أبو منصور محمد من هذا العمل و أضمر له حقداً. و كان قد حدث مثل ذلك بين القاهرة و أبي السرايا نصرين حمدان.

قرّر القاهرة أن يقتل أبا السرايا، و إسحاق النوبختي سنة ٣٢٢هـ و جاء نفسه

١- مع أن القاهرة كان يعاقب الخمرة و يسمع الأغاني و يعاشر الجواري العازفات لكنه حرم الخمر و التبيذ سنة ٣٢١هـ. و قبض على المغنين رجالاً و نساءً، و نفاهم.

٢- تجارب الأمم ٥: ٢٧٠-٢٧١.

و وقف على البئر التي أراد أن يلقي فيها هذين المسكينين . فجيء بإسحاق مصقداً
و أُلقي فيه حيّاً . ثم أحضر أبو السرايا ، و لمّا أرادوا إلقاءه ، تضرّع كثيراً فلم ينفعه .
فتعلّق بسعفة نخلة كانت قريبة من البئر فراراً من الموت ، فبادر الجلاوزة إلى قطع يده
فوقع في البئر . ثم طُمّت البئر بالتراب إلى حافتها ، و خُتمت حياة إسحاق الذي كان
من أعيان عصره و من رجالات الأسرة النوبختيّة بهذا النحو المروّع . و أشعر هذا
العمل عامّة الذين كانوا قد سَعَوْا في نصب القاهر سلطاناً أنّهم ارتكبوا خطأ كبيراً .
و في آخر المطاف أُطِبح بالقاهر نتيجةً لهذه الممارسات الشنيعة ، و نُصب مكانه
أبو العباس أحمد نجل المقتدر في جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ بعد إضفاء لقب
«الراضي بالله» عليه .

و ليس بأيدينا معلومات عن نجل أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل - و هو
أبو الفضل يعقوب - إلاّ عن طريق المدائح التي أنشدها البُحترّي بحقّه . و لمّا كان
تاريخها قبل سنة ٢٨٢ هـ التي توفّي فيها البُحترّي ، و لم يرد ذكره في التواريخ ، فمن
المحتمل أنّه توفّي يومئذٍ و لم يدرك عهد اقتدار أبيه .

و نقرأ في ديوان البُحترّي مديحتين لهذا الشاعر بحقّ أبي الفضل يعقوب . نقلنا
قسماً من إحداهما في الفصل الأوّل من هذا الكتاب ، أمّا الثانية فقد أنشدها الشاعر
أيّام بؤس يعقوب ، منها هذان البيتان :

تَفْدِيكَ أَنْفُسُنَا اللّاتِي نَضُنُّ بِهَا مِنْ مَوْلِمَاتِ الَّذِي تَشْكُو وَ أَوْصَابُهُ
لَسْتُ الْعَلِيلَ الَّذِي عُودُنَاهُ تَكْرِمَةً بَلِ الْعَلِيلُ الَّذِي أَصْبَحَتْ تُكْنَى بِهِ^١

الفصل العاشر

أبو الحسين عليّ بن عبّاس (٢٤٤-٣٢٤هـ)

و نجله أبو عبدالله حسين (وفاته في سنة ٣٢٦هـ)

أبو الحسين عليّ بن العبّاس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت من فرع آخر من السلالة النوبختيّة . يتّصل نسبه و نسب أولاد المتكلّم المعروف أبي سهل إسماعيل بن عليّ و أعمامه بأبي سهل بن نوبخت ، إذ تفيد المعلومات الواصلة إلينا أنّ اثنين من أولاد أبي سهل بن نوبخت الكثيرين - و هما إسماعيل و إسحاق - كانت لهما أسرتان وجيهتان . فإسحاق والد عليّ بن إسحاق و جدّ أبي سهل إسماعيل ، و أخيه أبي جعفر محمّد لأبيهما ، و جدّ أبي محمّد الحسن بن موسى لأُمّه . و كان لأخيه إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ولدان : أحدهما عبّاس ، و هو والد أبي الحسين عليّ المترجم له في هذا الفصل ، و الجدّ الأعلى لأبي الحسن موسى بن حسن بن محمّد بن عبّاس المعروف بابن كبرياء الذي سنشير إلى سيرته في الفصل الثالث عشر ، و الآخر إسحاق والد يعقوب ، و عليّ و الحسن الذين تقدّم ذكرهم في الفصل الماضي .

كان أبو الحسين عليّ بن عبّاس من كبار الكتّاب و الأعيان و الشعراء في بغداد ،

و من الكرماء الذين يرعون الأدب، وقد عاصر أبا سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي .
و كانت تربطهما علاقة واحدة، إذ كان والد أبي الحسين عليّ، و هو عبّاس بن
إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت، و والد أبي سهل إسماعيل، و هو عليّ بن
إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت يعدّان ابني عمّ . و كان أبو الحسين عليّ ينظر بعين
الاحترام إلى أبي سهل إسماعيل الذي كان عميد الأسرة النوبختيّة و رئيس الإماميّة
في عهده، و قال في مدحه شعراً .

و كان أبو الحسين عليّ تلميذاً في الشعر و الأدب لاثنين من كبار شعراء
العرب، هما البُحتريّ، و ابن الروميّ . و هذان كانا من خاصّة آل نوبخت،
و مدّاحيهم، و أغذياء نعيمهم . و جمع أبو الحسين قسماً من أخبارهما
و أشعارهما في حياتهما و نقلها إلى الآخرين بالرواية^١ .

ذكره ابن النديم في مصافّ الشعراء الكتاب و قال إنّ دفتر شعره كان يبلغ مائتي
ورقة^٢ . و ذهب الذهبيّ و أبو بكر محمّد بن يحيى الصوليّ (المتوفى ٣٣٥ أو ٣٣٦هـ)
صاحب كتاب الأوراق و تلميذ أبي سهل إسماعيل بن عليّ - الذي كان من معاصريه
و كان يعيش معه في مدينة واحدة - إلى أنّ شعره كان سلساً فصيحاً^٣ .
نقل ياقوت الأبيات الآتية من شعره في حقّ أبي سهل إسماعيل بن عليّ عندما
كان أبو سهل قد شرب دواءً .

يا محيي العارفات و الكرم	و قاتل الحادثات و العدم
كيف رأيت الدواء أعقبك الله	شفاءً به من السقم
لئن تخطت إليك نائبة	خطت بقلبي ثقلاً من الألم

١ - معجم الأدباء ٥ : ٢٢٩؛ تاريخ الإسلام للذهبيّ f.36 a (مخطوطة المكتبة الوطنيّة بباريس).

٢ - الفهرست ١٦٨ .

٣ - تاريخ الإسلام f. 36 a؛ كتاب الأوراق f. 103 a (نسخة المكتبة الوطنيّة بباريس).

شَرِبْتُ فِيهَا الدَّوَاءَ مُرْتَجِياً دَفَعَ أَذَى مِنْ عِظَامِكَ الْعِظَمِ

و الدَّهْرُ لَا بَدْءَ مُحَدِّثٌ طَبِيعاً فِي صَفْحَتَي كُلِّ صَارِمٍ خَدَمٌ^١

و نقل أبو إسحاق الحصري القيرواني في زهر الآداب الأبيات الآتية له :

إِنْ يَخْدِمُ الْقَلَمَ السَّيْفُ الَّذِي خَضِعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَ دَانَتْ خَوْفُهُ الْأُمَمُ

فَالْمَوْتُ وَ الْمَوْتُ لَا شَيْءٌ يَغَالِبُهُ مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ

بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مُذْ بُرِرَتْ إِنَّ السُّيُوفَ لَهَا مُذْ أَرِهَتْ خَدَمُ

و قال الشاعر المشهور أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي (٣٠٣-٣٠٥هـ)

معارضاً مضمون ما ورد في شعر أبي الحسين النوبختي . و مضمون شعره في

الحقيقة هو مقلوب مضمون شعر أبي الحسين :

مَا زِلْتُ أَضْحِكُ إِبْلِي كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمِ

أَسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أَشَاهِدُهَا وَ لَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِمَّةَ الصَّنَمِ

حَتَّى رَجَعْتُ وَ أَقْلَامِي قَوَائِلَ لِي : الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ ، لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ

اكَتَبْتُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ^٢

و قد وَهَمَ بعض الرواة في نقل أبيات أبي الحسين علي بن عباس النوبختي

باسم أبي الحسن علي بن عباس بن الرومي . و هذا الوهم ناتج عن تشابه اسميهما

و اسمي أبويهما^٣ . كما أنَّ كنيتهما تتماثلان أيضاً . و لعل هذه النقطة من الأسباب

التي أدت إلى اختلاف المؤلفين في كنية علي بن عباس ، إذ ذكر بعضهم أنَّه

١- معجم الأديباء ٥ : ٣٢٩ .

٢- من قصيدة مطلعها :

حَتَامُ نَحْنُ نَسَارِي النِّجْمَ فِي الظُّلَمِ وَ مَا سُرَّاهُ عَلَى خُفٍّ وَ لَا قَدَمِ

انظر : ديوان المتنبي ، طبعة الشيخ ناصيف البازجي ٥٣٦-٥٤٠ في مرثية أبي شعجاع فانك (المتوقى سنة

٣- زهر الآداب ٢ : ١٢٧ .

أبو الحسين، و ذكر بعض آخر أنه أبو الحسن. و نحن نرجّح كنية أبي الحسين للأسباب التي سنذكرها.

و ما نعرفه عن الحياة الإدارية لأبي الحسين النوبختي هو أنه لما عاد المقتدر العباسي إلى العرش مرة أخرى سنة ٣١٧هـ و استوزر أبا علي بن مقلة، و كانت الأموال لا تكفي لدفع رواتب العسكر، فقد وكلّ علي بن عباس النوبختي في بيع برود كانت في الخزانة، و بيع بعض الأملاك العائدة له^١. و عندما أراد القاهر العباسي - كما قلنا سابقاً - أن يعرض أملاك السيّدة أمّ المقتدر للبيع سنة ٣٢٠هـ أجبرها أن توكلّ علي بن عباس النوبختي في بيعها^٢.

ذكر الصولي أن علي بن عباس النوبختي توفي في سنة ٣٢٤هـ و عمره يناهز الثمانين. بيد أن الذهبي الذي نقل لفظ ياقوت نفسه في معجم الأدباء ذكر أنه مات سنة ٣٢٧هـ (ذكر السنة بالحروف) في حين جاء في النسخة المطبوعة من معجم الأدباء أنه مات سنة ٣٢٩ (ذكر السنة بالأرقام). و يبدو أن الاختلاف بين رواية الذهبي، و ما جاء في معجم الأدباء المطبوع نابع من أسلوب الناشر غير المقبول في استبدال الحروف بالأرقام، لذلك نلاحظ أخطاء كثيرة وردت في معجم الأدباء المطبوع لهذا السبب. على أي حال يترجّح قول الصولي الذي كان من معاصري علي بن عباس النوبختي و معاصريه على أقوال غيره في تاريخ وفاة النوبختي، و لهذا اخترناه. و ذكر ياقوت أيضاً أن كنية علي بن عباس أبو الحسن (لوركنّا إلى صحّة النسخة المطبوعة) غير أن ابن النديم ذكر أن كنيته أبو الحسين. و قوله أقرب إلى الصواب؛ لأنّ علي بن عباس كان له ولد يدعى أبا عبد الله حسين، و عصر ابن النديم كان قريباً من عصره.

١- تجارب الأمم ٥: ٢٠٠.

٢- تجارب الأمم ٥: ٢٤٥، و ص ٢٢٣ من هذا الكتاب.

آل نوبخت و البُحترَي

كان أبو عبادة الوليد بن عبيد البُحترَي الشاعر الكبير (٢٠٦-٢٨٣هـ) - كما أشرنا مراراً - كأبي نواس، و ابن الروميّ - ممّن مدح آل نوبخت، و كان من خاصّتهم و معاشريهم. و من الذين مدحهم: أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل، و أبو الفضل يعقوب بن إسحاق بن إسماعيل. و كان بين آل نوبخت من اهتمّ بجمع أشعاره و أخباره. و أكثر من اعتنى منهم بذلك أبو الحسين عليّ و ابنه أبو عبد الله حسين كما يبدو. و كان أبو الحسين عليّ يقرأ الأدب و الشعر في شبابه على البُحترَي و ابن الروميّ. و لما كان نفسه ذا قريحة شعريّة متعلّقاً بالأدب و الشعر فقد كان يجمع أخبارهما و أشعارهما. و نقل أبو الفرج الإصفهانيّ في الأغاني حكاية حول البُحترَي كان عليّ بن عباس النوبختيّ قد نقلها إلى عمّه^١. و أورد أبو إسحاق القيروانيّ حكاية أخرى في هذا الباب، في كتاب زهر الآداب. و هي في الحقيقة درس صغير علّمه البُحترَي أبا الحسين عليّ بن عباس في الأدب عندما دار الحديث حول مقطوعة مشهورة لأبي نواس.

روى الصوليّ أنّ أبا نواس مرّ ذات يوم بالمدائن و معه عدد من أصحابه، فنزلوا بسباط (بلاش آباد)، و دخلوا مكاناً طيباً من إيوان كسرى، فشاهدوا آثار جماعة كانوا قد اجتمعوا هناك. و مكثوا خمسة أيّام أمضوها في شرب الخمر. ثمّ طلبوا من أبي نواس أن ينشدهم في وصف ما شاهدوا فقال:

و دارِ نَدامى عَطَّلوها و أدلجوا	بها أثّر منهم جديدٌ و دارِس
مَساجِبُ مَنْ جَرَّ الزقاقِ على الثرى	و أضغاثٌ رِيحانٍ جَنِيٍّ و يابِس
و لَمِ أَرٍ منهم غير ما شهدت به	بِشَرْقيّ ساباتِ الدِّيارِ البَسائِس
حبستُ بها صِحبِي فجمعتُ شملَهُم	و إنّي على أمثالِ تِلْكَ لَحابِس
أَقَمنا بها يوماً و يوماً و ثالثاً	و يوماً له يوم التَّرحُلِ خامِس

تُدارُّ علينا الرَّاحُ في عَسْجِدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارُتُهَا كِسْرَى، وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهَّأَ تَدْرِيبَهَا بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسُ
فَلِلرَّاحِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهَا جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهَا الْقَوَائِسُ^١

يقول علي بن عباس النوبختي: «قال لي البُحترى: أتعلم من أين أخذ أبو نواس مضمون البيت الثالث؟ قلت له: لا قال: من بيت أبي خراش:

و لَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداءُهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مُحَضِّ^٢
قَلْتُ: يَخْتَلِفُ هَذَا عَنْ ذَلِكَ. قال: «طريقة الكلام واحدة وإن اختلف المعنى»^٣.

و نقل الخطيب البغدادي أيضاً مقطوعة شعريّة تدور حول أخبار البُحترى عبر عدد من الوسائط، عن أبي عبد الله الحسين بن عليّ النوبختي^٤.

آل نوبخت و ابن الروميّ

كان الشاعر الشيعيّ المعروف أبو الحسن عليّ بن العباس بن الروميّ من المتربّين عند آل نوبخت و من مادحيهم، و كان أكثر تعامله مع أبي سهل إسماعيل بن عليّ و أخيه أبي جعفر محمّد الكاتب، و أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل، و نجله أبي الفضل. و قد ذكرنا سابقاً مدحه لهم.

١- عُذَّ شعره هذا آية على ميل الشاعر إلى إيران و الآداب الفارسيّة (أخبار أبي نواس ١: ٣٨-٣٩). و كان الجاحظ يقول ما مضمونه: لم يسبق أحد أبا نواس في إيراد هذا المضمون و تقدّمه في هذا المعنى ثابت. (زهر الآداب ٣: ١٥٨).

٢- أبو خراش خويلد بن مرّة الهذليّ من شعراء صدر الإسلام توفي في عهد الخليفة الثاني (الشعر و الشعراء ٤١٨). و هذا البيت من قصيدة له في رثاء أخيه عروة، و هي موجودة كاملة في زهر الآداب للقيروانيّ ٣: ١٥٩؛ و شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ٢: ١٤٣-١٤٥. و بعض أبياتها موجود في كتاب الشعر و الشعراء و ديوان الحماسة للبُحترى ٢٥٦.

٣- تاريخ بغداد ١٣: ٤٤٧. ٤- زهر الآداب ٣: ١٥٨.

و تلمذ أبو الحسين علي بن عباس النوبختي لابن الرومي أيضاً، لذلك نقل
قسماً من أخباره و أشعاره لمعاصريه .

و ذكر ابن الرومي في مدائحه لآل نوبخت عطاياهم و فواضلهم و هباتهم
مراراً، منها أنه خاطب أبا جعفر محمد بن علي عند التماس الكسائي له :

عجائب هذا الدهر عندي كثيرةٌ فيا بن علي لا تزدني عجائباً

علينا بنعمائكم من الله أنعمٌ فلا تجعلوها بالجفاء مصائباً^١

و وصف نفسه في قصيدة أخرى أنه خادم آل نوبخت، و سمى أبا جعفر
محمد بن علي المنعم عليه في الغيبة و الحضور^٢. مع هذا من العجب أن يستنتج
ماسينيون من كلام ورد في مروج الذهب - و نقلنا فقرة منه في ترجمة أبي سهل
إسماعيل سابقاً - أن أبا سهل كان متهماً بِسَمِّ ابن الرومي^٣. و نقل فيما يأتي كلام
المسعودي نصّاً لدحض هذه التهمة الواهية :

قال، بعد أن ذكر وفاة أبي الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير
المكتفي العباسي الذي كان سفاكاً عظيم الهبة، و بعد أن نقل قتل عبد الواحد بن
الموفق على يده، و نسبة سم ابن الرومي إلى الوزير المذكور:

«و لابن الرومي أخبار حسان مع القاسم بن عبيد الله و أبي الحسن علي بن
سليمان الأخفش النحوي، و أبي إسحاق الزجاج النحوي. و كان ابن الرومي
الأغلب عليه من الأخلاط السوداء، و كان شرهاً نهماً و له أخبار تدل على ما ذكرناه
من هذه الجمل مع أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي و غيره من آل نوبخت»^٤.
إن هذا الكلام لا يُشعر أبداً أن أبا سهل إسماعيل بن علي النوبختي كان ضالعاً

١- ديوان ابن الرومي ١٨٢ طبعة كامل الكيلاني.

٢- نفسه ١٩٣.

3 - Passion d'al-Hallâdj, p. 147. note.

٤- مروج الذهب ٧: ٢٣٣ (طبعة أجنبية).

في سمّ ابن الروميّ أو أنّه كان متّهماً بذلك . يضاف إليه أنّ قصّة ابن الروميّ ،
و القاسم بن عبيد الله من القصص المشهورة في التاريخ . و لم يرد في أيّ كتاب أنّ أبا
سهل النوبختيّ كان له أدنى دورٍ في قتل ابن الروميّ ، أو كان متّهماً بذلك في الأقلّ .

أبو عبد الله الحسين بن عليّ (نجل أبي الحسين عليّ بن عباس)

المتوفى سنة ٣٢٦هـ

كان أبو عبد الله الحسين بن عليّ نجل أبي الحسين عليّ بن عباس المذكور من
الكتاب و عمّال الدواوين أيضاً . أصبح ذا شخصيّة مهمّة في السنين الخمس أو
الست الأخيرة من عمره ، و صار من رجال الطراز الأوّل في بغداد و نائباً للوزراء
فيها أيام الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح الذي كان يومئذٍ ذا نفوذ و اقتدار بالغ .
إنّ ما نعرفه عن أبي عبد الله الحسين النوبختيّ يعود إلى السنين الخمس أو
الست الأخيرة من عمره ، في حين يستبين من القرائن أنّه كان في عداد الكتاب في
بعض الولايات قبل هذا التاريخ أيضاً ، بخاصّة أنّه كان ينوب عن الأمراء
و الشخصيات التي كانت تتولّى الأعمال الديوانيّة المهمّة في تلك الأرجاء بتكليفٍ
من دار الحكومة ، كما كان يعمل تحت إشراف أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل
النوبختيّ . و قبل مقتل هارون بن غريب ابن خال المقتدر العبّاسيّ كان يدير أعمال
واسط و «صلح» و «مبارك» نيابة عنه ، أي : قبل سنة ٣٢٢هـ . و هذه الأعمال هي
التي كانت من قبل في عهدة أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختيّ ، و بعد
القبض عليه قلّدها القاهر أبا الحسن عليّ بن عيسى سنة ٣٢١هـ .

عندما تقلّد الراضي بالله الأمر سنة ٣٢٢هـ تعهّد أبو يوسف يعقوب البريديّ
بالأعمال المذكورة ، و أبقى أبا عبد الله الحسين بن عليّ الذي كان يديرها سابقاً من

قبل هارون بن غريب ، نيابة عنه في واسط^١.

و لا ندري كم ظلّ الحسين بن عليّ النوبختيّ في خدمة أبي يوسف البريديّ ، بيد أنّ ما نعرفه هو أنّه أصبح من خاصّة كتاب أبي بكر محمّد بن رائق سنة ٣٢٣هـ . و انبرى لمخاصمة آل البريديّ ، و حصل علىّ منزلة رفيعة و نفوذ فائق لدى ابن رائق .

و كان أبو بكر محمّد و أخوه أبو إسحاق إبراهيم ولدا رائق غلاميّ المعتضد العبّاسيّ . و عندما استعاد المقتدر قدرته سنة ٣١٧هـ ولّاهما علىّ شرطة بغداد فأبليا بلاءً حسناً و بقيا في منصبهما حتّى سنة ٣١٨هـ .

ثمّ استعملهما سنة ٣١٩هـ علىّ البصرة و إدارة أعمالها . و لكن لم تمض فترة قصيرة حتّى أجبر مؤنّس المظفرّ المقتدر علىّ إخراج ياقوت و ابنه محمّد ، فخرجا من بغداد يوم الأربعاء الثامن من رجب سنة ٣١٩هـ ، و استحوذ مؤنّس علىّ المقتدر ، و استدعى ولديّ رائق و جعلهما حاجبين للمقتدر فشكراه علىّ ذلك . بيد أنّ المقتدر عزلهما بعد مدّة ، و أرجع ياقوتا إلىّ منصبه .

توتّرت العلاقة بين مؤنّس و المقتدر سنة ٣١٩هـ . و كانت بين محمّد بن ياقوت و مؤنّس منافسة قديمة . و عندما عينّه المقتدر علىّ شرطة بغداد و محتسبها ، و عينّ أباه ياقوتا حاجباً ، طلب مؤنّس من المقتدر أن يعزلهما ، فاستجاب المقتدر مضطراً و أعاد ابنيّ رائق إلىّ الحجابة . و بعد فترة قصيرة توكّلا ضمان أعمال واسط من الديوان و آزرا المقتدر في الحرب التي انتهت بمقتله سنة ٣٢٠هـ .

و عندما قُتل المقتدر و فرّ أمراء جيشه ، هرب ولدا رائق مع هارون بن غريب و محمّد بن ياقوت نحو واسط . ثمّ استبدّ محمّد بن ياقوت و كاتبه أبو إسحاق محمّد بن أحمد القراريطيّ الإسكافيّ (٢٨١-٣٥٧هـ) ، و لم يعاملا الرؤساء الآخرين

- بخاصة ولدَي رائق - معاملة حسنة ، ممّا أدّى إلى استياء سائر الأمراء من محمّد بن ياقوت . و استغلّ أبو عبد الله البريديّ الخلاف القائم بين أمراء جيش المقتدر سنة ٣٢١ هـ . و كانت له صداقة قديمة بأبي عليّ بن مقلّة وزير السلطان العبّاسيّ الجديد القاهر بالله فاستمدّ الوزير على العصاة فأمدّه ، و استطاع أن يبدّد شملهم بالمكر و التدبير و ذلك المّدّد . و خوّل ولدَي رائق حكومة البصرة ففصلهما عن محمّد بن ياقوت ، و استسلم ابن ياقوت . و بعد فترة قصيرة أمر ابن مقلّة بإطلاق أملاك ابن رائق التي كانت قد أوقفت .

استولى ولدا رائق في الأيام الأخيرة من حكومة القاهر على البصرة و الأهواز تدريجاً ، و عظّمت شوكتهما فأخضعا جميع المناطق الواقعة في نطاق هاتين المدينتين لسلطتهما و بعثا بالرسل إلى شتّى المناطق .

و لمّا تقلّد الراضي العبّاسيّ الأمر اختار أبا بكر محمّد بن رائق حاجباً له . فقدم هذا من الأهواز إلى واسط . و فوّض ابن مقلّة حكومة الأهواز إلى أولاد البريديّ . و تزامن دخول محمّد بن رائق إلى واسط مع هجوم أبي الحسن عليّ بن بويه الديلميّ عليها و احتلالها . فخرج ابن رائق منها و دخلها ابن بويه بعد هزيمة محمّد بن ياقوت (سنة ٣٢٢ هـ) .

و حينما صالح ابن بويه السلطان العبّاسيّ و عاد إلى فارس ، تقلّد ابن رائق أعمال واسط و البصرة مرّة أخرى كمعاون فيها . و في تلك البرهة ذاتها عين أبا عبد الله الحسين بن عليّ النوبختيّ كاتباً له . و أوكل تدبير أموره إلى ذلك الرجل الكفوء الذي جمع إلى فنّ الإنشاء و طهر الفطرة ، كفاءة الإدارة والخبرة . و لكن لمّا ارتقى عمل ابن رائق تدريجاً بفضل تدبيره ، فإنّ حسد الآخرين لكاتبه كان يتزايد على مرّ الأيام . و أكثر من كان يسعى في هذا السبيل هو أبو عبد الله أحمد بن عليّ الكوفيّ الكاتب السابق لأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختيّ و ربيب نعمته ، الذي دخل - بعد قتل وليّ نعمته - في خدمة أبي إسحاق القرابطيّ كاتب محمّد بن

ياقوت . و لما حبس الوزير أبو علي بن مقله أخا محمد بن ياقوت بتدبيره سنة ٣٢٣هـ ، صار أبو عبد الله الكوفي في خدمة أبي الحسين نجل الوزير ، و أصبح من كتّابه .

و عندما توجه أبو علي بن مقله في هذه السنة إلى الموصل و خلف ولده أبا الحسين مكانه في بغداد ، ظل أبو عبد الله الكوفي ملازماً له ، بيد أنه كان يفضل الابتعاد عن البلاط و الوزارة . و حين وصل كتاب أبي عبد الله البريدي من الأهواز معرباً فيه عن تعذر إرسال المال المقرر إلى الديوان ، و رأى أبو عبد الله الكوفي ملامح الغضب على وجه أبي الحسين الوزير ، بالغ في تضخيم مضمون الكتاب في عينه و تطوّر للذهاب إلى الأهواز و جمع مال عظيم و الإتيان به إلى بغداد . و كتب أبو الحسين كتاباً إلى أبي عبد الله البريدي يذكر فيه رفض عذره و يُعلمه بمهمة أبي عبد الله الكوفي . ثم ذهب الكوفي إلى الأهواز بعد إرسال الكتاب . و لما كان خائفاً من أبي عبد الله البريدي ، حاول أن يعبر عن عدائه لخصومه كي يسلم منه . فطفق يعيب ابن مقله و ينتقص منه و يتحدث عن اضطراب الوضع في بلاط السلطان العباسي . و ممّا ذكره أنّ ابن مقله بدّد موارد واسط و البصرة بعد تفويض أمرهما إلى محمد بن رائق . و أعلمه أنّ المسؤول عن تخلخل الوضع ، و تعاضم نفوذ ابن رائق هو كاتبه و مدبر أموره أبو عبد الله الحسين بن علي النوبختي . فأحسن إليه أبو عبد الله البريدي و حثّه على الإطاحة بأبي عبد الله النوبختي ، بسبب العداء الدفين الذي كان بين أسرته و بين النوبختي ، و أبدى له استعداداً لبذل المال مهما كان من أجل ذلك . ثم اتّخذ نديماً و مستشاراً له لتنفيذاً لهذه الخطة .

و أمضى سنة كاملة عنده معزراً محترماً ، و كان همّه يومئذ التخلّص من ثلاث شخصيات كان لها فضل كبير عليه . و لما كان طموحاً محباً للجهاد و السمعة فقد أعدّ العدة لإبذاء أبي علي بن مقله ، و ابنه أبي الحسين ، و أبي عبد الله النوبختي الذين كانوا من أكبر رجال الدولة آنذاك واستطاع أخيراً أن يقمعهم .

أمّا محمّد بن رائق فقد كان نفوذه في واسط و البصرة يتعاظم علىٰ مرور الأيام . و لمّا توفي أبو بكر محمّد بن ياقوت في حبسه ، و كان منافساً قويّاً له ، زاد طغيانه و استبداده حتّى جمع حوله جيشاً جرّاراً . و دعا سرّيّة من جنود مرداويج بن زيار - و كانت قد بقيت بلا رئيس بعد قتله - و وعدها خيراً و أمر عليها بجّكم ، و جعلها في خدمته . و استدعىٰ بجّكم عدداً آخر من أهل الديلم و الترك إلىٰ واسط بأمر ابن رائق ، و أخضعهم لحكومته . فاستظهر ابن رائق بهم و أبى إرسال المال الذي كان في ذمّته إلىٰ عاصمة الحكم العبّاسيّ سنة ٣٢٤هـ و أعلم السلطان العبّاسيّ بحاجته إلىٰ المال ليصرفه علىٰ الجند .

اقترح أبو عليّ بن مقلّة علىٰ السلطان العبّاسيّ أن يأذن له بالذهاب إلىٰ واسط و البصرة علىٰ رأس جيش من أجل تطويع ابن رائق و أخذ المال منه ، فوافق السلطان علىٰ ذلك . بيد أنّه كان قد بعث إليه رسولين ، و طلب منه أن يرسل أبا عبد الله النوبختيّ إلىٰ بغداد لمحاسبته . فأبى ابن رائق إرساله ، لكنّه عطف إليه الرسولين بهبات أغدقها عليهما . و أعطاهما رسالة سرّيّة إلىٰ السلطان مضمونها أنّ السلطان إذا استدعاه إلىٰ بغداد فسيكفيه تدبير الأعمال عامّة ، و يريح باله من نفقات الجيش و واجباته .

و لمّا رأى ابن مقلّة رفض ابن رائق مبعوثه ، عزم علىٰ مواجهة السلطان ليعث رسولاً إلىٰ ابن رائق . و للحوول دون قلقه من تحرّك الوزير و الجيش أخذ يطمئنه أنّ الوزير يريد التوجّه نحو الأهواز . و بينا هو عازم علىٰ الذهاب عند السلطان لأربع عشرة بقين لجمادى الأولىٰ سنة ٣٢٣هـ ، قام مظفر بن ياقوت أخو محمّد بن ياقوت - الذي كان يظنّ أنّ الوزير هو السبب في حبس أخيه و قتله - بالقبض عليه بمؤازرة قراولان حجرية ، و أرغم السلطان علىٰ عزله ، فاستجاب الراضي العبّاسيّ الذي كان دمية بيد أمراء الجيش و العاملين في البلاط .

و في تلك المعمة قتل أبو عبد الله البريديّ - بحيلة و تدبيرٍ ما - ياقوتا أبا محمّد

و مظفر بعد هزيمته على يد علي بن بويه في خوزستان، و ذلك في أوائل سنة ٣٢٤هـ، و نهب أمواله فحصل على ثروة طائلة، و طغى ثم امتنع هو و إخوته من إرسال مال الأهواز إلى الديوان كما امتنع ابن رائق من قبله.

و كانت أوضاع السلطة و أحوال الديوان يومئذ متدهورة تدهوراً شديداً؛ لعدم كفاءة الراضي العباسي من جهة - إذ كان العوبة بيد الوزراء و رجال البلاط - و من جهة أخرى كانت مجموعتان من الحرس الخاص - هما الحجرية، و الساجية - تتدخلان في الأمور. و كان رؤساؤهما يتخذون أتباعهما وسيلة لتنفيذ مآرب أحد الوجهاء المتنفذين. و لم تكن للسلطان العباسي أي سلطة على أولئك الجنود المسلحين، بخاصة أن رواتبهم لم تصل إليهم بسبب سوء الإدارة و طمع عمال الديوان، فكانوا يتمردون غالباً، و يسبون المتاعب للسلطان و الوزراء.

عندما عزل السلطان ابن مقلة استوزر عبد الرحمن بن عيسى أخا علي بن عيسى. و لما وجد عبد الرحمن نفسه عاجزاً عن القيام بالأمر، و لم يكن في يده مال، استقال. فخلفه أبو جعفر محمد بن قاسم الكرخي. و في عهده اشتدت أزمة الإفلاس لامتناع ابن رائق من إرسال مال واسط و البصرة، و استنكاف أبي عبد الله البريدي عن إرسال مال الأهواز، و استيلاء علي بن بويه على فارس. ثم اختفى الكرخي بعد مضيّ ثلاثة أشهر و نصف على تخلخل الوضع، فاستوزر السلطان العباسي أبا القاسم سليمان بن حسن، الذي لم يستطع أيضاً أن يعمل عملاً مجدياً، فأرسل الراضي إلى محمد بن رائق أن يأتيه من واسط حسب كتاب سري كان قد بعثه ابن رائق إليه في عهد ابن مقلة و ادعى فيه أنه أهل للقيام بأعباء دار الخلافة و إيصال الرواتب، فاستجاب ابن رائق مسروراً، و أزمع الترحال صوب بغداد.

و كان السلطان العباسي قد أشخص أحد رؤساء الساجية إلى محمد بن رائق لإطلاعه على أمر السلطان بتحويله قيادة الجيش و الإمارة - و إدارة أعمال الخراج و الضياع، و ليكون المعاون في تلك المناطق مع منحه لقب أمير الأمراء. ثم أرسل

إليه خلعةً و لباساً، و أسرع عامة عمّال الديوان و رؤساء الساجيّة إلى واسط لتهنئته .
قبض ابن رائق في البداية على رؤساء الساجيّة جميعاً بايعاز من كاتبه أبي
عبد الله النوبختي، و صدّهم . و قال للجنود الحجريّة : إنّما قمّت بهذا العمل لتزاد
نفقاتكم . و لمّا وصل هذا الخبر إلى بغداد، فرّ سائر ساجيّتها إلى الشام و الموصل .
و أباد ابن رائق من بقي منهم فتخلّص الناس من شرّهم .

فزع الحجريّة من هذا العمل، و جاؤوا إلى منزل السلطان و خيّموا قُربه .
و بعث ابن رائق عدداً من أمراء جيشه إلى بغداد بادئ الأمر . ثمّ دخل دار الخلافة
مع بَجْكم بإجلال تامّ و ذلك لعشر بقين من ذي الحجّة سنة ٣٢٤هـ .

و عندما دخل بغداد كان باستقباله وزير السلطان و رؤساء الحجريّة . و أوّل
عمل قام به هو أنّه أجبر الحجريّة على رفع خيامهم من قرب قصر السلطان، ثمّ
أمسك بزمام الأمور . و منذ هذا التاريخ ألغي عنوان الوزارة و الدواوين، و أصبح
الحلّ و العقد بيده . و استقرّ أبو عبد الله النوبختي في بغداد بعد ما قدم إليها في
أوائل المحرم سنة ٣٢٥هـ، و أنيطت به مسؤوليّة الضرائب . أي : كان ابن رائق هو
الخليفة في الحقيقة، و أبو عبد الله النوبختي هو الوزير، و كانا يعطيان السلطان ما
يشاءان من المال، و ليس لأحد عليهما سلطان .

و حينما استولى ابن رائق على الحكومة، أخذ أمير الأمراء و بَجْكم الأهواز من
أبي عبد الله البريديّ . و ترك هذا الرجل الماكر الطالب الجاه أخويه أبا يوسف و أبا
الحسين في البصرة، و توجه تلقاء فارس عن طريق البحر لائذاً بالأمير أبي الحسن
عليّ بن بويه مستمداً إياه لاسترجاع الأهواز و صدّ ابن رائق و بَجْكم . و أرغم ابن
رائق السلطان العبّاسيّ في أوّل سنة ٣٢٥هـ أنّ يتحرّك معه إلى واسط، و يرأسل
البريديّ منها . فإذا أطاع أمر السلطان، و أذعن لما تطلبه منه العاصمة العبّاسيّة أرسل
ما عنده، و إلّا تحرّك السلطان نحوه . فتحرك الراضي و عدد من الحرس الحجريّة
إلى واسط، بيّد أنّ معظمهم كان يخاف على نفسه لما حلّ بالساجيّة من دواهِ . و لم

يحفل بهم ابن رائق في البداية و لم يصّر على تحرّكهم ، ممّا حداهم على التوجه إلى واسط تدريجاً . و عزم ابن رائق على قطع دابر فتنهم باقتراح أبي عبد الله النوبختي ، فقطع رواتب جماعة منهم ، و طرد عدداً . لكنّهم لم يستسلموا بل تمرّدوا عليه ، فشنّ عليهم حرباً في الخامس والعشرين من المحرّم و قتل جماعة كثيرة منهم ، و هزم الباقين ففرّوا إلى بغداد . ثمّ قبض عليهم صاحب الشرطة فقتلهم ، و هكذا تخلّصت الحكومة و الناس من بلاء استيلائهم بئسر .

إنّ الذي رفع ابن رائق إلى هذا المنصب الكبير ، و جمع له تلك الثروة الطائلة ، و أحمّد فتنة الساجيّة و الحجرية هو كاتبه أبو عبد الله الحسين بن عليّ النوبختي ، إذ فوّض إليه ابن رائق عامّة الأعمال ، و لم يعص له أمراً . و أصبح أبو عبد الله مدبراً لجميع مصالح ابن رائق منذ المحرّم سنة ٣٢٥هـ ، حيث كانت بداية استقلال ابن رائق و استيلائه على بغداد و شؤون الحكومة . و قد تسنّم أبو عبد الله النوبختي في الحقيقة منصب الوزارة منذ ذلك الحين^١ .

وافق أبو عبد الله البريديّ على اقتراحات السلطان العباسيّ و ابن رائق في إرسال ما عنده من الضرائب ، و التخلّي عن الجيش لمن يُعيّنه أمير الأمراء . و أطلع ابن رائق السلطان على مراسلات أبي عبد الله البريديّ و استشار أعوانه في هذا المجال . فقال أبو عبد الله النوبختي لابن رائق : إنّ أبا عبد الله البريديّ رجل مكّار و محتال ، و لا يوثق بكلامه . بيّد أنّ أبا بكر بن مقاتل الذي كان من كتّاب النوبختي البارعين و كان ينحاز إلى أبي عبد الله البريديّ ، بذل قصارى جهده في إقناعه بعذر البريديّ و أصرّ على توليته الأهواز ثانية ، حتّى أنّ ابن رائق و السلطان فوّضاها إليه و رجعا إلى بغداد . و استبان بعد مدّة قليلة أنّ الحقّ كان مع أبي عبد الله النوبختي إذ إنّ أبا عبد الله البريديّ لم يرسل ديناراً واحداً إلى دار الحكومة ، و لم يخول أمر

١- كتاب الأوراق للصوليّ f. 121a, f. 150 a (نسخة المكتبة الوطنيّة ببارس) ، تجارب الأمم ٥ : ٢٦٠ .

الجيش إلى مبعوث أمير الأمراء ، بل على العكس جمع حوله بقايا الحجرية ، وطفق يقدح في ابن رائق بالبصرة . وظلّ على ما كان عليه سابقاً من عصيان لأوامر العاصمة مكرراً متباطئاً . وأفضى الخلاف بينه و بين ابن رائق آخر المطاف إلى نشوب حرب بينهما سنة ٣٢٥ هـ و استيلاء بحكم على الأهواز . و في السنة التي تلتها أوفد علي بن بويه أخاه عماد الدولة أبا الحسين أحمد بن بويه لمساعدة أبي عبد الله البريديّ ، فاستعاد الأهواز من بحكم .

و هبّ أبوبكر بن مقاتل - الذي كان أبو عبد الله النوبختي قد أدخله في خدمة ابن رائق - لمخاصمة النوبختي بتحريض عدوّيه أبي عبد الله البريديّ ، و أبي عبد الله الكوفي . و دعا ابن رائق إلى اختيار أبي عبد الله البريديّ مكانه في الكتابة و الوزارة ، و ذكر له فوائد هذا العمل و أخبره أنّ البريديّ أرسل إلى داره (٣٠٠٠٠) دينار هدية إلى أمير الأمراء . فلم يستجب ابن رائق الذي كان وفياً عارفاً للجميل و قال : لو فتح لي البريديّ فارس و إصفهان ، و وهبهما إني على أن أعزل الحسين بن عليّ النوبختي ما فعلت ، لأنّه رجل ناصح لي ، و بفضلته تيسرت لي هذه الحكومة . فقال أبوبكر بن مقاتل : إذا لم يرصّ الأمير بهذا الاقتراح ، فليجعل واسطاً و البصرة تحت تصرف البريديّ . فأخبره ابن رائق أنّ هذا الأمر يعود إلى رأي أبي عبد الله النوبختي أيضاً . ولم يحقّق ابن مقاتل هدفه في هذه المرحلة أيضاً ، ذلك أنّ أبا عبد الله الذي كان يومئذ مريضاً محموماً و مصاباً بالسعال لم يوافق على اقتراحه . و ذكر لابن مقاتل شيئاً عن قبح أعمال البريديّ و كفران نعمته و غدره بياقوت ، و لامه على اقتراحه و قال لابن رائق : إنّ بقيت حياً فلا سلطان للبريديّ عليك . و إن متّ فسأطلب من الله تعالى أن يؤلّف بينكما أو يُريحك من حيّله بسبب من الأسباب . فبكى ابن رائق و دعا الله تعالى أن يحفظ الوزير و يهلك البريديّ . و لما خرج النوبختي من المجلس ، أخبر أبوبكر بن مقاتل ابن رائق أنّ البريديّ أرسل (٣٠٠٠٠) دينار هدية ، فلا بدّ من الاهتمام بشأنه . و من الأفضل أن نستدعي أبا عبد الله الكوفي

و نتحدّث معه . فوافق ابن رائق على ذلك ، و كتب أبو بكر إلى أبي عبد الله البريديّ يُعلمه بالموضوع ، و قدم الكوفيّ إلى بغداد نيابةً عنه .

إنّ وصول أبي عبد الله الكوفيّ إلى بغداد ، و اعتلال أبي عبد الله النوبختيّ ، و غفلة صهره و ابن أخيه عليّ بن أحمد بن عليّ النوبختيّ^١ ، كلّ أولئك قد أنهى الأمر . و أخيراً تحقّق هدف أبي عبد الله البريديّ ، و أبي عبد الله الكوفيّ ، و أبي بكر بن مقاتل . إذ لم يستطع أبو عبد الله النوبختيّ أن يباشر عمله مدّةً بسبب مرضه ، فجعل صهره و ابن أخيه عليّ بن أحمد النوبختيّ مكانه ، فخدعه أبو عبد الله الكوفيّ و ابن مقاتل ، و استقطباه إلى جانبهما وفق خطة كانا قد وضعاهما من قبل . و قال ابن مقاتل لابن رائق يوماً : إذا أصرّ الأمير على حفظ العهد ، فينبغي الالتفات إلى مصالح الأمور أيضاً ، و أبو عبد الله النوبختيّ يحتضر ، و الأمور مضطربة . و لم يقبل ابن رائق كلامه استناداً إلى قول الطبيب . و قال ابن مقاتل : لمّا كان الطبيب يعلم بحبّ الأمير الشديد للنوبختيّ ، لم يُرد أن يكون مبشّراً بخبر سيّئ . و من المستحسن للأمير أن يتعرّف على حقيقة الموضوع من ابن أخ أبي عبد الله النوبختيّ و صهره . علماً أنّه جعل عليّ بن أحمد معه نصيراً . و قد أقنعتُ الأمير أن يهبك وزارته بعد عزل أبي عبد الله النوبختيّ ، فإذا سألك عن حاله ، فأيسه ، و تظاهر له بأنّ موته أمر محتوم . و ضرب عليّ بن أحمد على رأسه و وجهه عند ابن رائق . و بكى عليه بشدّة ، و قال : على الأمير أن يعدّه من الأموات . فتألّم ابن رائق لذلك كثيراً و قال : لو كان لأحد أن يُفدئ من الموت بمالٍ لفديتُ ملكي كلّهُ من أجل أبي عبد الله النوبختيّ . ثمّ خاطب ابن مقاتل ، و طلب منه أن يجد له من يخلفه . فقال له ابن مقاتل : لا أجد أليق من أبي عبد الله أحمد بن عليّ الكوفيّ لهذا المنصب ؛ لأنّه رجل

١- كان عليّ بن أحمد النوبختيّ من كتّاب بغداد سنة ٣٢٣هـ . و عندما حبس الوزير أبو عليّ بن مقلّة أبا الحسن عليّ بن عيسى ، كان عليّ بن أحمد النوبختيّ يرأس عليّ بن عيسى و يُطلعه على الوقائع (تجارب الامم ٥ : ٣٢٤) . و ستحدّث عن هذا الرجل في الفصل الحادي عشر .

نزبه و أمين، و هو كالحسين بن عليّ النوبختي من جميع الجهات، و هو ربيب أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي كالحسين المذكور. فاستوزره ابن رائق و فوّض إليه تدبير جميع الأمور التي كان يقوم بها النوبختي. و هكذا عُرل النوبختي من عمله بعد ثلاثة أشهر و ثمانية أيّام مضت على وزارته، و أصبح زمام الأمور بيد أعوان البريديّ، و أرسل عشرة آلاف دينار إلى أبي عبد الله الكوفيّ ابتهاجاً بهذا الفتح. و لمّا تماثل أبو عبد الله النوبختي للشفاء، حال المتصدّون للأعمال دون إخبار ابن رائق بذلك^١.

إنّ ألم هذه الحوادث و الخراب الذي حلّ ببغداد بعد استيلاء أبي عبد الله الكوفيّ و ابن مقاتل، و حلّ بخوزستان و البصرة بعد استيلاء آل البريديّ قد أمّض أبا عبد الله النوبختي. و لمّا رأى أنّ نظم الأمور الذي تمّ بتدبيره قد أخذ بالتخلخل، ازداد شعوره بالخيبة و الضعف حتّى مُني بالتدرّن^٢، ثمّ مات بسببه بعد سنة، أي: سنة ٣٢٦هـ^٣. و هكذا انطفأ سراج امرئ كان من أكثر الناس تدبيراً، و بفضله انتظمت أوضاع الحكومة و خمدت فتن كبرى.

و من سوء الحظّ أنّنا لانملك معلومات كافية عن الحياة العلميّة و الأدبيّة لأبي عبد الله الحسين بن عليّ، بيد أنّ الثابت هو أنّه كان من أولي الأدب كسائر أفراد الأسرة النوبختيّة الفاضلة، بخاصّة أنّه تربّى في بلاط أبيه الأديب أبي الحسين عليّ بن عبّاس، و قريبه المحبّ للشعر و الشعراء أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل. و كان ولده أبو محمّد الحسن بن الحسين من أجلاء علماء الإماميّة. و سنشير إلى ترجمته في الفصل الثالث عشر. و الدليل على هذا الموضوع هو أنّ الخطيب البغداديّ روى عنه شيئاً من أخبار الشاعر البحتريّ بثلاث وسائط^٤.

١- تجارب الأمم ٥: ٢٦٠-٢٦٣. ٢- نفسه ٥: ٢٦٧.

٣- تكملة تاريخ الطبريّ f. 73 a (نسخة المكتبة الوطنيّة بباريس).

٤- تاريخ بغداد ١٣: ٤٤٧.

الفصل الحادي عشر

الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح

(وفاته في ١٨ شعبان سنة ٣٢٦هـ)

يعدّ أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر أشهر أفراد الأسرة النوبختيّة بعد أبي سهل إسماعيل بن عليّ. و يعود ذلك إلى منزلته الدينيّة الرفيعة عند الشيعة الإماميّة، و نيابته الخاصّة عن الإمام المهديّ عليه السلام.

يرى الشيعة الإماميّة أنّه النائب الثالث للإمام عليه السلام في عصر الغيبة الصغرى؛ فقد اختير لهذا المقام بعد أبي عمرو عثمان بن سعيد العمريّ، و ولده أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمريّ.

روى علماء الأخبار الإماميّة أنّ ولادة الإمام أبي القاسم محمّد بن الحسن العسكريّ الملقّب بقائم آل محمّد كانت في سنة ٢٥٦هـ. و بدأت الغيبة الصغرى بعد ولادته بأربع سنين، أي: في سنة ٢٦٠هـ^١، و دامت حتّى سنة ٣٢٩هـ، و هي السنة التي توفّي فيها النائب الرابع للإمام عليه السلام، أي: استغرقت تسعاً و ستين سنة. ثمّ بدأت الغيبة الكبرى منذ ذلك الحين و ما زالت.

إِنَّ النُّوَابَ الأربعة الذين كان أولهم وكيلاً للإمام الهادي والعسكري عليه السلام و عُيِّن من قبلهما، وُعَيِّن الثلاثة الآخرون من قِبَل خلفهما كانوا هم الواسطة بين الإمام عليه السلام و الشيعة منذ سنة ٢٥٦هـ التي وُلد فيها الإمام، و كان لهم عنوان السفارة، و منصب النيابة الخاصّة للإمام. و كانوا يوصلون إليه طلبات الشيعة و حوائجهم و أسئلتهم، و هم يجيبونهم بإذن الإمام، و كانت الأجوبة تصدر إليهم على شكل توافيع.

و فيما يأتي أسماء هؤلاء النُّوَاب الأربعة و عصر نيابتهم:

١ - أبو عمرو عثمان بن سعيد العمريّ. اختاره لهذا المنصب الإمام أبو الحسن عليّ بن محمّد الهادي، و الإمام أبو محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام.

٢ - ولده أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمريّ.

و دامت نيابة الأب و الابن من سنة ٢٦٠هـ إلى سنة ٣٠٤هـ أو جمادى الأولى سنة ٣٠٥هـ^١.

٣ - أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختيّ (من سنة ٣٠٥هـ إلى شعبان سنة ٣٢٦هـ).

٤ - أبو الحسين عليّ بن محمّد السّمريّ (من شعبان ٣٢٦ إلى شعبان ٣٢٩هـ). و قد بحث كثيراً في الكتب و المصادر المتوفّرة فلم أفلح في العثور على العلاقة التي كانت تربط أبا القاسم الحسين بن روح بسائر أفراد الأسرة النوبختيّة. و لم أعرف من ثمّ نسبته إلى آل نوبخت، غير أنّ الذي يبدو هو أنّه كان من أقرباء أبي عبد الله الحسين بن عليّ النوبختيّ وزير ابن رائق، و سنذكر أنّه كان مسيطراً عليه تماماً.

١ - تاريخ وفاة أبي عمرو عثمان بن سعيد مجهول، من هنا لا نستطيع أن نحدّد بالضبط فترة نيابته. و لكن لما كان ولده الذي توفّي سنة ٣٠٤هـ أو ٣٠٥هـ في منصب النيابة قرابة خمسين سنة، فقد كان نائباً للإمام بعد سنة ٢٦٠ تقريباً. و كان أبو جعفر وكيلاً للإمام حتّى في أيام أبيه. (رجال الكشيّ ٢٣٠؛ و كتاب الغيبة للطوسيّ ٢٣٨).

لا شك في نوبختية أبي القاسم الحسين بن روح ؛ لأنَّ عاتمة أصحاب الرجال و علماء الأخبار ذكروه بهذا اللقب . كما كان معاشراً لأفراد الأسرة النوبختية و كبارها في عصره مثل أبي سهل إسماعيل بن عليّ ، و أبي عبد الله الحسين بن عليّ وزير ابن رائق ، يشاورهم و يشاورونه ، يضاف إلى ذلك أنّه دُفن في مقابر النوبختية . و في حياته كان عدد من بني نوبخت يُعدّون من محارمه ، كما كان بعضهم من كتّابه . و سيستبين هذا من المطالب التي سنذكرها فيما بعد .

ذكره المؤرّخون و علماء الأخبار تارةً النوبختي^١ ، و تارةً الروحي^٢ ، و أخرى الحسين بن روح بن بني نوبخت^٣ ، و رابعة القمي^٤ . و ذكر شمس الدين الذهبيّ نقلاً عن المؤرّخ الشيعيّ يحيى بن أبي طيّ (المتوفى سنة ٦٣٠هـ) - نسبة له يقرّ بأنّها قد كُتبت في مخطوطة تاريخ يحيى بن أبي طيّ بخطّ غامض و سقيم . من هنا فإنّ ضبطها الصحيح مبهم ، و هو (القيني؟) أو (القيي؟) . و نحتمل أنّها (القمي)، و هذا ما ذكره الكشيّ في رجاله بعد اسم الحسين بن روح . و لعلّ ما يدعم كونه قمياً معرفته باللغة الآبية ، و هي لغة أهالي منطقة (آبه) إحدى المناطق القديمة التابعة لقم^٥ . و إذا صحّت هذه النسبة فلا بدّ أن يكون المترجم له - من جهة الأب - من أسرة لم تربطها علاقة قُربى بالأسرة النوبختية التي كانت تعدّ من الأسر البغدادية ، و إنّما جاءت هذه النسبة بسبب مصاهرة أبيه للأسرة المذكورة ، فكان نوبختياً من جهة الأمّ كأبي محمّد الحسن بن موسى ابن أخت أبي سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي . على أيّ حال ، سواءً كان الحسين بن روح من أهالي قمّ أم من مدينة أخرى ، فإنّه كان يرتبط بالأسرة النوبختية من جهة الأمّ ، إذ لم يُلاحظ في فهرس أعضاء الأسرة

١- كتاب الغيبة للطوسيّ ٢٤٢؛ كتاب الأوراق للصوليّ ١٤٧ هـ؛ مناقب ابن شهر آشوب ٤٥٨ .

٢- الغيبة ٢٠٩ و ٢٤١؛ كمال الدين ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٦ .

٣- الاحتجاج ٢٤٥ . ٤- رجال الكشيّ ٣٤٥ .

٥- كمال الدين ٢٧٧؛ كتاب الغيبة للطوسيّ ٢٠٩-٢١٠ .

النوبختية اسم أبيه روح و لا اسم جدّه أبي بحر.

و كان من خاصّة أصحاب الإمام أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام يُصطلح عليه بأنّه باب الإمام الحادي عشر^١. و كان ينقل شيئاً من أخبار الأئمة السابقين ، و كان قد سمعها بالواسطة^٢.

انتهت النيابة إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي بعد وفاة النائب الثاني للإمام عليه السلام ، و هو أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمريّ الذي توفي سنة ٣٠٤هـ ، و على قولٍ ، في أواخر جمادى الأولى سنة ٣٠٥هـ . و تمّ نصبه - و كان له عنوان البابية منذ مدّة سابقة - من قبل أبي جعفر العمريّ بحضور جماعة من وجوه الإمامية كأبي عليّ محمّد بن همام الإسكافي^٣ ، و أبي عبد الله بن محمّد الكاتب ، و أبي عبد الله الباقطانيّ ، و أبي سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي ، و أبي عبد الله بن عليّ الوجناء النصيبيّ^٤.

كان الحسين بن روح كما ذكرنا من خواصّ أبي جعفر العمريّ و معتمديه ، و من أصحاب الإمام الحادي عشر عليه السلام . و كان مكيناً عند أبي جعفر إلى درجة أن أبا القاسم الحسين بن روح كان - عند تقسيم رؤساء الإمامية إلى طبقات - أوّل من يأذن

١- مناقب ابن شهر آشوب ٤٥٨. (طبعة طهران).

٢- نفسه ٤٦٠: الغيبة للطوسي ١٥٣. جاء في المناقب المطبوع ببومبي: الحسن بن روح.

٣- أبو عليّ محمّد بن همام بن سهل بن بيزان الإسكافيّ البغداديّ أحد شيوخ الإمامية و كان أجداده من المجوس . ألف كتاباً في تاريخ الأئمة عنوانه الأنوار (و كان لمعاصره أبي سهل إسماعيل بن عليّ النوبختي كتاب في هذا الموضوع أيضاً كما رأينا). ذكر النجاشي أنّه ولد في يوم الاثنين ٦ ذي الحجة ٢٥٨هـ و توفي في يوم الخميس ١٨ جمادى الآخرة سنة ٣٣٦هـ (رجال النجاشي ٢٦٩). بيد أن الخطيب البغدادي و ابن شهر آشوب ذكرا أنّه مات في جمادى الآخرة سنة ٣٣٢هـ (تاريخ بغداد ٣: ٣٦٥ ، و رجال الاسترآبادي ٣٤٨ نقلاً عن معالم العلماء لابن شهر آشوب). و سيأتي ذكر الإسكافيّ في هذا الفصل أيضاً.

٤- الغيبة للطوسي ٢٤٢.

له بالدخول عليه^١.

تقول أمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمريّ: «كان أبو القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه وكيلاً لأبي جعفر رضي الله عنه سنين كثيرة، ينظر له في أملاكه و يلتقى بأسراره الرؤساء من الشيعة. وكان خصيصاً به حتّى أنّه كان يحدثه بما يجري بينه وبين جواريه؛ لقربه منه و أنسه. و كان يدفع إليه في كلّ شهر ثلاثين ديناراً رزقاً له، و غير ما يصل إليه من الوزراء و الرؤساء من الشيعة مثل آل فرات و غيرهم، لجاهه و لموضعه و جلالة محلّه عندهم. فحصل في أنفس الشيعة محصلاً جليلاً؛ لمعرفتهم باختصاص أبي إياه و توثيقه عندهم، و نشر فضله و دينه و ما كان يحتمله من هذا الأمر، فمهدت له الحال في طول حياة أبي إلى أن انتهت الوصيّة إليه بالنصّ عليه»^٢.

و كان أبو جعفر العمريّ قد أمر الشيعة قبل موته بسنتين أن يسلموا أموال الإمام و غيرها إلى الحسين بن روح، و لا يطالبوه بالقبوض. و كان يتوجّد إذا ماطل أحد أو امتنع من ذلك^٣.

عندما توفّي أبو جعفر العمريّ و أوصى بنصب الحسين بن روح نائباً ثالثاً للإمام الغائب عليه السلام، قدّم ابنُ روح إلى دار النيابة في بغداد و جلس، فالتفّ حوله وجوه الشيعة و كبارها. و حضر ذكاء خادم أبي جعفر، و كان معه عكازة أبي جعفر و مفتاح صندوقه. و قال: أمرني أبو جعفر أن أسلم هذه الأشياء بعد موته إلى أبي القاسم. و في هذا الصندوق خواتيم الأئمة. و خرج الحسين بن روح في آخر ذلك اليوم من دار النيابة مع جماعة من الشيعة و ذهبوا إلى بيت أبي جعفر محمد بن عليّ

٢- الغيبة ٢٤٢، ٢٤٣.

١- تاريخ الإسلام للذهبي b 132 f.

٣- نفسه ٢٣٩-٢٤٠، ٢٤١؛ كمال الدين ٢٧٥-٢٧٦.

السلمغاني^١. و أوّل توقيع صدر عليّ يد الحسين بن روح كان في يوم الأحد ٢٤ شوال سنة ٣٠٥هـ^٢.

لم يعترض أحد عليّ اختيار الحسين بن روح لنيابة الإمام مع وصيّة أبي جعفر العمريّ، ذلك أنّ أبا جعفر كان يعمل تحت إمرته قرابة عشرة من خواصّ الشيعة ينفذون أوامره في بغداد. وكلّهم كانوا أخصّ به من الحسين بن روح، لذا فلمّا كان يخال أحد أنّه يخلف أبا جعفر^٣. يضاف إلى ذلك أنّ رجالاً من عظماء الشيعة كانوا على درجة من الوجاهة والاحترام حتّى غلب الظنّ أنّهم للنيابة أجدر من الحسين بن روح. و منهم العالم المتكلّم الكبير أبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختيّ الذي سُئل عن سبب عدم نصبه مكان أبي القاسم الحسين بن روح، فقال: هم أعلم و ما اختاروه. و لكن أنا رجل ألقى الخصوم و أناظرهم. و لو علمتُ بمكانه كما علم أبو القاسم و ضغطتني الحجّة عليّ مكانه لعلّي كنت أدلّ عليّ مكانه، و أبو القاسم فلو كان الحجّة تحت ذيله و قرّض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه^٤.

و ممّن أنكر وكالة الحسين بن روح في البداية: أبو عبد الله الحسين بن عليّ الوجّناء النصيبّي الذي كان أحد رؤساء الإماميّة المشاركين في الاجتماع المعقود لتعيينه من قبل أبي جعفر العمريّ. و لكنّ محمّد بن فضل الموصليّ أحد شيوخ الشيعة ببغداد أتى به آخر الأمر إلى الحسين بن روح سنة ٣٠٧هـ، فأقرّ بصحّة وكالة الشيخ أبي القاسم النوبختيّ منذ ذلك التاريخ^٥.

عاش الحسين بن روح في بغداد موفور الحرمة منذ تعيينه نائباً إلى عهد وزارة حامد بن العباس (من جمادى الآخرة سنة ٣٠٦هـ إلى ربيع الآخر سنة ٣١١هـ).

٢- الغيبة للطوسيّ ٢٤٣.

١- تاريخ الإسلام للذهبيّ f. 132.

٤- نفسه ٢٠٥.

٣- نفسه ٢٤٠.

٥- نفسه ٢٠٥-٢٠٦.

وكان يتردد عليه في منزله الأمراء والأعيان والوزراء المعزولون. ولم يؤذِهِ وأصحابه أحد، بخاصة في عصر آل فرات الذين كانوا ينظرون إليه بعين الاحترام كما ذكرنا، وكانوا معدودين من أتباع المذهب الإمامي. فعاش في عهدهم مكرماً عندما وزروا للمقتدر العباسي، وشغلوا مناصب حكومية مهمة أخرى. وكان الشيعة يأتون إليه من مختلف الأنحاء بالأموال الملزمين بتسليمها إليه. ولكن ما إن أطاح حامد بن العباس وأنصاره بآل فرات، وسجن الوزير الجديد آل فرات وأقاربهم وصادر أموالهم، حتى وقعت حوادث مرّة بينه وبين الحسين بن روح لم تصل إلينا تفاصيلها. ولا يخفى أنّ حياة النائب الثالث للإمام منذ ذلك التاريخ حتى سنة ٣١٧هـ إنّما خروجه من السجن يكتنفها الغموض. ويمكن أن نستنبط من كلام المؤرخين ثلاث ملاحظات فحسب تتعلق بحياته، وهي كما يأتي:

١- أودع الحسين بن روح السجن سنة ٣١٢هـ بسبب المال الذي كان يطالبه به الديوان. ويتسنى لنا أن نتبين التاريخ الذي بدأ به سجنه - أي: سنة ٣١٢هـ - عبر طريقين هما: الأول: تذكر أخبار الشيعة أنّه كان سجيناً أيام المقتدر في ذي الحجة سنة ٣١٢هـ^١. الثاني: دام سجنه خمس سنين. ولما كان قد أُطلق من السجن في المحرم سنة ٣١٧هـ^٢، فإنّ حبسه خمس سنين من قبل يقارن سنة ٣١٢هـ.

٢- استخفى الحسين بن روح مدة، وقد نصب أبا جعفر محمد بن عليّ الشلمغاني المعروف بابن العزاقر نائباً عنه، فكان واسطة وسفيراً بينه وبين الشيعة^٣. ولا جرم أنّ الاستخفاء المذكور كان قبل سجنه؛ لأنّ الشلمغاني كان على جادة الاستقامة قبل هذا التاريخ ولم يخالف مذهب الإمامية في ادّعائه النبوة والألوهية بعد. وكان أول انحرافه سنة ٣١٢هـ، وفي ذي الحجة من هذه السنة

٢- تاريخ الإسلام 133 a؛ صلة عريب ١٤١.

١- الغيبة للطوسي ٢٠٠.

٣- الغيبة ١٩٦.

صدر التوقيع من الحسين بن روح - و هو في السجن - بلعنه^١.

٣- كانت للمقتدر العباسي يد في سجن الحسين بن روح ؛ لأنّ المقتدر عندما سُجن في ١٥ محرّم الحرام سنة ٣١٧هـ من قبل جند مؤنس المظفرّ و أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، و خُلِع من السلطة ، فإنّ مؤنساً أطلق عدداً من السجناء الذين كانوا في حبس المقتدر ، منهم الحسين بن روح الذي أرجعه مؤنس إلى داره . و عندما ذُكر الحسين بن روح عند المقتدر ، قال : دعوه فبخطيئة جرى علينا ما جرى^٢ . بيد أنّنا لا نعلم على وجه الدقة دور الحسين بن روح في محنة المقتدر ، و قصد المقتدر من كلامه المذكور .

و نحتمل بعامة أنّ أعداء الحسين بن روح - كما أشار الذهبي - اتّهموه بعلاقة له بالقرامطة الذين كانوا يومئذ مسيطرين على سواحل الخليج الفارسيّ و الحجاز ، و كانوا سبباً في فرغ أهالي بغداد و رعبهم . إذ نقل المؤرخ المذكور أنّ ابن روح كان قد رُمي بأنّه يكاتب القرامطة ليقدموا و يحاصروا بغداد . لكنّه تلطّف في الذبّ عن نفسه بعبارات تدلّ على رزائته و وفور عقله و دهائه و علمه^٣ . و هذه التهمة كانت شائعة جداً في بغداد آنذاك . و قد حُبس بهذه التهمة أيضاً الوزير أبو الحسن بن فرات و نجله محسن صديقا الحسين بن روح ، و سمّاهما أعداؤهما : القرمطيّ الكبير و القرمطيّ الصغير ، و صادروا أموالهما ثمّ قتلوهما . على أيّ حال ، مهما كان السبب الحقيقيّ لسجن الحسين بن روح فإنّ عمّال الديوان سجنوه بذريعة طلب المال^٤ .

و عندما أطلق الحسين بن روح من السجن ، ظلّ يدير الشؤون الدينيّة للشيعة في بغداد بنفس العزّ و الاحترام السابقين ، و كان الإماميّة يوصلون إليه الأموال التي في ذمتهم . و لما كان عدد من آل نوبخت يشغلون يومئذ مناصب مهمّة في البلاط

٢- تاريخ الإسلام f. 133 a.

١- الغيبة ٢٠٠.

٤- صله غريب ١٤١.

٣- نفسه.

و العسكر كأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل (المقتول سنة ٣٢٢هـ)، و أبي الحسين علي بن عباس (٢٤٤-٣٢٤هـ)، و أبي عبد الله الحسين بن علي النوبختي (المتوفى سنة ٣٢٦هـ)، لم يستطع أحد أن يسبب حرجاً و إزعاجاً لأبي القاسم الحسين بن روح. بل على العكس كانت داره آنذاك مألفاً لكبار الأعيان و رجال البلاط و الوزراء السابقين في بغداد. و كان بعضهم يستشفعه إلى السلاطين و الأمراء في إنجاز الأعمال، كما فعل ذلك أبو علي بن مقلّة سنة ٣٢٥هـ إذ استعان به لقضاء حاجته، فتحدّث الحسين بن روح مع أبي عبد الله الحسين بن علي النوبختي وزير ابن رائق في ذلك، و عرض أبو عبد الله موضوعه على ابن رائق، فحقّق له ما أراد. و توضّح ذلك أنّ محمّد بن رائق حين تولّى تدبير شؤون الحكومة، أمر بالاستيلاء على ضياع ابن مقلّة و ابنه. و عندما وصل إلى بغداد (يوم الجمعة ٢٤ من ذي الحجة ٣٢٤هـ) ذهب أبو علي بن مقلّة إلى لقائه و لقاء وزيره أبي عبد الله النوبختي لعلّهما يرجعان إليه ضياعه. و نلاحظ أنّه كان يتشبّث ببعض الأشخاص كالْحسين بن روح من أجل حلّ مشكلته المذكورة، و لمّا تحدّث الحسين مع ابن رائق بواسطة أبي عبد الله النوبختي أصلح ابن رائق وضعه مؤقتاً، و أمر أبا عبد الله النوبختي أن يفتح باب بيته الذي كان مغلقاً^١.

إنّ تشبّث ابن مقلّة بأذيال الحسين بن روح - كما أشار إليه الصوليّ - كان في سنة ٣٢٥هـ. و لمّا كان في أيام وزارة الحسين بن علي النوبختي التي لم تدم أكثر من ثلاثة أشهر و ثمانية أيّام^٢ (من أوائل المحرم سنة ٣٢٥هـ إلى أواسط ربيع الأول من السنة نفسها) فلا بدّ أنّه كان في تلك الفترة أيضاً.

و كان للحسين بن روح منزلة سامقة عند الشيعة في القسم الأكبر من أيّام حكومة الرازي (٣٢٢-٣٢٩هـ). و بسبب كثرة المال الذي كان يأتي به الشيعة إليه

و المكانة التي كان يتمتع بها عندهم ، توجهت إليه أنظار السلطان العباسي و عمال الديوان الذين كانوا يعانون يومئذ من ضائقة مالية ، و كان السلطان يذكره غالباً . يقول أبو بكر محمد بن يحيى الصولي مؤلف كتاب الأوراق (المتوفى سنة ٣٣٥ أو سنة ٣٣٦ هـ) - و كان معاصراً للحسين بن روح - ما مضمونه : كان الراضي طالما يقول لنا : لم أكن غير راغب في أن يكون ألف شخص مثل الحسين بن روح و يهب الامامية أموالهم له كي يجعلهم الله محتاجين . فإن ثراء الحسين بن روح و أضرابه بأخذ أموال الإمامية أمر لا يسوؤني^١ .

كان أبو القاسم الحسين بن روح من أعقل الناس عند المخالف و المؤلف^٢ . و عاش بين الناس و السلاطين بعز و احترام بخاصة أنه حظي بمنزلة عظيمة عند المقتدر العباسي و أمه السيدة . و لما كان رجلاً عاقلاً عارفاً بالمصلحة ، كان يستعمل التقية . و نقل الشيخ الطوسي عنه حكائيتين في هذا الباب^٣ .

توفي الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي مساء الأربعاء ١٨ شعبان سنة ٣٢٦ هـ^٤ ، و دُفن بالنوبختية^٥ في زقاق كان فيه بيت علي بن أحمد بن علي النوبختي^٦ . و هذا القبر ما زال ماثلاً في محلة النوبختية السابقة ببغداد . و هو في بيت يقع في الجانب الشرقي الأيمن من محلة «سوق العطارين»^٧ .

ذكر رواة الشيعة و مؤرخوهم في كتبهم ترجمة الحسين بن روح مفصلاً ، و لكن من سوء الحظ لم يصل إلينا شيء من هذه الكتب . و من هؤلاء : أبو العباس أحمد بن علي بن نوح السيرافي ، و كان من كبار مصنفَي الشيعة ، و من شيوخ رواية النجاشي

١- الأوراق f. 147 a. قمنا بترجمة هذا الكلام لعدم العثورنا على أصل الكتاب المنقول منه .

٢- الغيبة للشيخ الطوسي ٢٥٠ : تاريخ الإسلام للذهبي f. 132 b أو f. 133 a .

٣- الغيبة ٢٥٠-٢٥٢ . ٤- كتاب الأوراق للصولي f. 127 .

٥- الغيبة للطوسي ٢٥٢ . ٦- انظر : ص ٢٣٩ .

٧- أحسن الوديعه ٢ : ٢٣٢ .

صاحب الرجال (٣٧٢-٤٥٠هـ)؛ فقد كان له كتاب بعنوان أخبار الوكلاء الأربعة .
و كان قد أخذ أكثر أخباره من أبي نصر هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب . و أبو
نصر هذا كان من جهة الأب حفيد أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري ، و من جهة الأم
كان ينتسب إلى آل نوبخت^١ . و هو أحد الرواة المهمين لأخبار الحسين بن روح
و رويت عنه أخبار كثيرة فيه .

و منهم : منتجب الدين أبو زكريا يحيى بن أبي طي النجار الحلبي الفقعاني
(المتوفى ٦٣٠هـ) ، فقد أورد ترجمة للحسين بن روح في ست أوراق من تاريخه .
و كانت لدى شمس الدين الذهبي الذي نقل خلاصتها في تاريخ الإسلام ضمن
وقائع سنة ٣٢٦هـ^٢ .

الحسين بن روح و السِّلْمَغانِيّ

السِّلْمَغانِيّ أحد الذين عارضوا الحسين بن روح ، و أسس مذهباً جديداً ،
حسداً من عند نفسه . و هو أبو جعفر محمد بن علي ، من قرية سَلْمَغان التابعة

١- الغيبة ٢٤٢ .

٢- ابن أبي طي مؤلف في تاريخ مدينة حلب ، عنوان كتابه عقود الحواهر . ذكره أبو الفضل محمد بن شحنة
الحلبي (٨٠٤-٨٩٠هـ) في تاريخ حلب . و هو من أسرة ابن أبي طي التي كانت من الأسر الشيعية في
حلب كبنّي زهرة ، و آل جرادة . (أنا مدين لسماحة شيخ الإسلام الزنجاني بهذه المعلومات) . و ذكر
صاحب كتاب أمل الآمل ، و مؤلف كتاب روضات الجنّات بعض أفراد هذه الأسرة في كتابيهما (أمل
الآمل ٤٨٨ في حاشية ذيل رجال الأستربادي ؛ روضات الجنّات ٤٠٠-٤٠١) . و لم يستطع الذهبي أن
يقراً نسب هذا الشخص في النسخة التي كانت لديه . و ضبطه ماسينيون الذي نقل ترجمته من كتاب
الوافي بالوفيات للصفدي على أنه (الغساني) ، بيد أن الصحيح هو (الفقعاني) كما نص عليه صاحب
روضات الجنّات في كتابه . و ورد ذكره أيضاً في كتاب طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي
(انظر : ص ٣٧ منه ، الطبعة الأجنبية) . و نقل المقرئ في خطه عن ابن أبي طي كثيراً . انظر أيضاً :

لمدينة واسط. و يُدعى ابن أبي العزافر، و من هنا عُرف أتباعه بالعزافريّة. كان الشلمغاني من كتّاب بغداد، و أحد علماء الشيعة الإماميّة و مؤلفيهم. و كانت له منزلة رفيعة عند الشيعة أيام استقامته، قبل تأسيس مذهبه الجديد، و صدوفه عن أتباع الحسين بن روح. و كان الشيعة يرجعون إلى كتبه و يأخذون منها. حتّى إذا حلّ اليوم الذي خلف فيه الحسين بن روح أبا جعفر العمريّ، ذهب إلى دار الشلمغانيّ مع عدد من وجوه الشيعة بعد إقامة التقاليد الرسميّة المألوفة في عمل النيابة. و لمّا اختفى فترة - كما رأينا - نصب الشلمغانيّ نائباً عنه. فكان واسطه و سفيراً بينه و بين الإماميّة. و كانت تصدر توقيعات الإمام القائم عليه السلام بواسطه الحسين بن روح على يد الشلمغانيّ. و الناس يراجعونه في قضاياهم و حلّ مهمّاتهم^١.

ولا نعلم على وجه الدقّة متى تمرّد الشلمغانيّ على الحسين بن روح؛ لأننا لا نعرف متى اختفى الحسين بن روح و لا مدّة اختفائه، يبيد أنّ القرائن تفيد أنّ فترة اختفائه تزامنت مع وزارة حامد بن العباس التي استمرّت من جمادى الآخرة سنة ٣٠٦هـ حتّى ربيع الآخر سنة ٣١١هـ.

في أغلب الظنّ أنّ الشلمغانيّ استغلّ اختفاء الحسين بن روح، فدعا جماعة من خواصّ الشيعة و متنقّذهم إلى الالتفاف حوله. و يبدو أنّ هدفه في البداية هو الاستحواذ على منصب الحسين بن روح، و ادّعاؤه البابيّة مكانه، ثمّ بالغ في ادّعائه و زعم أنّه نبيّ و إله.

ذكر ابن الأثير أنّ أوّل مرّة كُشف فيه سرّ الشلمغانيّ و دعاواه كانت في أوّل وزارة حامد بن العباس، و كان الحسين بن روح النوبختيّ، هو الذي كشف أمره^٢. بعد عزل حامد بن العباس، و استيزار أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات

للمرة الثالثة (من ربيع الآخر ٣١١ هـ حتى ٨ ربيع الأول ٣١٢ هـ) قَرَّب الشلمغاني ابنَ الوزير الجديد مُحَسِّنًا إليه، بسبب العلاقة التي كانت تربطه به . و عندما هاجم القرامطة قافلة الحجاج في ذلك التاريخ و قتلوا الكثيرين منهم - و كانوا من أهالي بغداد - و ثار أهالي العاصمة عليه و على أبيه و اتهموهما بالتواطؤ مع القرامطة ، أدخل مُحَسِّنُ الشلمغاني في الجهاز الوزاري ، و جعله مكان عددٍ من عمال الديوان ؛ للحؤول دون هجوم المناوئين و الكشف عن الأموال التي كان قد أخذها من الناس . و بمؤازرته هو و غيره قبض على جماعة و ذبحهم كما تذبح الخراف بذريعة المطالبة بالأموال المتبقية^١ .

اختفى الشلمغاني بعد قتل أبي الحسن بن الفرات و نجله مُحَسِّن و استيزار أبي القاسم الخافاني (وزارته من ٨ ربيع الأول ٣١٢ هـ حتى رمضان ٣١٣ هـ)، و فرَّ إلى الموصل خوفاً . و في تلك الفترة ذاتها - ذي الحجة سنة ٣١٢ هـ - صدر التوقيع من الحسين بن روح - و هو في السجن - بلعنه . و سننقل هذا التوقيع عنه لاحقاً .

مكث الشلمغاني في الموصل عدد سنين عند الأمير ناصر الدولة حسن الحمداني في حياة أبيه أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان (المقتول سنة ٣١٧ هـ) . و اختفى مدة في مُعَلَّثَايا إحدى القرى القريبة من جزيرة ابن عمر . و في تلك الفترة ذاتها قرأ أبو المفصل محمد بن عبد الله بن المطَّلَب - و هو من شيوخ أبي العباس النجاشي صاحب كتاب الرجال المعروف - كتب الشلمغاني عنده ، و أجازة الشلمغاني في روايتها^٢ .

ثم قَدِمَ الشلمغاني بغداد بعد مدة ، و اختفى فيها فترة خوفاً من مناوئيه . و في تلك البزهة نفسها شاعت عقائده و زاد عدد أتباعه ، و التحق به جماعة من أكابر

١- معجم الأدباء ١: ٢٩٦؛ تجارب الأمم ٥: ١٢٣ .

٢- رجال النجاشي ٢٦٨ .

بغداد و أعيانها . و بلغت فتنة العزاقريّة ذروتها فسبّبت متاعب جمّة للسلطان العبّاسيّ و وزيره و أهالي العاصمة .

و ممّن لحق بالشلمغانيّ من المشاهير يومئذٍ الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المقتدر العبّاسيّ ، و أبو جعفر بن بسطام ، و أبو عليّ بن بسطام و هما من الكتاب و وجهاء الشيعة في بغداد ، و أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن أبي عون و هو من الأدباء و المؤلّفين المشهورين ، و ابن السّيب الزّيّات ، و أحمد بن محمّد بن عبدوس ، و غيرهم^١ .

دعاوى الشلمغانيّ

دعاوى الشلمغانيّ و أصول عقائده غير واضحة تماماً ، إذ لم يصل إلينا شيء عنه و عن أتباعه ، و ما نقله مناوئوه يسيّر و مشوّب بالتهمة و الأغراض . بيّد أنّ الثابت هو أنّ الشلمغانيّ كان من الحلوّيّة كالحسين بن منصور الحلاج ، و لا تفاوت بين كثيرٍ من عقائدهما . و كان الشلمغانيّ يتّبع منهج الحلاج في هذا الطريق . و كان الحسين بن روح يعدّه من متابعي قول الحلاج صراحةً^٢ . يضاف إلى ذلك أنّ التناسخ ، و الغلوّ ، و الاعتقاد بالضدّ ، و ألوهيّة نفسه ، و الكيمياء من الأركان الرئيسة لمعتقداته .

و يمكن استخراج خلاصة لعقائده من المصادر الأربعة المهمّة الآتية :

١ - الرسالة التي كتبها الراضي العبّاسيّ إلى الأمير أبي الحسين نصر بن أحمد السامانيّ في بخارى بعد قتل الشلمغانيّ و أعوانه في ذي القعدة ٣٢٢ هـ ، و استنسخ ياقوت قسمًا مهمًّا منها في مرو ، و أورده في الجزء الأوّل من كتابه معجم الأدباء عند

١ - الكامل في التاريخ ، وقائع سنة ٣٢٢ هـ .

٢ - الغيبة ٢٦٦ : رسالة ابن الفارح (في مجموعة رسائل البلغاء ٢٠٠-٢٠١) .

ترجمة إبراهيم بن محمد بن أبي عون .

٢- التوقيع الذي صدر بيد الحسين بن روح النوبختي في ذي الحجة ٣١٢هـ في لعن الشلمغاني . و الأخبار التي نقلها الشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ) في هذا الباب من كتاب الغيبة^١ ، عن رواية الشيعة في شأن عقائد الشلمغاني .

٣- مجمل من عقائده مذكور في كتاب الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر الأشعري البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ .

٤- الشرح الذي أورده ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٢هـ) في وقائع سنة ٣٢٢هـ من تاريخه . و غالب مضامينه يتفق مع ما تحويه رسالة الراضي إلى الأمير نصر . و غير ذلك من المصادر كرجال النجاشي ، و تجارب الأمم لأبي علي بن مسكويه ، و الفصل في الملل و الأهواء و النحل لابن حزم الظاهري ، و وفيات الأعيان لابن خلكان ، و الآثار الباقية لأبي الريحان البيروني ، و رسالة ابن القارح ، و هي تقدم لنا بعض المعلومات أيضاً . و سنشير إليها كلها في هذه الترجمة الموجزة . بعامّة نستطيع أن نلخص أصول عقائد الشلمغاني كالآتي :

١- يحل الله في كل شيء على قدر ما يحتمل ، و الشلمغاني هو من حلّت فيه روح الله بتمامها . و لمّا تشبّه الشلمغاني بالمسيح و الحلاج في هذا العمل ، سُمّي «روح القدس»^٢ ، و «المسيح»^٣ ، و «الحلاج»^٤ .

يعتقد الشلمغاني أنّ الله يظهر في كل شيء بكل صورة . و هو اسم لخطور المعاني و الخواطر في قلوب الناس ، و يصوّر كل ما خفي عليهم إلى الحد الذي يبدو فيه أنّهم يدركونه بالمشاهدة . و كل من احتاج الناس إليه فهو إلههم . من هنا

١- ألف الشيخ الطوسي كتاب الغيبة سنة ٤٤٧هـ (انظر: ص ٢٣٢-٢٣٣ منه) .

٢- الفرق بين الفرق ٢٤٩: الآثار الباقية ٢١٤ .

٣- معجم الأدباء ١: ٣٠١: الغيبة للطوسي ٢٦٥ .

٤- معجم الأدباء ١: ٢٩٨: الغيبة ٢٦٥: تجارب الأمم ٥: ١٢٣ .

يستطيع كل إنسان أن يستحقّ مقام الألوهية و يُدعى إلهاً.

كان كل واحد من أتباع الشلمغاني يرى نفسه إلهاً لمن دونه . بعبارة أخرى كل ما دون يُعدّ مفضولاً بالنسبة إلى ما فوق «الفاضل» . على سبيل المثال كان أحد العزاقرة يقول : أنا إله فلان ، و فلان إله فلان ، و فلان إله إلهي ، حتّى يصل التسلسل إلى الشلمغاني . و كان الشلمغاني يزعم أنّه ربّ الأرباب ، و إله الآلهة ، و أفضل العزاقرة ، و لا إله بعده .

و العزاقرة أتباع الشلمغاني لا ينسبون الحسن و الحسين (عليه السلام) إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) . و يقولون : من اجتمعت له الرّبوية لا يكون له ولد . و كانوا يسمّون موسى (عليه السلام) و محمداً (عليه السلام) الخائنين ، لأنّهم يدّعون أنّ هارون أرسل موسى ، و عليّاً أرسل محمداً (عليه السلام) فخاّناهما . و يزعمون أنّ عليّاً أمهل محمداً (عليه السلام) عدّة سني أصحاب الكهف . فإذا انقضت هذه العدّة ، و هي ثلاثمائة و خمسون سنةً ، انقرضت الشريعة . و يبدو أنّ هدفهم من ذكر هذا العدد هو أنّ الإسلام نُسخ و حلّ محلّه دين الشلمغاني بعد مضيّ (٣٥٠) سنة على المبعث النبويّ ، و كان ذلك متزامناً مع أتبام ظهور دعوة الشلمغانيّ .

و يقول هؤلاء في وصف الملائكة : إنّ المَلَكَ كلّ مَنْ مَلَكَ نفسه ، و عرف الحقّ و رآه . و أنّ الجنّة معرفتهم و اتّباع مذهبهم ، و النار الجهل بهم و الرجوع عن مسلكهم .

و كان الشلمغاني يعتقد أنّ روح الله حلّت في آدم ، ثمّ في شيث ، ثمّ في الأنبياء و الأوصياء و الأئمّة واحداً بعد واحد ، حتّى حلّ في الحسن بن عليّ العسكري (عليه السلام) ، و أنّه حلّ فيه ^١ . و قال : إنّ روح رسول الله (صلى الله عليه وآله) انتقلت إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان العمريّ النائب الثاني للإمام المهديّ (عليه السلام) ، و روح أمير المؤمنين

عليه السلام انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح ، و روح مولانا فاطمة عليها السلام انتقلت إلى أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري^١.

روى أبو علي بن همام الإسكافي أن الشلمغاني قال له : الحق واحد وإنما تختلف قُصصه . فيوم يكون في أبيض ، و يوم يكون في أحمر ، و يوم يكون في أزرق . قال ابن همام : فهذا أول ما أنكرته من قوله لأنه قول أصحاب الحلول^٢.

٢ - يعتقد العزاقريّة بترك الصلاة و الصيام و الغسل ، و لا يتناكحون بعقدٍ على سنة رسول الله ﷺ ، و يبسحون الفروج . و يقولون : إنّ محمداً ﷺ بُعث إلى كبراء قريش و جبابرة العرب ، و نفوسهم أبيّة ، فأمرهم بالسجود ليمتحن طاعتهم . و إنّ الحكمة الآن أن يُمتحن الناس بإباحة فروج نسائهم . و لا إشكال عندهم في نكاح المحارم و نساء الأصدقاء و الأولاد ، إذا كان قد ورد في دين الشلمغاني . و ذكر المؤرخون أنّ العزاقريّة لم يستنكفوا عن إرسال نسائهم ليستمتع بهنّ من هو أعلىّ منهم درجة في دينهم . بل كانوا يرون هذا العمل شرفاً لهم ؛ لاعتقادهم أنّ الفاضل يولج نوره في المفضول فيستمتع به المفضول . و لما كان الشلمغاني ربّ الأرباب و أفضل العزاقريّة ، فإنّ أتباعه كانوا يتسابقون في إرسال نسائهم إليه من أجل كسب نور الفضل ، و من أبي قلب امرأة عند الشلمغاني الذي كان يقول بالتناسخ أيضاً . و دون الشلمغاني أحكامه الدينيّة في كتاب عنوانه الحاشيّة السادسة . و يعدّ هذا الكتاب دستوراً دينياً لأصحابه ، و يبدو أنّ موضوعه الأصليّ هو رفض أحكام الشرائع السابقة^٣ . و يبرأ الشلمغاني و أصحابه من آل أبي طالب و بني العباس ، و يرون وجوب هلاكهما .

٣ - من أهمّ عقائد الشلمغانيّ قوله بحمل الضدّ ، و هو أنّ الله خلق الضدّ ليدلّ

١ - الغيبة ٢٦٤ .

٢ - نفسه ٢٦٧ .

٣ - الآثار الباقية ٢١٤ .

على المضدود، و أنه لا يتهياً إظهار فضيلة للوليّ إلّا بطعن الضدّ فيه؛ لأنّه يحمل سامعي طعنه على طلب فضيلته، فإذا هو أفضل من الوليّ إذ لا يتهياً إظهار الفضل إلّا به. و حينئذ يفوق الدليل على وجود الحقيقة نفس الحقيقة.

يرى أتباع الشلمغانيّ أنّ الله إذا حلّ في جسد ناسوتيّ ظهر من القدرة والمعجزة ما يدلّ على أنّه هو، كما ظهرت هذه الحالة في سبعة أوادم (كلّ آدم يطابق عالماً). و بعد آدم السابع ظهر اللاهوت في خمسة أجساد ناسوتيّة، و خمسة أبالسة أضداد لتلك الخمسة. ثمّ اجتمعت اللاهوتيّة في إدريس و إبليس. و تفرّقت بعدهما كما تفرّقت بعد آدم. و اجتمعت في نوح و إبليس، و تفرّقت عند غيبتهما. و اجتمعت في صالح و إبليس عاقر الناقة، و تفرّقت بعدهما. و اجتمعت في إبراهيم و إبليس نمرود. و اجتمعت في هارون و إبليس، و تفرّقت بعدهما. و اجتمعت في داود و إبليس جالوت. و في سليمان، و في عيسى و تلاميذه. ثمّ اجتمعت في عليّ بن أبي طالب. ثمّ في بدن ابن العزاقر^١.

أمّا في الضدّ أو إبليس، فقال بعضهم: الوليّ ينصب الضدّ و يحمله على ذلك، كما قال قوم من أصحاب الظاهر: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام نصب أبابكر في ذلك المقام. و قال بعضهم: لا، ولكن هو قديم معه لم يزل. (قالوا): و القائم الذي ذكر أصحاب الظاهر أنّه من ولد الإمام الحادي عشر، فإنّه يقوم معناه إبليس لأنّه قال: فسجدَ الملائكةُ كُلُّهُم أجمعونَ إلّا إبليس، فلم يسجد. ثمّ قال: لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم. فدلّ على أنّه كان قائماً في وقت ما أمر بالسجود، ثمّ قعد بعد ذلك. و قوله: يقوم القائم إنّما هو ذلك القائم الذي أمر بالسجود فأبى، و هو إبليس لعنه الله^٢. و قال أحد شعراء العزاقريّة في باب الضدّ، أي: إبليس:

١- معجم الأدباء ١: ٣٠١-٣٠٢؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير، وقائع سنة ٣٢٢ هـ.

٢- الغيبة ٢٦٥.

يا لاعناً للضدّ من عديّ^١ ما الضدّ إلا ظاهر الوليّ
و الحمد للمُهمين الوفيّ لستُ على حالٍ كَحَمَامِي
ولا حَجامي ولا جُعديّ قد قُفْتُ من قولي على الفَهدِي
نعمَ وَ جَاوَزْتُ مَدَى العيدي فوقَ عَظِيمٍ لَيْسَ بِالمجوسيّ
لأنّه الفَرْدُ بِلا كينيّ مُخالِطُ الثُوريّ وَ الظُّلُمِيّ
و جاجِداً مِنْ بَيْتِ كِسْرويّ قد غابَ في نِسْبَةِ أَعْجَمِيّ
في الفارِسيّ الحَسَبِ الرّضِيّ كما التوى في العُربِ مِنْ لُؤي^٢

مؤلّفات السلمغانّي

كان أبو جعفر السلمغانّي قد ألّف كتباً أخرى غير كتاب الحاشية السادسة . و لما كان في عداد علماء الإماميّة قبل انحرافه أو أيام استقامته ، فإنّ عدداً من كتبه كان لها شأنها عند الإماميّة . و كما ذكرنا سابقاً ، فإنّه عندما عاش متخفياً في مُعلّثايا ، قام أبو الفضل محمّد بن عبد الله بن المطّلب ، و هو من علماء الإماميّة ، بقراءتها عنده . و فيما يأتي دليل لكتبه اعتماداً على كتاب رجال النجاشي ، و كتاب الغيبة للشيخ الطوسي :

١ - كتاب التكليف

ألّفه السلمغانّي في أيام استقامته . و عندما انتشر هذا الكتاب أخذه جماعة من الشيعة إلى الحسين بن روح ، فقرأه من أوّله إلى آخره ، فقال : ما فيه شيء إلا و قد روي عن الأئمة إلا موضعين أو ثلاثة فإنّه كذب عليهم في روايتها^٣ . و كان الشيخ

١ - إشارة إلى الشيطان الذي كانوا يسمّونه «شيخ بني عديّ» .

٢ - الغيبة ، الشيخ الطوسي ٢٦٦ .

٣ - الغيبة ٢٦٧ .

المفيد يروي هذا الكتاب إلا موضعاً واحداً منه . و هو باب الشهادات الذي روى فيه العلامة الحلبي أن الشلمغاني قال فيه ما مضمونه : إذا كان للرجل شاهد واحد فحسب جاز لأخيه أن يشهد بحقه عند الجهل بأصل الموضوع^١ .

و لعل الصحيح التام في هذا الموضوع ما نقله العلامة عن الشيخ المفيد هو ما رواه الشيخ الطوسي عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه أن الشلمغاني قال في الشهادة : «إذا كان لأخيك المؤمن على رجل حق فدفعه و لم يكن له من البيّنة عليه إلا شاهد واحد و كان الشاهد ثقة رجعت إلى الشاهد فسألته عن شهادته ، فإذا أقامها عندك شهدت معه عند الحاكم على مثل ما يشهده عنده لئلا يتوى حق امرئ مسلم»^٢ .

نقل محمد بن فضل بن تمام عن أحد شيوخه أن الشلمغاني عندما كان يؤلف كتاب التكليف ، كان كلما أصلح باباً منه أدخله إلى الحسين بن روح فيعرضه عليه و يحكّكه . فإذا صحّ الباب خرج فنقله و أمرنا بنسخه^٣ .

٢ - رسالة تحوي خطاباً موجّهاً إلى أبي علي محمد بن همام الإسكافي^٤ .

٣ - كتاب ماهية العصمة .

٤ - كتاب الزاهر بالحجج العقلية .

٥ - كتاب المباهلة .

٦ - كتاب الأوصياء .

نقل الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة مرتين من الكتاب المذكور^٥ .

٧ - كتاب المعارف .

١ - الخلاصة ، للعلامة الحلبي ١٢٤ : رجال الأسترآبادي ٣٠٧ .

٢ - الغيبة ٢٦٧ . ٣ - نفسه ٢٥٤ .

٤ - انظر : ذيل ص ٢٥٠ من هذا الكتاب . ٥ - الغيبة ١٥٨ و ٢٢١ .

- ٨- كتاب الإيضاح .
- ٩- كتاب فضل النطق على الصمت .
- ١٠- كتاب فضائل العمرتين .
- ١١- كتاب الأنوار .
- ١٢- كتاب التسليم .
- ١٣- كتاب الزهاد و التوحيد .
- ١٤- كتاب البداء و المشيئة .
- ١٥- كتاب نظم القرآن .
- ١٦- كتاب الإمامة ، كبير .
- ١٧- كتاب الإمامة ، صغير^١ .
- ١٨- كتاب الغيبة .

وكان الشيخ الطوسي يقتني الكتاب الأخير، و نقل فقرة^٢ منه .

كان لكتب السلمغاني صيتها عند الشيعة الإمامية ، و كانوا يقتنونها بسبب منزلته العلمية و قربيه من الحسين بن روح ، و ذلك قبل ارتداده . و عندما ثبت ارتداده و صدر لعنه ، سأل جماعة من الإمامية الحسين بن روح عن كتبه و أخبروه عن امتلاء دورهم بها ، فقال لهم : أقول فيها ما قاله أبو محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما و قد سئل عن كتب بني فضال^٣ ، فقال صلوات الله عليه : حُدُّوا بما رَوَّوا

١- وردت عناوين هذه الكتب السبعة عشر مع كتاب آخر ليس له عنوان في رجال النجاشي ٢٦٨ باسم السلمغاني .

٢- الغيبة ٢٥٥ .

٣- هم أحمد المتوفى سنة ٢٦٠هـ ، و محمد ، و أبو الحسن علي أبناء أبي محمد الحسن بن علي بن فضال الكوفي (المتوفى سنة ٢٢٤هـ) . و كانوا في عداد فقهاء الفطحية كأبيهم . و كان الفطحية يعدونهم من فقهاء الكبار . و قد صنفوا كتباً كثيرة في تأييد هذا المذهب ، بخاصة علي الذي بلغت كتبه قرابة ثلاثين

و ذَرُّوا مَارَؤَا^١.

دعا السلمغانيّ في بدء أمره جماعة من أعيان بغداد إليه سرّاً. و كان ينشر أخباراً باسم الحسين بن روح، و يعرف نفسه للشيعة على أنّه بابه.

روت أمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمريّ ما نصّه: «كان أبو جعفر بن أبي العزافر وجيهاً عند بني بسطام^٢. و ذلك أنّ الشيخ أبا القاسم - رضي الله تعالى عنه و أرضاه - كان قد جعل له عند الناس منزلةً و جاهاً. فكان عند ارتداده يحكي كلّ كذبٍ و بلاء و كفر لبني بسطام، و يسنده عن الشيخ أبي القاسم فيقبلونه منه و يأخذونه عنه، حتّى انكشف ذلك لأبي القاسم - رضي الله عنه - فأنكره و أعظمه، و نهى بني بسطام عن كلامه، و أمرهم بلعنه و البراءة منه، فلم ينتهوا و أقاموا على تولّيه. و ذاك أنّه كان يقول لهم: إنني أذعث السرّ و قد أخذ عليّ الكتمان فعوقبت بالإبعاد بعد الاختصاص؛ لأنّ الأمر عظيم لا يحتمله إلّا ملكٌ مقرب أو نبيّ مرسل أو مؤمنٌ مُحتَحَن، فيؤكد في نفيهم عظم الأمر و جلّالته. فبلغ ذلك أبا القاسم - رضي الله عنه - فكتب إلى بني بسطام بلعنه و البراءة منه و ممّن تابعه على قوله، و أقام على تولّيه. فلمّا وصل إليهم أظهروه عليه فبكى بكاءً عظيماً، ثمّ قال: إنّ لهذا القول باطناً عظيماً، و هو أنّ اللعنة الإبعاد. فمعنى قوله: لعنه الله، أي: باعده الله عن العذاب و النار، و الآن قد عرفت منزلتي! و مرّغ خديّه على التراب، و قال: عليكم بالكتمان

→ كتاباً. (للاطلاع على ترجمتهم. انظر: رجال النجاشي ٢٥-٢٦، ٥٩، ١٨١، ١٨٣، و رجال النكشي: ٣١٩، ٣٢٨-٣٢٩ و غيرهما). ١- الغيبة ٢٥٤.

٢- كانت أسرة بسطام من الأسر القديمة، تولّوا بعض الأعمال الكتابيّة و الديوانيّة في البلاط العبّاسيّ و حكومات المناطق المجاورة. و من هذه الأسرة أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن بسطام و ابنه أبو القاسم عليّ و أبو الحسن محمّد، و كانت لهم صلة بالّ الفرات. و كان أبو الحسين محمّد صهراً لحامد بن العبّاس الوزير. و كانت هذه الأسرة في البداية تنحاز إلى الإماميّة كالّ الفرات، لكنّها مالت إلى السلمغانيّ بعد ظهور أمره. من هنا أصدر القاهر العبّاسيّ أمراً بمراقبة داريّ أبي القاسم عليّ و أبي الحسين محمّد من قبل مفرزة خاصّة سنة ٣٢١هـ.

لهذا الأمر».

قالت أم كلثوم رضي الله عنها: و قد كنت أخبرْتُ الشيخَ أبا القاسم أنَّ أمَّ أبي جعفر بن بسطام قالت لي يوماً، و قد دخلنا إليها فاستقبلتني و أعظمتني و زادت في إعظامي حتَّى انكبَّت على رجلي تقبِّلها، فأنكرتُ ذلك، و قلتُ لها: مهلاً يا سِتِّي؛ فإنَّ هذا أمرٌ عظيم. و انكببتُ على يدها، فبكت، ثمَّ قالت: كيف لا أفعل بكِ هذا و أنتِ مولاتي فاطمة؟ فقلتُ لها: و كيف ذاك يا سِتِّي؟ فقالت لي: إنَّ الشيخَ أبا جعفر محمَّد بن عليٍّ خرج إلينا بالسرِّ. قالت: فقلتُ لها: و ما السرُّ؟ قالت: قد أخذ علينا كتماناً و أفزع إن أنا أذعته عُوقبتُ. قالت: و أعطيتها مَوْثِقاً أنِّي لا أكشفه لأحد، و اعتقدتُ في نفسي الاستثناء بالشيخ - رضي الله عنه - يعني أبا القاسم الحسين بن روح - قالت: إنَّ الشيخَ أبا جعفر قال لنا: إنَّ روح رسول الله ﷺ انتقلت إلى أبيك - يعني: أبا جعفر محمَّد بن عثمان رضي الله عنه، و روح أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، و روح مولاتنا فاطمة ﷺ انتقلت إليك، فكيف لا أعظّمك يا سِتِّنا؟! فقلتُ لها: مهلاً لا تفعلي، فإنَّ هذا كذبٌ يا سِتِّنا. فقالت لي: سرٌّ عظيم، و قد أخذ علينا لا نكشف هذا لأحد؛ فالله الله فيَّ لا يحلَّ لي العذاب. و يا سِتِّي لو أنَّك حملتيني على كشفه ما كشفته لك ولا لأحدٍ غيركِ. قالت الكبيرة أم كلثوم - رضي الله عنها -: فلمَّا انصرفت من عندها، دخلتُ إلى الشيخ أبي القاسم بن روح - رضي الله عنه - فأخبرته بالقصة - و كان يثق بي و يركن إلى قولي - فقال لي: يا بُنَيَّةُ إِيَّاكِ أن تمضي إلى هذه المرأة بعد ما جرى منها، و لا تقبلي لها رقعةً إن كاتبكِ ولا رسولاً إن أنفذته إليك و لا تلقيها بعد قولها؛ فهذا كفرٌ بالله تعالى و إلحادٌ قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم بأنَّ الله تعالى اتَّحد به و حلَّ فيه كما يقول النصارى في المسيح ﷺ، و يعدو إلى قول الحلاج لعنه الله. قالت: فهجرتُ بني بسطام و تركتُ المضيَّ إليهم و لم أقبل لهم عذراً و لا لقيتُ أمهم بعدها. و شاع في بني

نوبخت الحديث ، فلم يَبْقَ أحدٌ إلّا و تقدّم إليه الشيخ أبو القاسم ، و كاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغانيّ و البراءة منه و ممّن يتولّاه و رضي بقوله أو كَلّمه فضلاً عن موالاته . ثمّ ظهر التوقيع من صاحب الزمان عليه السلام بلعن أبي جعفر محمّد بن عليّ و البراءة منه و ممّن تابعه و شابعه و رضي بقوله ، و أقام عليّ تولّيه بعد المعرفة بهذا التوقيع^١ .

ذكر الطبرسيّ في كتاب الاحتجاج ، و الطوسيّ في كتاب الغيبة^٢ - باختلافٍ في الرواية - عين هذا التوقيع الذي أصدره الحسين بن روح في ذي الحجّة سنة ٣١٢ هـ - و هو سجين في بلاط المقتدر - بإيعاز من الإمام المهديّ عليه السلام ، و أنفذه إلى أبي عليّ محمّد بن همام الإسكافيّ البغداديّ لنشره بين الإماميّة ، و فيما يأتي نصّه :

«عَرَّفَ - أطال الله بقاءك و عَرَّفَكَ الله الخير كلّهُ و ختم به عملك - مَنْ ثَقَّ بِدِينِهِ و تسكن إلى نيتِهِ من إخواننا، أدام الله سعادتهم، بأنّ محمّد بن عليّ المعروف بالشلمغانيّ - عَجَّلَ الله له النقمة و لا أمهله - قد ارتدّ عن الإسلام و فارقه ، و ألحد في دين الله ، و ادّعى ما كفر معه بالخالق جلّ و تعالى، و افتريّ كذباً و زوراً، و قال بهتاناً و إثماً عظيماً، كذب العادلون بالله و ضلّوا ضلالاً بعيداً و خسروا خسراناً مبيّناً، و إنّنا برئنا إلى الله تعالى و إلى رسوله صلوات الله عليه و سلامه و رحمته و بركاته منه ، و لعنّاه ، عليه لعائن الله تترى في الظاهر منّا و الباطن في السرّ و الجهر و في كلّ وقتٍ و على كلّ حالٍ ، و على كلّ مَنْ شايَعه و تابّعه و بلغه هذا القول منّا فأقام عليّ تولّيه بعده. و أعلمهم - تولاّك الله - أنّنا في التوقي و المُحاذرة منه عليّ

١- الغيبة ٢٦٣-٢٦٥.

٢- الاحتجاج ٢٤٥: الغيبة ٢٦٨-٢٦٩. مع أنّ هذا التوقيع صدر في ذي الحجّة سنة ٣١٢ هـ متزامناً مع الأيام الأولى لحبس الحسين بن روح ، بيد أنّ القرائن تفيد أنّ الإذن بنشره قد صدر قبل نجاته من الحبس سنة ٣١٧ هـ بقليل . (الغيبة ٢٦٨).

مثل ما كنّا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه من الشريعي^١، و النميري^٢، و الهاللي^٣، و البلاي^٤، و غيرهم. و عادة الله جلّ ثناؤه مع ذلك قبله و بعده عندنا جميلة. و به نثق و إياه نستعين و هو حسبنّا في كلّ أمورنا و نعم الوكيل».

عندما صدر لعن الشلمغانيّ على يد الحسين بن روح ابتعد عنه شيعة بغداد، و نقلوا حكاية لعنه في المجالس و المحافل. و جهد الشلمغانيّ لإثبات أحقيّته، و معارضة الحسين بن روح، و إقناع الشيعة المواليين له. و صنّف كتاب الغيبة في تلك البرهة، و عرّض فيه بالحسين بن روح، و زعم أنّه شريك الشيخ أبي القاسم النوبختيّ في التمهيد للوكالة و النيابة، بيد أنّ معظم الإماميّة لم يُصغُوا إلى دعاواه، و سَعَوْا في لعنه^٥.

و تفرّنت حادثة قتل الشلمغانيّ مع اجتماع رؤساء الشيعة في دار الوزير أبي عليّ بن مقلّة، و كانوا يتناقلون لعنه الذي أظهره الحسين بن روح، فقال لهم: اجمعوا

١- كان أبو محمّد الحسن الشريعيّ من أصحاب الإمام العاشر و الحادي عشر عليه السلام، و هو أوّل من ادّعى الباطنية بعد الإمام الحادي عشر، و ظهر منه القول بالكفر و الإلحاد، و خرج التوقيع بلعنه، يقال لأتباعه: الشريعيّة، و هم من الغلاة و الحلوليّة (انظر: الغيبة ٢٤٨؛ مقالات الإسلاميين ١٤-١٥؛ الفرق بين الفرق ٢٣٩؛ تبصرة العوامّ ٤١٩؛ الاحتجاج ٢٤٤).

٢- كان محمّد بن نصير الثميريّ من أصحاب الإمام الحادي عشر عليه السلام. فلمّا توفّي الإمام ادّعى مقام أبي جعفر العمريّ، و زعم أنّه رسول نبيّ. سُمّي أتباعه: التّميريّة، و هم من الغلاة و الحلوليّة. (انظر: رجال الكشيّ ٣٢٣-٣٢٤؛ الغيبة ٢٥٩-٢٦٠؛ مقالات الأشعريّ ١٥؛ تبصرة العوامّ ٤١٩؛ الفرق بين الفرق ٢٣٩؛ الاحتجاج ٢٤٤؛ ص ١٧٦-١٧٩ من هذا الكتاب).

٣- أبو جعفر أحمد بن هلال الغبرتائي الكرخيّ (١٨٠-٢٦٧هـ) من الغلاة و من أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام. أنكر وكالة أبي جعفر العمريّ بعد وفاة الإمام (للاطلاع على ترجمته انظر: الغيبة ٢٦٠؛ رجال الكشيّ ٣٣٢-٣٣٣؛ رجال النجاشيّ ٦٠-٦١؛ الفهرست للطوسيّ ٥٠؛ الاحتجاج ٢٤٥).

٤- أبو طاهر محمّد بن عليّ بن بلال من أصحاب الإمام العسكريّ عليه السلام. أنكر وكالة أبي جعفر العمريّ و سَمّى نفسه وكيل الإمام الغائب مكانه. (انظر: الغيبة ٢٦٠-٢٦١؛ الاحتجاج ٢٤٥).

٥- الغيبة ٢٥٥.

بيني و بينه حتّى أخذ يده و يأخذ بيدي ، فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه ،
و إلّا فجميع ما قاله في حقّ . و رُقي في ذلك إلى الراضي فأمر بالقبض عليه و قتله ^١ .
بيد أنّ القبض عليه لم يتحقّق بسهولة ؛ لأنّ أبا عليّ بن مقلّة كان يلاحقه مدّة بأمر
السلطان . و لما كان يعيش متخفياً و يفرّ من نقطة إلى أخرى ، لم يفلح شرطة الوزير
و السلطان بالقبض عليه و ظلّ كذلك حتّى ظفروا به في شوال سنة ٣٢٢ هـ . فسجنه
ابن مقلّة و كبس داره فوجد فيها رقاعاً و كتباً ممّن يدّعي عليه أنّه عليّ مذهبه
كالحسين بن القاسم بن عبيد الله بن وهب ، و إبراهيم بن محمّد بن أبي عون ، و ابن
شبيب الزيّات ، و أحمد بن محمّد بن عبدوس . و قد خاطبه فيها هؤلاء بما يليق
بشأن الله تعالى . و عُرضت هذه الخطوط علىّ الناس بمحضر السلطان . و ثبتت
صحّتها ، فأقرّ الشلمغانيّ أنّها خطوطهم ، و أنكر مذهبه و أظهر الإسلام ، و تبرّأ ممّا
يقال فيه .

و استدعى السلطان العبّاسيّ أحمد بن محمّد بن عبدوس ، و إبراهيم بن أبي
عون ، و الشلمغانيّ حاضر ، فأمرهما بصفع رّيهما ، فامتنعا . فلمّا أكرها ، مدّ ابن
عبدوس يده و صفعه . أمّا ابن أبي عون فإنّه مدّ يده إلى لحيته و رأسه ، فارتعدت
يده ، فقبّل لحية الشلمغانيّ و رأسه . ثمّ قال : إلهي ، و سيّدّي ، و رازقي ! فقال له
الراضي : قد زعمت أنّك لا تدّعي الإلهيّة ، فما هذا ؟ فقال : و ما عليّ من قول ابن
أبي عون و الله يعلم أنّي ما قلتُ له إنّني إله قطّ ! فقال ابن عبدوس : إنّهُ لم يدّعِ
الإلهيّة ، و إنّما ادّعى أنّه الباب إلى الإمام المنتظر مكان ابن روح ^٢ .

حوكم الشلمغانيّ و أتباعه بأمر السلطان عدّة مرّات ، بحضور القضاة و الفقهاء
و الكتاب و رؤساء الجيش ^٣ . و أجمع الحاضرون علىّ قتله . و قبل تنفيذ الحكم

٢- الكامل في التاريخ . وقائع سنة ٣٢٢ .

١- الغيبة ٢٦٥ .

٣- للاطلاع علىّ تفصيل محاكمته ، انظر : كتاب الفرق بين الفرق ٢٥٠ . و هو لا يخلو من بعض الأخطاء

استمهل القضاة ثلاثة أيام لينزل حكم تبرئته من السماء أو يُبتلى أعداؤه بالعذاب .
ولكنّ الفقهاء طلبوا من السلطان العباسي التعجيل في قتله ، فأمر في يوم الثلاثاء ٢٩
من ذي القعدة سنة ٣٢٢هـ بجلد الشلمغانيّ وابن أبي عون ، وضرب عنقيهما
وصلبهما وحرقهما وإلقاء رمادهما في ماء دجلة^١ . وقتل الحسين بن قاسم في
آخر ذي القعدة من السنة نفسها في مدينة الرقة ، وأُتي برأسه إلى بغداد^٢ .

لم يرعوا العزاقريّة عن دعاوهم بعد قتل الشلمغانيّ بخاصّة أنّهم كان لهم أنصار
في أسرة بني بسطام . وبعد قتل الشلمغانيّ ادّعى رجل يعرف بالبصريّ نيابته ،
وزعم أنّ روح الشلمغانيّ حلّت فيه ، وأنّ له مقام الألوهيّة . ولما مات سنة
٣٤٠هـ ، خلف مالا كثيرا كان يجيبه من العزاقريّة . وُرفِع إلى أبي محمّد الحسن بن
محمّد المهلبيّ وزير معز الدولة الديلميّ موت البصريّ وما كان يملكه ، فأمر
المهلبيّ بالختم على التركة ، والقبض على أصحابه ، والذي قام بأمرهم بعده فلم
يجد إلّا مالا يسيرا ، ورأى دفاتر فيها أشياء من مذاهبهم . وكان فيهم غلام شابّ
يدّعي أنّ روح عليّ بن أبي طالب حلّت فيه ، وامرأة يقال لها فاطمة تدّعي أنّ روح
فاطمة حلّت فيها ، وخادم لبني بسطام يدّعي أنّه ميكائيل ، فأمر بهم المهلبيّ
فَضَرَبُوا ونالهم مكروه . ثمّ إنّهم توصّلوا بمن ألقى إلى معز الدولة أنّهم من شيعة
عليّ بن أبي طالب ، فأمر بإطلاقهم . وخاف المهلبيّ أن يقيم على تشدّده في أمرهم
فَينسب إلى ترك التشيع ، فسكت عنهم^٣ .

→ التاريخيّة .
١- معجم الأدياء ١: ٢٩٧: الفرق بين الفرق ٢٥٠ .
٢- الكامل في التاريخ ، وقائع سنة ٣٢٢هـ . وذكر عامّة المؤرّخين كياقوت ، وابن الأثير ، والذهبيّ أنّ
الشلمغانيّ قُتل سنة ٣٢٢هـ ، لكن الشيخ الطوسيّ أورد في كتاب الغيبة أنّه قتل سنة ٣٢٣هـ . ويبدو أنّه
غير صحيح .
٣- الكامل في التاريخ ٨: ٤٩٥ ، وقائع سنة ٣٤٠هـ .

الفصل الثاني عشر

أبو الحسن موسى بن كبرياء (النصف الأول من القرن الرابع)

موسى بن حسن بن محمد بن عباس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت المعروف بابن كبرياء النوبختي من العلماء والمنجّمين ، و ممّن عاش في أيام الغيبة الصغرى و عاصر الشيخ أبا القاسم الحسين بن روح . روى عنه أبو نصر هبة الله بن محمد الكاتب الذي كان ينقل أخبار الوكلاء الأربعة أخبار النائب الثالث الحسين بن روح . و نلاحظ في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ثلاث فقرات من هذه الأخبار^١ .

و ذكر النجاشي أنّ ابن كبرياء كان ملماً بالنجوم . و أثر عنه كلام كثير في هذا الباب . و مع علمه و عقيدته بالنجوم ، كان رجلاً متديناً حسن العقيدة ، و له كتب في النجوم منها : كتاب الكافي في أحداث الأزمنة^٢ .

و يستبين ممّا نقله أبو نصر هبة الله الكاتب مباشرةً ، أو بواسطة أمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمري عن أبي الحسن موسى بن كبرياء ، أنّ هذا الرجل كان من معاصري أمّ كلثوم و الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح ، و ظلّ على قيد الحياة بعد وفاة ابن روح .

١- ص ٢٥١ ، ٢٤٣ ، ١٩٠ .

٢- رجال النجاشي : ٢٩٠ ؛ بحار الأنوار ١٤ : ١٤٣ نقلاً عن فرج المهموم .

أبو محمد الحسن بن الحسين

(٣٢٠-٤٠٢هـ)

كان لأبي عبد الله الحسين بن علي بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت المازّ ذكره و ذكر أبيه أبي الحسين عليّ في الفصل العاشر، وكذا يُدعى أبا محمد الحسن .
وُلِدَ سنة ٣٢٠هـ، أي: قبل وفاة أبيه بستَ سنين . وكان من محدّثي الإماميّة و رواة أخبارهم كأبيه، كما كان أحد الكتّاب و رواة الأخبار، و قد روى طرفاً من أخبار أبي نواس و شعره^١. و روى عنه أبو الحسين هلال بن محسن الصابي الكاتب (٣٥٩-٤٤٨هـ) بعض الوقائع^٢.

صرّح الخطيب البغداديّ أنّ أبا محمد كان يروي الحديث أكثر من أبي الحسن عليّ بن عبد الله المبشّر القصاب الواسطيّ، و أبي عبد الله حسين بن إسماعيل بن محمد الضبّيّ البغداديّ (٢٣٥-٣٣٠هـ) المشهور بالقاضي المحامليّ، و كان له طلاب كثيرٌ. و أشهر من كان يروي عنه هم:

١ - أبو بكر أحمد بن محمد البرقانيّ الخوارزميّ (٣٣٦-٤٢٥هـ).

٢- أبو الفرج الحسن بن عليّ الطّناجيريّ (٣٥٠-٤٣٩هـ).

٣- أبو القاسم عبد الله بن أحمد الصيرفيّ الأزهرّيّ (٣٥٥-٤٣٥هـ).

٤- القاضي أبو القاسم عليّ بن محسن التنوخيّ (٣٦٥-٤٤٧هـ).

٥- أبو القاسم بن الخلال.

٦- أبو الحسن أحمد بن محمّد العتيقيّ (٣٦٧-٤٤١هـ).

و بعد الثلاثة الأوّل من مشايخ الحافظ أبي بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ (٣٩٢-٤٦٣هـ) صاحب تاريخ بغداد المعروف. من هنا كان الخطيب تلميذ أبي محمّد الحسن بن الحسين بواسطة واحدة. و لجأ الخطيب إلى تلامذة أبي محمّد النوبختيّ الذين كانوا أساتذته من أجل التعرّف على عقيدته الحقيقيّة، و قد سأل أبا القاسم الأزهرّيّ و أبابكر البرقانيّ في هذا الشأن، فقال الأزهرّيّ: هو رافضيّ مردود المذهب. و قال البرقانيّ: هو معتزليّ مع ميلٍ فيه إلى التشيع، و مع ذلك كلّهُ فهو صدوق في روايته. و ذكر أبو الحسن العتيقيّ أنّه ثقة في الحديث يميل إلى الاعتزال^١ و صحّح الخطيب البغداديّ نفسه سماعه^٢. و نقل كلام الخطيب في النوبختيّ كلّ من السمعانيّ في الأنساب، و ابن الجوزيّ في المنتظم، و ابن كثير في البداية و النهاية. و على الرغم من أنّ القاضي نور الله التّستريّ عدّ أبا محمّد شيعياً مائلاً إلى الاعتزال لكنه تهجّم عليه قائلاً: «لَمَّا كَانَ أَهْلُ السُّنَّةِ لَا يَفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، فَإِنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الشَّيْعَةَ وَ الْمَعْتَزِلَةَ فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ دَاعِينَ كَلًّا مِنْهُمَا بِاسْمِ الْأُخْرَى، وَ إِلَّا فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ مَا بَيْنَ الْفَرْقِ وَ الْقَدَمِ، وَ الْوُجُودُ وَ الْعَدَمُ»^٣.

هذا الكلام ينمّ عن تعصّب القاضي نور الله الذي كان يسعى في نسبة بعض الأشخاص إلى التشيع في حين لم يُعرفوا بذلك. و كان مشهوراً بهذه السّمة، و إلّا

٢- تاريخ بغداد ٧: ٢٩٩.

١- المنتظم، مخطوط.

٣- مجالس المؤمنين، المجلس الخامس.

فقد ذكرنا سابقاً أنه لا مانع من أن يكون الإنسان شيعياً مائلاً إلى الاعتزال أو معتزلياً مائلاً إلى التشيع. ولهذا نظائر كثيرة في تاريخ علم الكلام، فقد عُرف به من آل نوبخت رجل أو رجلان، وكذلك عُرف به كثير من معتزلة بغداد كأبي جعفر الإسكافي، وأبي عبيد الله المرزباني، والقاضي أبي القاسم التنوخي، وأبي القاسم الكعبي البلخي؛ فقد كان هؤلاء قريبين من الشيعة في بعض عقائدهم، وعُدوا من متشيعي المعتزلة^١. وبلغ الأمر أن الذهبي سَمَّى أبا سهل إسماعيل بن علي النوبختي كاتباً معتزلياً مع أنه عدّه من رؤوس متكلمي الشيعة^٢.

توفي أبو محمد في يوم الجمعة ليومين بقياً من ذي القعدة سنة ٤٢٠ هـ. وهو آخر من نعرف عنه شيئاً مجملاً من الأسرة النوبختية، واختفى بعده أثر هذه الأسرة الجليلة في ظلمات التاريخ^٣.

١- انظر: الانتصار ١٠٠؛ تاريخ بغداد ٣: ١٣٦؛ فوات الوفيات ٢: ٦٨.

٢- تاريخ الإسلام f. 60 b، نسخة المكتبة الوطنية بباريس.

٣- للتعرف على ترجمته انظر: تاريخ بغداد ٧: ٢٩٩ و ٤٤٣: المنتظم لابن الجوزي: البداية و النهاية. وقائع سنة ٤٠٢ هـ، الأنساب للشمعاني f. 569 b: مجالس المؤمنين، المجلس الخامس: ميزان الاعتدال ١: ٢٢٥.

الفصل الرابع عشر

سائر أفراد الأسرة النوبختية

نقرأ في كتب التاريخ أسماء عدد آخر من أفراد هذه السلالة الجلييلة مضافاً إلى المشاهير الذين ذكرنا ترجمتهم في الفصول السابقة اعتماداً على المصادر التي في أيدينا. و من سوء الحظ أننا لا نملك معلومات ذات بالٍ عنهم، حتى أننا لا نستطيع أن نحدّد نسب بعضهم لنقص معلوماتنا عنهم. و فيما يأتي أسماؤهم:

١- **أبو عبدالله أحمد بن عبدالله بن أبي سهل بن نوبخت**. حفيد المنجم المشهور أبي سهل الأول. كان من الشعراء الكتاب، و له ديوان شعر يشمل مائة ورقة^١.

٢ **الحسن بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت**. نجل إسماعيل الذي كان نديماً لأبي نواس و جامعاً لأشعاره، و قد مدحه أبو نواس^٢.

٣- **أحمد بن إبراهيم**. و هو من الرجال الذين عاشوا في أواخر الغيبة الصغرى. عمل كاتباً خاصاً للشيخ أبي القاسم الحسين بن روح. و كان يكتب ما يمليه عليه

١- الفهرست ١٦٨.

٢- ديوان أبي نواس المطبوع ١٠٥-١٠٦ (طبعة ١٣٢٢) و شرح ديوان أبي نواس ج ١ . f. 189 b.

الشيخ في جواب المسائل التي كان يوجهها إليه الشيعة الإمامية^١.

زوجته هي أمّ كلثوم بنت أبي جعفر العمريّ النائب الثاني للإمام المهدي عليه السلام. وهي جدّة الكاتب المشهور أبي نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد؛ فأُمّ أبي نصر هبة الله نوبختيّة من جهة أبيها أحمد بن إبراهيم، و عمريّة من جهة أمّها أمّ كلثوم. كان أبو نصر يروي عن جدّه النوبختيّ أحمد بن إبراهيم^٢.

٤- **أبو جعفر عبد الله بن إبراهيم**، أخو أحمد بن إبراهيم المذكور آنفاً^٣.

٥- **أبو إبراهيم جعفر بن أحمد بن إبراهيم**، نجل أحمد بن إبراهيم، وابن أخ أبي جعفر عبد الله خال أبي نصر هبة الله الكاتب^٤.

٦، ٧، ٨- **الحسن بن إسحاق الكاتب**. يبدو أنّه ابن إسحاق بن إسماعيل بن أبي سهل نوبخت أحد أصحاب الإمام الهادي عليه السلام. و ولداه **أحمد** و **محمّد** كانا من معاصري أبي جعفر العمريّ. و ذكر أنّهما ممّن حظي برؤية الإمام المهدي عليه السلام^٥.

٩- **أبو علي بن جعفر**. ورد في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي اسم شخص من آل نوبخت يدعى أبا علي بن جعفر النوبختيّ، و يُعرف بابن زهومة (؟). و تدلّ القرائن المذكورة في هذا الكتاب على أنّه كان يعيش في النصف الأوّل من القرن الرابع الهجريّ^٦. و لم أفهم المقصود من (ابن زهومة)، و لعلّه تصحيف، علماً أنّ اسم (زهومة) موجود في أعلام العرب. و نلاحظ في كتاب تجارب الأمم اسم كاتب يدعى (رهومة) الذي قبّض عليه بجّكم سنة ٣٢٩هـ مع وزيره أبي جعفر بن شيرزاد و عدد آخر من كتّابه و عمّاله^٧. و عسى أن تستبين لنا حقيقة الأمر من بين المعلومات المتفرّقة في المصادر المعنيّة إذا توقّرت.

١- الغيبة، للطوسيّ ٢٤٣ و ٢٤٤.

٢- نفسه ٢٤٣.

٣- نفسه ٢٤٣.

٤- انظر: ص ٢١٩-٢١٧ من هذا الكتاب.

٥- كمال الدين ٢٤٦.

٦- الغيبة ٢٦٧.

٧- تجارب الأمم ٥: ٤١٥.

و ذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تكملة تاريخ الطبري الذي يحتوي على قسم من التاريخ، شخصاً يُدعى أبا علي النوبختي في سياق وقائع سنة ٣٣١هـ. و يُستشف منه أنَّ أبا علي النوبختي كان يعدّ من عمال «عَدْل» الحاجب السابق لبجكم، و كان عاملاً على مناطق الفرات العليا و مدينة الرحبة التي كان يحكمها (عَدْل) من قبل محمد بن طغج الإخشيد. و حينما أُسر (عَدْل) بيد بطانة ناصر الدولة الحمداني و استأمن أصحابه^١، اضطرَّ أبو علي النوبختي إلى ترك عمله السابق. ثمّ دخل بعد ذلك بقليل في خدمة الأمير التركي (توزون) الذي كان مقيماً بواسط، و أُنيط به منصب أمير الأمراء في تلك السنة، و أصبح كاتباً له. بيّد أنّه لم يستمرّ طويلاً إذ عزله توزون بعد فترة قليلة من نفس السنة، و خوّل أبا إسحاق القرابطي منصب الكتابة^٢.

و في أقرب الاحتمالات أنَّ أبا علي النوبختي هذا هو نفسه أبو علي بن جعفر المذكور في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي. و يبدو أنّه ابن أبي إبراهيم جعفر بن أحمد بن إبراهيم النوبختي.

١٠- الحسن بن جعفر الكاتب الذي اختفت صيقل جارية الإمام العسكري (عليه السلام) في بيته، بعد وفاة الإمام، أكثر من عشرين سنة. و على هذا فإنّه كان حيّاً حتّى حوالي سنة ٢٨٥هـ التي أخرج فيها المعتضد العباسي صيقلًا من بيته.

١١- أبو طالب النوبختي. كان معاصراً لأبي عبد الله حمزة بن الحسن الإصفهاني (المتوفى بين سنة ٣٥٠هـ و ٣٦٠هـ)، و أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي (المقتول سنة ٣٢٢هـ). و أخذ حمزة الإصفهاني طرفاً من أخبار أبي نواس (قبل سنة ٣٢٦هـ التي سافر فيها حمزة سفرته الثالثة إلى بغداد لجمع ديوان أبي نواس) من أبي

١- حاشيه تجارب الأمم ٦: ٣٩ نقلاً عن تكملة تاريخ الطبري.

٢- نفسه ٦: ٤٥.

طالب النوبختي^١. و هذا الرجل هو الذي نصبه الفاهر العباسي مع أبي يعقوب إسحاق النوبختي سنة ٣٢٠هـ وكيلاً لبيع بعض العقارات.

١٢- محمد بن روح النوبختي. من رواة أخبار أبي نواس لحمزة الإصفهاني^٢.
و لعله أخو الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح.

ذكر ابن خلكان شاعراً يُدعى أبا الحسن علي بن أحمد بن نوبخت الذي توفي بمصر في شعبان سنة ٤١٦هـ^٣. ولا يُعلم هل كان هذا الشاعر من أفراد الأسرة النوبختية المشهورة أو كان شخصاً آخر له جدّ يسمّى نوبخت أيضاً.

٢- نفسه ج ٣، ٢٨١ f. a-b.

١- شرح ديوان أبي نواس ج ٢، ٢٧١ f. b.

٣- وفيات الأعيان ١: ٤٩٩ (طبعة باريس).

دليل الموضوعات

٥ مقدمة المترجم
١١ المقدمة
١٩ آل نوبخت
٢٣ الفصل الأول - نوبخت جد الأسرة
٢٩ الفصل الثاني - أبو سهل بن نوبخت
٣٣ الفصل الثالث - أبناء أبي سهل بن نوبخت
٣٣ ١ - إسماعيل
٣٧ ٢ - أبو أيوب سليمان
٣٧ ٣ - داود
٣٧ ٤ - إسحاق
٣٧ ٥ و ٦ و ٧ - أبو الحسين عليّ، و هارون، و محمد
٣٨ ٨ - أبو العباس الفضل
٣٩ ٩ - عبد الله
٣٩ ١٠ - سهل وابنه حسن
٤٠ أبو نواس و آل نوبخت

٤٥	الفصل الرابع - ظهور علم الكلام والمتكلمين الأول
٥٢	المعتزلة
٥٨	علم الكلام
٦٤	الاعتقاد بخلق القرآن
٧١	الفصل الخامس - الشيعة ومتكلموهم الأول
٧١	فرق الشيعة المختلفة
٧٦	الإمامة
٨٠	الإمامية ومتكلموهم الأول
١٠٢	١ - أبو جعفر مؤمن الطاق
١٠٣	٢ - هشام بن سالم الجواليقي
١٠٣	٣ - هشام بن الحكم
١٠٦	٤ - أبو الحسن علي بن ميثم التمار
١٠٦	٥ - أبو مالك الحضرمي
١٠٧	٦ - أبو جعفر السكاك
١٠٨	٧ - يونس بن عبد الرحمن القمي
١٠٩	٨ - علي بن منصور
١٠٩	٩ - أبو حفص الحداد النيسابوري
١١٠	١٠ - أبو الأحوص البصري
١١٠	١١ - أبو عيسى الوراق
١١٤	١٢ - ابن الراوندي
١٢١	١٣ - أبو جعفر بن قبة الرازي
١٢٣	الفصل السادس - أبو سهل إسماعيل بن علي
١٢٤	١ - الحياة الإدارية لأبي سهل النوبختي

- ٢ - حياته العلمية والأدبية ١٢٨
- ٣ - تلاميذه ١٣٢
- ٤ - أبو سهل النوبختي وموضوع الغيبة ١٣٤
- ٥ - أبو سهل النوبختي والحسين بن منصور الحلاج ١٤٠
- ٦ - مؤلفاته ١٤٤
- أبو جعفر محمد ١٥٤
- الفصل السابع - أبو محمد الحسن بن موسى** ١٥٥
- ١ - ترجمة أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي ١٥٥
- ٢ - مؤلفات أبي محمد النوبختي ١٥٩
- كتاب الرد على الغلاة ١٦٦
- كتاب الآراء والديانات ١٦٧
- كتاب فرق الشيعة ١٧١
- هل كتاب «فرق الشيعة» المتداول من تأليف أبي محمد النوبختي؟ ١٧٥
- فرق الشيعة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام ١٩٢
- الفصل الثامن - أبو إسحاق إبراهيم مؤلف كتاب «الياقوت»** ١٩٩
- عصر مؤلف «الياقوت» ٢٠١
- كتاب أنوار الملكوت ٢٠٤
- كتاب الابتهاج ٢١٣
- الفصل التاسع - أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل ونجله أبو الفضل يعقوب** ٢١٧
- الفصل العاشر - أبو الحسين علي بن عباس ونجله أبو عبد الله حسين** ٢٢٩
- آل نوبخت والبُحترَي ٢٣٣
- آل نوبخت وابن الرومي ٢٣٤

٢٣٦ أبو عبد الله الحسين بن عليّ (نجل أبي الحسين عليّ بن عباس)
٢٤٧ الفصل الحادي عشر - الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح
٢٥٧ الحسين بن روح و السّلمغانيّ
٢٦٠ دعاوى السّلمغانيّ
٢٦٥ مؤلّفات السّلمغانيّ
٢٧٥ الفصل الثاني عشر - أبو الحسن موسى بن كبرياء
٢٧٧ الفصل الثالث عشر - أبو محمّد الحسن بن الحسين
٢٨١ الفصل الرابع عشر - سائر أفراد الأسرة النويختيّة



الحضارة الإسلامية صنيعة الأمة الإسلامية جمعاء، فقد ساهم في تشييد صرحها العرب و الفرس و التُرك و الكُرد و غيرهم من الشعوب المسلمة. وهذه الحضارة الثريّة التي عبّر عنها جواهر لال نهرو - وكلامه حق - أنّها أمّ الحضارات في العالم آية على عظمة الإسلام وتوجّهاته القيّمة. وكانت البيوتات العلميّة لبنة من لبنات هذه الحضارة العظيمة على مرّ التاريخ بفضل ما قدمته من عطاءات علميّة. ومن هذه البيوتات آل نوبخت الذين كانوا ببغداد أيام الحكم العباسي وكان لهم قسطهم المشهود في إغناء الحضارة الإسلاميّة من خلال المامهم بعلم النجوم وعلم الكلام ونقل الكتب الفارسيّة إلى اللغة العربيّة، وهو ما يتناوله هذا الكتاب الذي يدلّ عنوانه عليه. فهو كتاب رجاليّ تاريخيّ موضوعه رجال الاسرة النوبختيّة و من انتسب إليها ممّن تلقّب بهذا اللقب. كما ساق مؤلفه الكلام عن علم الكلام ورجاله الأوّل، وذكر بعض الفرق الإسلاميّة كالمعتزلة، وتحدّث عن الامامة والإماميّة ومتكلميهم الأوّلين. وأطال الحديث عن بعض رجال الاسرة النوبختيّة وأوجز عن بعضهم الآخر، كما أورد المشهورين منهم وغير المشهورين. و يُحمد للمؤلف جهده في البحث والتحقيق ويألم على ما بدر منه في بعض الطريق.